بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

عقائد الشيعة

فى ضوء الكتاب والسنة وصحيح التاريخ

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

الطبعة الثانية
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع القانونى ٢٢٠٧٤/٢٠٠٥
الترقيم الدولى I.S.BN. 977-6157-14-9

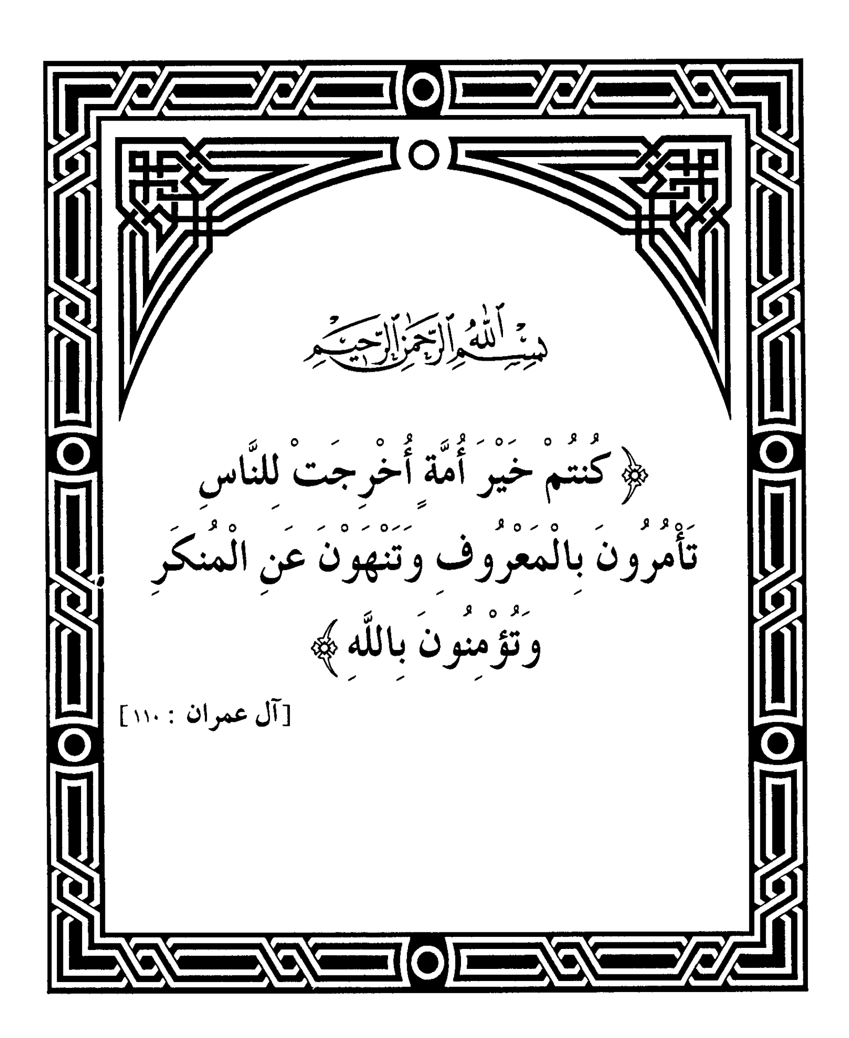
دار الإبداع
٤ ش الأسقفية - المنشية - الاسكندرية
تليفاكس: ٠٣/٤٨٣٣٤٠٥

عقائد الشيعة
فى ضوء الكتاب والسنة وصحيح التاريخ

مختصر المنتقى
من منهاج الاعتدال للحافظ الذهبى
٦٧٣ - ٧٤٨ هـ
نقض ابن تيمية للمذاهب الشيعية

دكتور
مصطفى حلمى
دار العلوم - جامعة القاهرة

دار الإبداع
٤ ش الأسقفية - المنشية - الاسكندرية
تليفاكس : ٠٣/٤٨٣٣٤٠٥ - ٠١٢/٣١٦٦١١٨


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
[آل عمران : ١١٠]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد قوبلت **الطبعة الأولى** بالترحاب من بعض القراء الباحثين عن حقيقة الشيعة عقائديا وتاريخيا، ولأن الكتاب تضمن أيضًا عناصر التثبيت لعقائد أهل السنة والجماعة عقب الاهتزازات النفسية التى أحدثتها ثورة إيران، وما صاحبها من الظن باحتمال حدوث تغييرات فى عقائد الشيعة بسبب أبواق دعايتهم.

وتلقى فريق آخر من القراء الكتاب بحذر خشية انشقاق صفّ الأمة وحرصًا على وحدتها فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها.

ونحن نحترم هذا الرأى، بل نؤيده، ولكن ما الحيلة والواقع المرير يدفعنا دفعًا إلى رفع صوتنا محذّرين من النتائج الوخيمة لإصرار الشيعة على نشر عقائدهم بين بعض أهل السنة؟ فلسنا دعاة فتنة، ولكنّا دعاة الاستمساك بالثوابت فى العقائد الإسلامية التى يتبناها أهل السنة والجماعة، كما تدفعنا الرغبة فى تحصين الأجيال من الغزو الثقافى الشيعى -وهو على أشده الآن- مستغلاً العاطفة الجياشة بمحبة آل البيت عليهم رضوان الله.

وكان **الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله** قد أعلن الشكوى منهم منذ نحو خمسين عامًا بما قاله فى مقدمة الكتاب بقوله: (... لأن القوم قد أكثروا فى هذه

السنوات من مهاجمة السنّة والجماعة بكتبهم ونشراتهم حتى صار من الخذلان للحق السكوت عليها) كما زاد الطين بلّة السلوكيات المشبوهة التى تذكرنا بخيانة الوزير ابن العلقمى الشيعى الذى كان سببًا فى سقوط بغداد فى أيدى التتار عام ٦٥٦ هـ [1] والمشهد المعاصر ينبئ بتحول العداء المكنون لأهل السنة إلى العلن المتمثل فى الاعتداء عليهم.

كذلك لا يدفعنا إعادة عرض **عقائد الشيعة إلا الغيرة على عقائد أهل السنّة** التى لا تكاد تُعرف بأصولها وأدلتها إلا عند القلّة، إذ اختلط الأمر على الكثير من المثقفين لسببين **أحدهما: غيبة الوعى العقائدى السليم.**

والثانى: تضخّم العاطفة السياسية المتلهفّة على نجاح الصحوة الإسلامية تحقيقًا لأهدافها فى إعادة أمجاد الأمّة.

كذلك ونرى أخيرًا لزامًا على أنفسنا وغيرنا من أهل السنة دحض المفتريات والطعون التى ترمى بها كثير من كُتب الشيعة صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله

---

(١) يقول ابن تيمية (كما أعانوا -أى الشيعة- المشركين من الترك والتتار على ما فعلوه ببغداد، وغيرها، بأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ولد العباس، وغيرهم من أهل البيت والمؤمنين، من القتل والسبى وخراب الديار، وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام، لا يحصيه الرجل الفصيح فى الكلام).

مجموع الفتاوى جـ ٢٥ صـ ٣٠٩ .

ولا نريد إثارة المواجع بمناسبة ذكر سقوط بغداد على أيدى التتار الهمج عام ٦٥٦ هـ، ولكن نذكّر فقط بالجرائم التى ارتكبوها ظنًا أنها كفيلة بالقضاء على الأمة الإسلامية، ولكن الأمة بحمد الله استعادت عافيتها بعدها فكان أعظم انتصارها ممّثلا فى فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح (٨٥٧ هـ- ١٤٥٣ م)

وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد قرأنا وشاهدنا على شاشة التلفاز كيف قام بعض الرعاع بتشجيع القوات الأمريكية بتدمير المتاحف والمكتبات ونهب المؤسسات الحكومية، فهل نجح هؤلاء، فيما فشل فيه أسلافهم من التتار؟

يقول الدكتور: مصطفى طه بدر بكتابه (محنة الإسلام الكبرى -أو- زوال الخلافة العباسية على أيدى المغول):

(قتل التتار معظم أهل المدينة -بغداد- دون أن يستثنوا امرأة أو طفلا ودون أن يعطفوا على مريض أو يقدّروا عالما... ومن المؤرخين من قدّر عدد القتلى بمليون وثمانية ألف نفس.. كما أن الثروة الأدبية والفنية التى سهر على جمعها خلفاء بنى العباس منذ اتخذوها عاصمة لهم ضاعت وأصبحت أثرًا بعد عين) صـ ١٧٧-١٧٨ من الكتاب المذكور آنفا. الهيئة المصرية العامة للكتاب -سلسلة الألف كتاب الثانى سنة ١٩٩٩م.

عليهم والتابعين والفقهاء والمحدثين والعلماء الذى يصل إلى حد التكفير.[1]

فإن العـداء -مثـلا- لأمير المؤمنـين عمر بن الخطاب رضى الله عـنه له جذور تاريخية ونفسيـة جديرة بالتعرف عليها؛ لأنها تفسّر هذا العـداء المتوارث جيلاً بعد جيل، فمن البـاحثين من يرى أن الموالى من الفرس أرادوا الانتـقام من العرب فى شخصيـة عمر رضى الله عنه، إذ كبر عليهم أن يروا مـقوض دولة الأكاسرة (ينعم بهذه القـوّة والجاه العـريض والسلطان الواسع)[2] فأجـمعوا أمـرهم ووكلوا به أبا لؤلؤة فطعن عمر رضى الله عنه بخنجر ذى رأسين طعنات قاتلة[3].

أما الأسـتاذ إحسان إلهى ظـهير فيـرى تعاون اليهـود مع الفرس فى بذر بذور التشيع، معللا ذلك بأنهم نقموا على الفـاروق -رضى الله عنه- عندما كسر شوكة أهلها، ووجد اليهود فيهم مزرعة خصبة لغرس بذور الفتنة فيها[4].

---

(١) ولا يرجع السبب إلى العداء فحسب بل إلى (**تكفير الجمهور من أهل السنّة**)، يقول ابن تيمية (فإن من أعظم ما أنكره أهل السنة عليـهم -أى الروافض- تركهم الجمعـة والجماعة، وتكفـير الجمهـور) الفتاوى جـ٢٣ صـ٣٥٥ .

(٢ ، ٣) د/ محـمد بديع شريف صـ١٣ (الصـراع بين الموالى والعرب) صـ٣٠ دار الكتاب العـربى بمصر سـنة ١٩٥٤ م.

ويرى الأستاذ: أحـمد أمين أن التشيع هو عن الشعوبـية (أى العداء للعرب)، ويرى الدكتور عـبد القادر محمود: أن التشيع خـرج مذهبا عن اليهودية السبئية، مستعينا بسـادة الشعوبية من الفرس والروم ليؤدى دوره الخطيـر ضد المنـهج الإسلامى (الفكـر الإسلامى واللغـات المعـارضة) الهـيـئة المصـرية للكتـاب سنة١٩٨٦ .

ويذهب إلى نفس الرأى المستشرق الإنجليزى براون الذى سكن إيران مدة طويلة ودرس تاريخها دراسة وافية، ضافية، يقول صراحة: من أهم أسـباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد، الثانى عمر -رضى الله عنه- هو أنه فتح العجم، وكسر شوكتهم، غيـر أن أهل إيران أعطوا لعدائهم صبغة دينية مذهبية، وليس هذا من الحقـيقة فى شىء (من كـتاب الشيـعة والسنة) تأليف احسـان الهى ظهير -رائد ترجـمان السنة/ لاهور باكستان ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ.

(٤) إحسان إلهى ظهير (الشيعة والسنة) صـــ٥٥/٥٦ مرجع سابق.

ويروى أن الأستاذ إحسان -رحمه الله تعالى- لقى مصرعه على أيدى الشيعة بباكستان هذا وقد عالج الدكتور ناصـر بن عبد الله بن على الفقـار قضية الشـيعة بتوسع بأطروحتـه للدكتوراه من جامـعة الإمام محـمد بن سعود الإسـلامية بالرياض بعنوان (أصـول مذهب الشيعـة الإثنى عشرية -عرض ونقـد) وقد طُبعت فى ثلاثة مجلدات ١٤١٥ هـ ١٩٩٤/ م.

وأخذت موجات الفتن والدسائس فى الازدياد حتى عصرنا الحاضر، منذ عبد الله ابن سبأ، إلى معاونة الفاطميين للصليبيين، إلى إسماعيل الصفوى وجرائمه.

ولنا العذر لأن ما نشعر به الآن من قلق حيال الشيعة المعاصرين له ما يبرره؛ لأننا لا ننسى بسهولة ما سجلته صفحات التاريخ من مواقف متكررة، متشابهة!

أن الفتنة العمياء دبرتها السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ)، (والموالى الناقمين المتربصين وعقودها نية قلب الدولة... فهى ثورة فيها نقمة اليهود لخيبر وثأر الموالى للقادسية والمدائن وجلولاء. وهى حلقة مفرغة بدأت بعمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وأخذت تلتقط كبار رجال الدعوة لتضعف شوكة الأمة وينفسح لها الطريق لتسلكه إلى هدفها وهو استئصال الحكم العربى من الوجود) [(١)].

وكان الفاطميون -منهم من الشيعة- عونا مع الصليبيين على الأتراك السلاجقة من أهل السنّة، (فمن الثابت تاريخيا أن الصليبيين لم ينجحوا فى حملتهم الأولى بسبب حياد الفاطميين -أي أنهم لم يقاوموا الحملة- والتنسيق بينهم وبين الصليبيين باعتبار أن الأتراك السلاجقة عدو مشترك للجانبين، كما أن الهجوم المصرى (بواسطة الفاطميين) على بيت المقدس وانتزاعها من السلاجقة قبيل الهجوم الصليبى عليها، وما نتج عن ذلك بالضرورة من تدمير تحصيناتها، هو الذى سهّل لصليبى الحملة الأولى أخذها بعد حصار دام خمس أسابيع فقط) [(٢)].

وفى العصر الحديث: يبدو أن أمريكا تلقفت الخبرة التاريخية من انجلترا -وهما شريكتان فى حرب العراق عام ٢٠٠٣ م، فكان الاستعانة بالشيعة المعاصرين، كما حدث أيام الدولة الصفوية في حروبها للخلافة العثمانية.

يقول الأستاذ أنور الجندى -يرحمه الله: (ومن مؤامرات إنجلترا أنها وإن كانت تعادى الأتراك العثمانيين بحثت عن خصوم شرقيين لهم فلم تجد إلا الدولة

(١) د/ محمد بديع شريف (الصراع بين الموالى والعرب) صـ٣٢ دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٩٥٤ م.

(٢) د/ قاسم عبده قاسم (القراءة الصهيونية للتاريخ، الحروب الصليبية نموذجًا) صـ١٤٠ كتاب الهلال يناير سنة ٢٠٠٥ .

الصفوية فـي فارس التى كان بينها وبين العـثمانيين حروب اكتـست بلباس الدين؛ لأن الصفويين شيعة إمامية والعـثمانيون سنّة، لذلك ترددت السفراء بين الصفويين والإنجليز، واستعان بهم الصفويون فى تنظيم جيوشهم) [١].

وقد سـجلت كتب التاريخ على إسـماعيل الصـفوى حين استـولى على بغداد سنـة١٥٠٨ م (فـتكه الفتك الذريع بالعـراقيين وقتله العلمـاء والوجوه والأعـيان وتدنيسه المساجد والجوامع، ونبشه قبور الأئمة. . وقد كان يبغى أن يُلحق (العراق) بـ (فارس) ويُخضع العرب للفرس) [٢].

وفى العصر الحديث أيضًا، قيامهم بالدور الرئيـسى بفصل باكستان الشرقية عن الأم الباكسـتان، (وها هى باكستـان الشرقية ذهبت ضـحية بخيانة أبـناء (قزلباش) الشيعة «يحيى خان» في أيدى «الهندوس») [٣].

ويزيدنا أسىً ما حدث بـلبنان حين اجتاحت إسرائيل أراضيـه الجنوبية، وتكرر المشهد. . [٤].

---

(١) أنور الجندى: معالـم التاريخ الإسلامى المعاصر من خـلال ثلاثمائة وثيقة سـياسية ظهـرت خلال (القرن الرابع عشر الهجرى) صـــ١٦٥ دار الإصلاح/ الاعتصام سنة١٩٨١ م.

(٢) من مقال: السياسة الإيرانية حيال العراق وأبعادها الخطيرة. بقلم عماد القيسى.
مجلة البيان العدد ٢٠٨ ذو الحجة سنة١٤٢٥ هـ -يناير/ فبراير سنة ٢٠٠٥ م
ويقول أيضـا: (وقد حاولت إيران وتحـاول جرَّ المسلمين إلى نهجـها، ومن ثم بسط هيمنتـها على الدول المجاورة لها).

(٣) إحسان إلهى ظهير (الشيعة والسنة) صـــ١١ مصدر سابق.

(٤) عبـد المنعم شفـيق (حقـيقـة المقاومـة -قراءة فى أوراق الحـركة السـياسيـة الشيـعيـة فى لبنان) صـ٩٥ ١٤٢١-٢٠٠١ م ط ٢ مطبوعات مجلة البيان -لندن.

التطورات الجديدة:

والآن وقد مضى عامان على سقوط بغداد (إبريل ٢٠٠٣) ليحمل لنا الجديد، فاجأ البعض الذين لم يدركوا أسرار عقائد الشيعة وتاريخهم الطويل المعادى لأهل السنة، ولكنها لم تفاجئنا إذ توقعناها -لا رجمًا بالغيب- بل لمعرفتنا بأن المقدّمات لابد مُفضية إلى نتائجها، وقد تعزّز لدينا ذلك؛ لأن الحروب التى خاضها المسلمون انحاز فيها الشيعة إلى صفوف الأعداء أيام التتار والصليبيين والدولة الصفوية وفى العصر الحديث أيضا كما أسلفنا.

ونضيف إلى ما سقناه فى الطبعة الأولى بعض التطورات الجديدة التى كانت مخبأة وراء قناع الخداع الإعلامى، وكلها تؤيد موقفنا الذى أعلناه، وهى أيضا تثير المزيد من الأسى على ما وصلت إليه الأحوال بالعراق من انحدار إلى الأسوأ بسبب تصرفات الشيعة.

لقد أثارت هذه التصرفات بقيادة السيستانى المعلقين السياسيين والكتّاب والصحفيين، وأصبحوا على إدانتهم للموقف الذى تبنّاه من الاحتلال وحثّه قومه على الاشتراك فى الانتخابات لصالح القوى الاستعمارية، التى تضفى عليها الشرعية وتمكنها من حكم العراق إلى أجل غير مسّمى، (أن الانتخابات العراقية التى رعتها واشنطن قد أعطت للشيعة موطن قدم آخر فى الشرق الأوسط، وهو الأمر الذى زرع التفاؤل لدى الشيعة فى دول أخرى مثل السعودية، والبحرين، والكويت، وقطر، وربما سوريا، ولبنان. فى كل الأحوال فإن المرحلة القادمة فى المنطقة العربية شيعية حتى وإن كانت بطعم أمريكى مرّ فى حلق العرب)[1].

---

(١) من مقال (الشيعة يحكمون العراق) بقلم أحمد أبو صالح جريدة (الإسبوع) القاهرة ٧/ ٢/ ٢٠٠٥ م وكتبت سناء العبد تقول (سارع قدما العراقيين لتسجيل أسمائهم تحضيرا للانتخابات (أى السيستانى) ولم يعقب على اقتحام قوات الاحتلال لدور العبادة فى بغداد وهيت والرمادى وتفجير أبوابها ونثر المصاحف على الأرض... ولا شك أن هذا يثير الدهشة..

«جريدة الوفد فى ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٤ م مقال بعنوان (رعاياك ياعلاوى).=

أما الاعـتراضـات على الانتخـابات فتـتلخص فى أن نصف الشعب الـعراقى قاطعها، وأن رؤوس القوائم سبق لها أن شاركت فى الغزو الأمريكى.

وكتب الأستاذ: فاروق جويدة يقـول: (إن أمريكا بكل قوتها العسكرية الضاربة لم تستطع أن تحسم معركتها مع المقـاومة العراقية وهى لا تضم كل فئات الشعب العراقى.

وفى أكـثـر من مكان وأكـثر من مـوقع طالت يد المقـاومـة اللحم الأمـريكى وأوجعـته.. ولن يكن غريبـا أن تخفى القوات الأمريكيـة خسائرها البـشرية وأن تضلل الرأى العام الأمـريكى الذى يعرف حقيـقة ما يجرى بين الجـيش الأمريكى والمقاومة العراقية الباسلة)[1].

أسس الوحدة المرجوة:

ومع كل هذا فـإننا لم نفقـد الأمل فى أن يثـوبوا إلى رشدهم لنشـرنا هذا فى الطبعة الأولى (**وثيقـة الرضا**) التى وحّدت بين أهل السنّة والشيعة حينذاك، فإننا نعرض أيضا نداء الوحـدة الذى تبناه الأستاذ إحسان إلهى ظهيـر رحمه الله، الدال على حسـن نوايا أهل السنة ورغبـتهم فى الوحـدة وجمع الشمل، ولـكن بشرط الخضوع لأوامر الله ورسوله ﷺ.

قال فى ندائه: (نعم يمكن الوحدة إن أرادوها، ويمكن الاتحـاد إن طلبوا الوحدة والاتحاد، بالرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما... فلنرفع الخلاف ولنقضى على النزاع، فهيا بنا إلى الوحدة أيها القوم.

= وعلق الدكتور: عصـام العريان على موقف السيستانى بقوله: (السـؤال الحائر الآن: هل يطالب السيد السيستـاني بمفاوضات جادة لإنهاء الاحتلال عبـر جدول زمنى؟ ما هو المدى الزمنى الذى يمكن أن ننتظره حتى يبدأ السيد السـيستانى إطلاق فتوى جديدة ضد الاحتلال يمكنهـا أن تفجر طاقات جديدة تنضم إلى المقاومة المسلحة؟ (مقال بعنوان: ماذا بعد الانتخابات العراقية)؟ آفاق عربية فى ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٥ م.

(١) مـقـال بعنوان (فى ذكـرى سـقـوط بغـداد) بقلـم الأسـتـاذ فـاروق جويـدة جـريدة الأهرام القـاهرية فى ٤/ ٤/ ٢٠٠٥ م.

فاتركوا الباب لأصحاب رسول الله ﷺ، خيار خلق الله الذين بشرهم الله بالجنة فى كتابه المجيد حيث قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

تعالوا نتعاون بيننا، ونتفق، ونتحد، لتكون كلمة الله هى العليا.

فنحن الذين نستطيع إن اعتصمنا بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أن يكشف عنا مصيبتنا، ويدفع عنا كيد أعدائنا كما وعدنا الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر : ٥١] [١].

ونصيحتنا الأخيرة للشيعة جميعا أن ينتبهوا إلى حقيقة الفلسفة العملية الأمريكية التى لا تعرف المبادئ ولا القيم ولا الصداقة المخلصة الدائمة بل تسعى لتحقيق مصالحها على جثث أصدقائها.

ولا منقذ بعد عون الله تعالى- إلا التحام الشيعة بأهل السنة وهم يمثلون أغلب الأمة الأسلامية، والوقوف معًا كسد منيع ضد المخططات الصليبية الصهيونية التى ستبتلعهم جميعا إذا تفرقوا، وقد أعذر من أنذر.

والله المسؤول أن يهدينا وقومنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

مصطفى بن محمد حلمى

الإسكندرية فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٢٦ هـ

٢١ إبريل سنة ٢٠٠٥ م

(١) الشيعة والسنة صـ٩/ ١١ باختصار مرجع سابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمـد لله نحمده ونستـعينه ونستغـفره ونعوذ بالله من شـرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهـده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد مضت سنون منذ إصدار كتابنا (**نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى**) وتضمنت بعض فصوله نقد ابن تيمية لعقائد الشيعة وبخاصة قضية الإمامة عندهم.

وكنا نظن أن الشـيعـة المعاصرين قـد تحولوا عن هذه العـقائد على أثـر الثورة الإيرانية إذ صاحبها بعض الدلائل رجـحّنا بها هذا الظن، ولكن سرعان ما عادت الأمور إلى ما كانت عليه وتلاشى الأمل فى التحول المرجو، إذ تبين لنا من متابعة التحولآت فى الثورة الإيرانية ودراسة بعض مصـادر الشيعة أنه لم يحدث أى تغيير جوهرى يمس عقائدهم فى الإمامة، وموقفهم من الصحابة -رضى الله عنهم-.

ووقعت نكبة ثانية للأمـة الإسلامية بسقوط بغداد بعـد نكبة فلسطين، وتواكبت هذه الأحداث مع دعاوى ملحوظة بدأت تظهر فى بعض البلاد العربية للدعوة إلى التشيع وسط بعض شباب السنّة.

ومن هنا رأينا من واجـبنا الإسهام بتـعريف أهل السنة بأصول عـقائد الشيـعة خاصـة أنهم يتسللون إلى القـلوب من باب محبـة آل البيت، وقـد عثرنـا بكتاب (**المنتقى من منهاج الاعتـدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**) للحافظ الذهبى على ما ننشده لتوعية شبابنا ومثقفينا.

ويتضمن كـتابنا الرد الذى قام به **ابن تيمية على مـعاصره الشيعى**: ابن المطهـر

الحلىّ، ولا زالت مادته العلمية صالحة لمعرفة العقائد الشيعية فى العصر الحديث أيضا، وخاصة بعد الثورة الإيرانية التى أخفت نياتها الحقيقية عند قيامها، ثم ما لبثت أن عادت إلى عقائدها المتوارثة، كما سيتضح من متابعة مراحلها فى هذه الدراسة.

وزاد من قيمة الكتاب ما أضافه الشيخ محب الدين الخطيب -رحمه الله- بالمقدمة والخاتمة من تعليقات ضافية، وهى دالة على اطلاعه الواسع وفهمه العميق لعقائد الشيعة وتاريخهم ومصادرهم.

فلم يترك نصًا من نصوص المتن يحمل بعض عقائدهم إلا وأسهب فى شرحه والتعليق عليه -ولا يفرق بين (المعتدلين)، منهم والغالية -بل يرى بناء على أقوال (الكلينى) فى كتابه (الكافى) -وهو كتابهم الأعظم- أنهم جميعا يشتركون فى الغلو فى الأئمة.

وهو يطلق عليهم اسم (الرافضة) المتداول فى كتب أهل السنة، وقد ظهر هذا الاسم حين (خروج زيد بن على بن الحسين بعد المائة الأولى، لما أظهر الترحّم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما رفضته الرافضة فسموا (رافضة) واعتقدوا أن أبا جعفر هو الإمام المعصوم، واتبعه آخرون فسمّوا (زيدية نسبة إليه)[1] .

أما اسم (النواصب) فيطلق على من يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، يقول ابن تيمية (وأهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الرافضة الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة (النواصب).

ونحن نرجو الإسهام بنشر هذا الكتاب لتحقيق الأهداف الآتية:

١ - تثبيت أهل الحق -أهل السنّة والجماعة -وتحصين الأجيال الجديدة من فتنة التشيع وخاصة مع قلة المصادر التى تتناول هذا الموضوع.

٢ - الأمل فى تعريف أتباع الشيعة بالحقائق الواضحة المدعمة بالأدلة من

(١) ابن تيمية -الفتاوى صـ ٢٨ صـ ٤٩٠/٤٩١.

الكتاب والسنة والحـجج العقلية وإفشـائها لعل الله يهدى بهـا القوم، وهو الدافع الذى جعل ابن تيميـة يكتب ما كتبه (**فلا يحل لأحـد ان يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشـيهـا ويظهرها ليـعرف المسلمون حـقيـقة حالهـم... والمعاون على كف شرهم وهـدايتهم بحسـب الإمكان له من الأجر والثـواب مالا يعلّمـه إلا الله، فإن المقـصود بالقـصد الأول (هو هدايتهم)**[1] .

٣ - إجلاء المواقف الغـامضة لتـصرفات بعـض طوائف الشيعـة، والعراق فى محنة الحرب الصليـبية الصهيونيـة الحالية[2]، والتحـذير من المصيـر الرهيب الذى سيصيب أهل السنة والشيعة معًا.

٤ - إعادة نـشر (**وثيقـة الرضا**) التى أقنعت الشيعـة حين صدورها بالتخلى عن العقائد الباطلة والالتقاء مع أهل السنة، ولا زال مضمونها صالحًا كمرجع للائتلاف بدلاً من دعاوى (التقارب) المبهمة.

أما عن المنهج المتبع، فهـو اختصار الفصول والمحافظة على ترتيـبها وعناوينها، والاكتـفاء عند اخـتيار النصـوص بالسمـات العامة للـعقائد والوقـائع التاريخـية المشـهورة، وإبراز آراء ابن تيـميـة التى تنقض مـذاهب الشيـعـة بالبراهين النقليـة والعقلية.

وكان اهتمامى بمسائل النزاع حول **الإمامة بين السنّة والشـيعة**، وتصحيح مفاهيم كثيرة يقع فـيها المسلمون من أهل السنة تتصل بالعقائد والعـبادات ومكانة الصحابة رضى الله عنهم، والتـاريخ والفرق الإسـلاميـة، مع الحرص على التـخلص من التكرار والبعد عن الجدل العميق فى دقائق مسائل العقيدة عند الرد على الفلاسفة والمتكلمين مما يدخل فى دائرة البـحوث المتـخصصـة ولا يهتم بهـا عامـة القراء، وتصحيح الوقـائع التاريخية التى أسـاء بها الشيعة للصـحابة -رضى الله عنهم-،

(١) مجموع الفتاوى صـ ٣٥ صـ ١٥٩ / ١٦٠.

(٢) يرى الدكـتور إبراهيم النـاصر أن هذا هو الوصف الأدق لهـذه الحـرب، لأن إسرائيل فى قلب الحـدث تخطيطًا وإعدادًا ومشـاركة (مقال بعنوان «الحوادث المعـاصرة» رؤى ومواقف وعبر -مجلة (البـيان) العدد رقم ١٨٧ ربيع الأول سنة ١٤٢٤ هـ - مايو سنة ٢٠٠٣ م.

إذ قـام ابن تيـمية بتصحيح الروايات التاريخيـة الملفقة وإثبات زيفها؛ مع دحض المفتريات حول الخلفاء الراشدين الثلاثة: **أبى بكر وعمر وعثمان** -رضى الله عنهم-.

وقد تابعه **الشيخ محب الدين الخطيب** -رحمه الله- الذى أخذ يدعو إلى تصحيح التاريخ أمـام شباب المسلمين الذين يدرسـون هذه الحقبة التـاريخية الهامـة بصورة مشوّهة، وقد أضاف الشيخ بمقدمته وتعليقاته قيمة علمية زائدة عن قيمة الأصل.

والكتاب مفيد كـمرجع للدراسات الإسلامية حول عقـائد السنّة والشيعة بمنهج مقارن، ومـصدر للدراسات التـاريخية الصحـيحة التى تُنقّى الأحداث مـن الحشو الكاذب والأغـاليط المتعـمدة للإساءة إلـى عصور الصـحابة والتـابعين، والحق أن قرونهم أفضل القرون بعد النبى ﷺ، بالموازنة بما حدث بعدهم، كما يشهد بذلك الكتاب والسنّة.

ونسأل الله تعالى أن يـوحد صفوف الأمة لمواجـهة الكوارث الحالية والمستـقبلية التى يخطط لها أعداؤها وأن يرينا جميعًا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه، وقد خصصنا مدخل الكتاب لبحث موضوعين: **أحدهما**: التعريف بالنشأة والعقائد الشيعية، **الثانى**: الشيعة المعاصرون.

ونسأله تعالى أن يقبل عملنا خالصا لوجهه الكريم.

مصطفى بن محمد حلمى

الإسكندرية فى ٦ رجب سنة ١٤٢٥هـ

٢٢ أغسطس سنة ٢٠٠٤م

المبحث الأول

فرق الشيعة وعقائدها

يعرف الشهرستانى الشيعة بقوله:

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليًا وإما خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمامة بتنصيبهم، بل هى قضية أصولية، وهى ركن الدين، لايجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولاتفويضه إلى العامة وإرساله[1].

ويتضح من ذلك أن مفترق الطرق بين أهل السنة والشيعة هو الاعتقاد فى الإمامة، حيث يتفقان على كون الإمامة هى الزعامة أو الرئاسة فى أمور الدين والدنيا وهى نيابة عن الرسول ﷺ.

ولكن الاختلاف بينهما فى اعتقاد الشيعة أنه منصوص على شخص الإمام بعد النبى ﷺ، وأنه معصوم، وسنعود لتفنيد هذا الاعتقاد وبيان موقف علماء السنة بالأدلة.

يقول أحد علماء الشيعة المعاصرين: (فالإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية التى تحتاج إلى النصب من الله تعالى سوى أن الإمام لا يوحى إليه كما يوحى إلى النبى ﷺ، فكما أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة ويؤيده بالمعجزة تصديقا لدعوته، فكذلك يختار من يشاء للإمامة ويأمر نبيه ﷺ بأن ينص عليه)[2].

---

(١) الشهرستانى: كتاب الملل والنحل-القسم الاول ص ١٣١ تخريج محمد بن فتح الله بدران-مكتبة الأنجلو المصرية-١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.

(٢) السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى: الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم ص ٥٨-الدار الزهراء-بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

ومادام الأمر كذلك فقد نشأت مشكلة بيان حكمهم على من حارب عليا رضى الله عنه، فمنهم من كفرهم ورماهم بالضلال وشهدوا بذلك على طلحة والزبير ومعاوية بن أبى سفيان، وكذلك قالوا فيمن ترك الائتمام به بعد الرسول ﷺ.

وفرقة ثانية زعموا أن من حارب عليا فاسق، ليس بكافر، إلا أن يكون حارب عليا عنادًا للرسول ﷺ وردا عليه، فهم كفار.

وكذلك يقولون فى ترك أصحاب رسول الله ﷺ الائتمام بعلى بن أبى طالب بعده: أنهم إن كانوا تركوا الائتمام به عنادا للرسول ﷺ وردا عليه فهم كفار، وإن كانوا تركوا ذلك لا على طريق العناد والتكذيب للرسول ﷺ والرد عليه، نافقوا ولم يكفروا[1].

ولهذا الموقف أثره أيضا على نظرتهم للصحابة رضى الله عنهم بعامة.

وكان التشيع قد نشأ أول ما نشأ عندما حدثت المفاضلة[2] بين على وعثمان رضى الله عنهما أى أنه كان فى بدايته اتجاها عاطفيا لادخل فيه لعناصر عقلية بل لم يكن الشيعة الأوائل ينالون من أبى بكر وعمر باعتراف شيوخهم أنفسهم، فقد سُئل شريك بن عبد الله القاضى «أنت من شيعة على وتفضل أبا بكر وعمر؟ فقال: كل شيعة علىّ على هذا. هو يقول على أعواد هذا المنبر خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر أفكنا نكذبه؟ والله ماكان كذابا».

وكانت الإمامة أو الخلافة هى الحجر الأساسى إذن فى ظهور الأفكار الشيعية كما قدمنا ومؤدى عقيدة التشيع أن عليا بن أبى طالب هو الإمام بعد رسول الله ﷺ بالنص الجلى الواضح فى بعض الأحاديث أو بالنص الخفى المستقر بين أسطر القرآن ومعانيه وأن الإمامة لاتخرج عنه وعن أولاده إلا بظلم أو تقيه[3].

واعتقدت طائفة الشيعة اعتقادا جازما أن إمامة على قد نص عليها نصا يقينيا،

(١) الأشعرى: مقالات الاسلاميين جـ١ ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) وأطلق عليهم اسم الشيعة (المفضلة).

(٣) د. على سامى النشار-التفكير الفلسفى فى الإسلام(مذاهب وشخصيات)ص ١٠٧-دار الكتب الجامعية بالإسكندرية١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

وأن النبى ﷺ قد نص على إمامة على للمسلمين من بعده، ولذلك جعلوا الإيمان بالإمامة جزءًا من الإيمان ومتمما للشهادتين.

ويقول أستاذنا الدكتور النشار رحمه الله تعالى.

(وكان الإيمان بالإمام يتتبع موالاته بمعنى الانتماء إليه-والبراءة من أعداء الإمام ولعنهم. . والإمام معصوم وهو مصدر التشريع بعد القرآن والسّنة المؤكدة عن طريق أهل البيت وحدهم. . والإمام هو الوارث للعلم النبوى وهو يعلو على البشر باتصاله الدائم بالعلم الإلهى. . فالعلم الغيبى للأئمة هو أشبه بالوحى. . وإذا كان الإمام مصدر المعرفة ومصدر الوجود، فلا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية)[1].

ومن أهم الأسباب التى دعت الشيعة إلى القول بعصمة الأئمة هى:-

أولاً: أن الإمام صاحب السلطة وليست الأمة.

ثانياً: نسب الشيعة للإمام (العلم الإلهى) وهو علم سرى فى كتب وجوامع الجفر والجامعة ومصحف فاطمة. . إلخ. . . وتحتوى هذه الكتب على علم ما هو كائن وما سيكون والإمام حامل هذا العلم ولابد أن يكون معصوما من الخطأ والنسيان.

ثالثاً: أن النور الإلهى- نور محمد ﷺ هو المستودع والمستقر فى إمام، فكيف يكون هذا الإمام عرضة للخطأ؟

رابعاً: أن الإمام هو مصدر الأحكام، وله وحده مطلق التصرف فى أعناق المسلمين والحكم من الإمام مباشرة عن تلق أو عن اجتهاد واجتهاده معصوم، فلا إجماع إذن ولاقياس، وإنما نص قرآنى أو حديث عن إمام أو اجتهاد[2].

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام للدكتور النشار صـ١٧٨
(٢) نفس المصدر باختصار صـ١٧٩/ ١٨٠

● الشيعة والأحاديث الموضوعة:

وقد تداول الشيعة الأوائل على لسان بعض أسلافهم الأحاديث (التى تثبت إمامة على بن أبى طالب -رضى الله عنه- بعد الرسولﷺ وحملوه ما يطيق وما لايطيق من آثار وآراء تؤيد وجهة نظرهم، فذهبوا إلى عصمة على، وقالوا إنه وارث العلم النبوى الخاص، وآمنوا أن الرسولﷺ ترك لعلى كتبا خاصة هى: مصحف فاطمة وعلى هامشه علم ما كان وما يكون وما هو كائن.

وكتاب الجفر الجامع أو الجامعة وفيه صحف الأنبياء من آدم حتى خاتم النبيين محمد ﷺ الذى أورث صحفه لعلى وسلمها له، وهو بذلك يكون خاتم الأوصياء، ثم كتابين آخرين هما: الجفر الأبيض والجفر الأحمر)[١].

● عبدالله بن سبأ ودوره فى التشيع:

أما الشيعة الغالية فتُنسب إلى عبدالله بن سبأ أو ابن السوداء الذى تجمع المصادر على أنه كان يهوديا يمنيا فأظهر الإسلام، ورسم الصورة الأسطورية حول على بن أبى طالب رضى الله عنه فرفض التصديق بموته، وقال: (إنه لم يمت وأنه سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيام، فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا... وهذا هو مبدأ (الرجعة) أى رجعة الأموات إلى الدنيا)[٢] وهو أول من أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة رضى الله عنهم وأعلن التبرؤ منهم- أى رفضهم[٣].

ويُطلق اسم السبئية على أعوانه وتتلخص أهم آراؤهم فى الآتى:-

١ - النص على وصية على وكذلك النص على إمامته.

٢ - القول بمعراج علىّ الروحى أى أنه صعد إلى السماء بروحه، أى أن عليا لم يُقتل.

(١، ٢، ٣) التفكير الفلسفى فى الإسلام(مذاهب وشخصيات للدكتور النشار-دار الكتب الجامعية بالإسكندرية صـ ١١١ .

٣ - القول بتناسخ الجزء الإلهى فى علىّ والأئمة من بعده، وهى فكرة الحلول[1].

وأكبر طوائف الفرق الشيعية فى عصرنا الحاضر هى:

١-الإثنى عشرية.

٢-الزيدية.

٣- الإسماعيلية (أوالباطنية).

١- الإثنى عشرية:

ويعد الشيعة المعتدلة الإثنى عشرية التى تُنسب إلى جعفر الصادق وهى تقول بإمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم تتسلسل الأئمة بعده حسب الترتيب الآتى:-

- **الأول:** أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه استشهد فى ٢١ رمضان بالكوفة على يد عبد الرحمن بن ملجم عام٤٠هـ.
- **الثانى:** الحسن بن على رضى الله عنهما. مات فى ٧صفرسنة٥٠هـ
- **الثالث:** الحسين بن على رضى الله عنه قتل سنة ٦١هـ.
- **الرابع:** على بن الحسين زين الدين توفى عام ٩٥هـ.
- **الخامس:** محمد بن على الباقر توفى عام ١١٤هـ.
- **السادس:** جعفر بن محمد الصادق توفى عام ١٤٨هـ.
- **السابع:** موسى بن جعفر الكاظم مات عام ١٨٣هـ.
- **الثامن:** على بن موسى الرضا مات عام ٢٠٣هـ.
- **التاسع:** محمد بن على التقى الجواد توفى عام ٢٢٠هـ.

(١) نفسه صـ١١٣

- **العاشر**: على بن محمد الهادى توفى عام ٢٥٤هـ.
- **الحادى عشر**: الحسن بن على العسكرى توفى عام ٢٦٠هـ.
- **الثانى عشر**: الإمام محمد بن الحسن الغائب المهدى المنتظر ولد فى ١٥ شعبان سنة ٢٥٦هـ.

ويرى الشيعة أنه غاب غيبتين الصغرى فى عام ٢٦١هـ والكبرى عام ٢٣٩هـ.

ويورد صاحب كتاب(الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم) أقوالا كثيرة على ألسنة أهل السنة ليثبت صحة عقيدة الشيعة فى المهدى المنتظر.

منها: قول الشعرانى فى كتابه(اليواقيت والجواهر) «واعلموا أنه لابد من خروج المهدى، لكن لايخرج حتى تمتلئ الأرض جورا وظلما، فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة. .يواطىء اسمه اسم رسول الله ﷺ يبايعه المسلمون بين الركن والمقام».

ومنها قول ابن حجر الهيثمى فى (الصواعق المرسلة):

(تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروج المهدى فى آخر الزمان، وأنه من أهل بيته ﷺ وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا ويصلى عيسى عليه السلام-خلفه. .) إلى أحاديث رواها أبو داود والترمذى والطبرانى.

● مفترق الطرق .. فى المهدى المنتظر الغائب

ويخلص المؤلف من كل هذا إلى تقرير أن الاعتقاد بوجود المهدى ليس من خواص الشيعة وحدهم[1].

ولكن بالرجوع إلى هذه الأحاديث المروية فى كتب السنة لايتبين منها قط أن المهدى حى يرزق الآن، وهذا هو مفترق الطرق بين عقيدة السلف والشيعة فى

(١) السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى: الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم صفحة ٥٨.

(المهدى الغائب المنتظر).

ومستندنا فى هذه القضية أحد علماء الحديث الثقات هو عالم السلف الشهير الإمام ابن القيم، حيث عرض للروايات المختلفة ونقد رجالها ثم صنف الأحاديث فى (المهدى) إلى أربعة أقسام صحاح وحسان وغرائب وموضوعه فليرجع إليها من يريد الوقوف على تفاصيل ذلك[1].

ولكننا نكتفى بما أورده على وجه الإجمال، حيث اختلف الناس فى المهدى على أربعة أقوال:

- **القول الأول:**- أنه المسيح ابن مريم، وهو المهدى على الحقيقة.

وقد دلت السنة الصحيحة عن النبىﷺ على نزوله على المنارة البيضاء شرقى دمشق، وحكمه بكتاب الله وقتله اليهود والنصارى ووضعه الجزية، وإهلاك أهل الملل فى زمانه.

فهو إذن عليه السلام المهدى الكامل المعصوم.

- **القول الثانى:**- أنه المهدى الذى ولى من بنى العباس، وقد انتهى زمانه.

وفى سلسلة إسناد الحديث (على بن زيد) فإنه ضعيف وله مناكير تفرد بها، فلا يحتج بما ينفرد به.

- **القول الثالث:** أورد ابن القيم ثلاثة أحاديث اختار واحدا منها وعلق عليه كما سيأتى.

والحديث رواه أبو نعيم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «يخرج رجل من أهل بيتى، يعمل بسنتى، وينزل الله له البركة من السماء وتخرج له الأرض بركتها ويملأ الأرض عدلا،كما ملئت ظلما، ويعمل على هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس».

(١) ابن القيم- المنار فى الصحيح والضعيف ص١٤١-١٤٨تحقيق عبد الفتاح ابو غدة-مكتبة المطبوعات الإسلامية-حلب١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

ويرى ابن القيم أن فى كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضى الله تعالى عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق، المتضمن للعدل الذى يملأ الأرض. وهذه سنة الله فى عباده أنه من ترك لأجله شيئا أعطاه الله، أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين -رضى الله عنه، فإنه حرص عليها، وقاتل عليها، ولم يظفر بها، والله أعلم(١).

وعلى أية حال فإنه فى مقارنته بين الأحاديث الواردة فى المهدى عند أهل السنة، يقرر أنه إذا كان فى إسنادها بعض الضعف والغرابة، فهى مما يقوى بعضها بعضًا، ويشد بعضها ببعض(٢) والله تعالى أعلم.

متى يعود الإمام الغائب عند الشيعة

أما عقيدة الشيعة فى المهدى المنتظر عندهم، فتتمثل فى فكرة (الإمام الغائب)، وقد بدأت عند السبئية الأوائل ووصلت إلى الإثنى عشرية، وأدت إلى ظهور مشكلة وهى (**متى يعود الإمام الغائب؟**) فقام البعض بتحديد وقت ظهوره فى زمن معين وسموا (بالوقاتين) (بينما آمن أغلبية الشيعة الإثنى عشرية بإنكار الوقت، ويبدو ذلك فى دعائهم أمام مسجد الإمام الغائب فى سامراء «أشهد أنك الحق الثابت الذى لاريب فيه وأن وعد الله فيك حق، لاأرتاب فيك لطول الغيب أو بُعد الأمد اللهم طال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتظار، اللهم أرنا وجه إمامنا فى حياتنا وبعد المنون، اللهم إنى أدين لك بالرجعة بين يدى صاحب هذه البقعة... الغوث... الغوث.. الغوث)(٣) .

ويستطرد الدكتور النشار -رحمه الله- فيقول(ثم ظهرت فرقة «البابية» و«البهائية» مؤمنين بالوقت، منسلخين عن الشيعة الإثنى عشرية، بل منسلخين عن الإسلام كلية، حاقدين عليه أشد الحقد)(٤).

---

(١) نفسه صـ١٥١.   (٢) صـ١٥٢.

(٣) التفكير الفلسفى فى الإسلام للدكتور النشارصـ١٨٠. وقد لوحظ أن أتباع جيش المهدى بالنجف أثناء مقاومتهم للأحتلال الأمريكى ينادون بابتهال: «أدركنا يا صاحب الزمان [الحياة اللندنية فى ٢٠٠٤/٨/١٣ .

(٤) نفسه صـ١٨١.

٢ - الزيدية: نشأتهم .. وعقيدتهم

يتفق مؤرخو الفرق على أنهم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم.

ويذكر الشهرستانى أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى، عالم، زاهد، شجاع، سخى خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين رضى الله عنهما[١].

ويعطينا الأشعرى تفاصيل أكثر عن الإمام زيد فيذكر أنه كان يفضل عليا بن أبى طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، ويتولى أبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور[٢]، فلما ظهر فى الكوفة فى أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبى بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم(رفضتمونى) فيقال: أنهم سموا الرافضة لهذا السبب[٣].

ويتميز الزيدية بأنهم يرون جواز إمامة إمامين فى وقت واحد، وربما يرجع ذلك إلى بواكير الحركة على أيدى أئمتهم السابقين، حيث خرج الإمامان محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذان خرجا فى أيام المنصور وقتلا على ذلك، ومن هنا جوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان الخصال السابق ذكرها، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة[٤].

ومثل هذا الرأى يفتح الباب للاجتهاد أمام الفقهاء المعاصرين فى قضايا الفقه السياسى فى ضوء واقع الأمة الإسلامية، أى بعد انقضاء الخلافة الإسلامية.

ويقرر أستاذنا الدكتور النشار -رحمه الله - أن زيد بن على لم يكن شيعيا

(١) الشهرستانى: الملل والنحل ق١ ص١٣٧-١٣٨.
(٢) وكان هو نفسه قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك وقتل: مقالات جـ١ ص١٥٣.
(٣) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ١ صـ١٣٧.
(٤) الشهرستانى: الملل والنحل ق١ صـ١٣٨.

على الإطلاق، ولم تكن حركته للشيعة قط، وإنما هى حركة إسلامية استهدفت الخروج على الإمام الظالم، وكان يدعو أصحابه إلى الجهاد معلنا قوله: (إنى أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإحياء السنن وإماتة البدع، فإن تسمعوا كان خيرا لكم ولى، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل).

فلم يكن إذن فى دعوته وجهاده يذكر نصا أو وصية أو حقا إلهيا)[1]. وكان قد خرج على هشام بن عبد الملك فقتل فى الكوفة وخدعه أهلها كما خدعوا جده الحسين..

ويرى مؤرخو أهل السّنة أن سبب ذلك يرجع إلى مذهبه فى الإمامة (أى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل أى أنه أقر بإمامة أبى بكر وعمر وعثمان، رضى الله عنهم[2].

- وعلى أية حال، فإن الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، وينتشرون فى اليمن.

أما الشيعة الإثنى عشرية فيعيش أكثرهم فى إيران والعراق وينتشرون حول المشاهد فى بغداد والنجف وكربلاء، وهناك عدد منهم فى لبنان وسوريا والكويت والبحرين. وهناك أيضا أعداد كبيرة فى الهند وباكستان.

٣- الإسماعيلية

(وهم الذين قالوا بإمامة سبعة أئمة- والإمام الأخير عندهم هو إسماعيل بن جعفر-وهم ينقسمون إلى قسمين: البوهرا، ويتزعمها سلطان البوهرا وينتشرون فى الهند واليمن، وطائفة الإسماعيلية النزارية ويزعمها(كريم خان) وهى منتشرة فى الهند وباكستان وشرق إفريقيا، وتمتاز تلك الطائفة عن الطائفة الأولى بأنها أكثر

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام صـ١٣٩.
(٢) نفسه صـ١٣٨.

فلسفة وعمقا فى البحث النظرى، ويقدر عدد الإسماعيلية بحوالى سبعة عشر مليونا[1].

لا يميز مؤرخو الفرق عادة بين الإسماعيلية والباطنية، يقول الخوارزمى، (الإسماعيلية هم الباطنية، ويرى الغزالى أن من أسباب تلقبهم بالباطنية هو دعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن وإنها بصورتها الظاهرة كوهم عند الجهال والأغبياء صور جلية وهى عند العقلاء والأذكياء، رموز وإشارات إلى حقائق معينة والبعض يرى أن الإسماعيلية فرقة من الفرق الباطنية أو هى إحدى مظاهر الدعوى الباطنية التى اتخذت الأسماء المختلفة مع اتحادها فى الوسائل والأهداف كالقرامطة والنصيرية والدرزية والقاديانية والبهائية.

والواقع أننا حين نتكلم عن الإسماعيلية لانتكلم عن إحدى الطرق التى انقضت **وذهبت مع التاريخ ولكننا** نعرض لمعتقدات وحركات سرية مازالت تعيش فى قلب **العالم الإسلامى، وما الإسماعيلية** أو القاديانية أو البهائية إلا بمثابة فقاعات على **السطح تخفى فى أعماقها البؤرة اليهودية** التى مازالت تعمل لتقويض الإسلام **والقضاء على شوكة المسلمين** لاستمرار احتلال أراضيهم وإذلالهم ونهب خيراتهم.

ويلاحظ الدارس لظهور هذه الفرقة المنتسبة للإسلام زورا أن العلاقة طردية بين هجمات الصليبيين والتتار وقوة شوكة الباطنية فى الداخل تمهيدا للغزو الخارجى فلا غرابة إذن أن يحصل الباطنية ثمار محاولاتهم المذهبية فعندما انتشر عملاؤهم فى مصر وخراسان وبلاد فارس كان ذلك من الأسباب التى ساعدت الصليبيين على غزو البلاد الإسلامية فى أواخر القرن الخامس الهجرى، والحق أن الحروب الصليبية لم تنته فى الظاهر إلا فى القرن العشرين أى بعد أن نجحت بمعاونة الصهيونية فى هدم الدولة العثمانية والاستيلاء على بلاد المسلمين ومنها مدينة القدس وبها المسجد الأقصى، ثالث المساجد التى يشد إليها الرحال، كما ورد فى الحديث النبوى.

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام ، دكتور النشارص١٠٩/ ١١٠. ويتخذون من إسماعيل بن جعفر إماماً سابعاً، بدلاً من موسى بن جعفر الكاظم عند الشيعة الإثنى عشرية.

أما فى الواقع، فـإنها لم تنته وأن مشـاهدة ومتابعة الحـروب ضد المسلمين منذ البوسنة والهرسك ثم أفغانستان وأخيرا تأتي نكبة العراق لتؤكد ذلك[1].

ونشأة اسم الإسماعيلية يرجع إلى افتراقـها عن الإثنى عشرية فى انتقال الإمامة من موسى الكاظم حينما إتخذت الأخيـرة الإمام الكاظم باعتباره الإمام السابع فى سلسلة الأئمة نقلت الإسماعيليـة أئمتها إما بإضافة إسماعيل بن جـعفر أو محمد إبن إسماعيل.

ويحدثـنا النوبختى عن الإسـماعـيلية عند ظهـورها فيـذكر أنها أنـكرت موت إسماعـيل أثناء حياة أبيه وزعمـوا أن أباه غيبّه عن الناس وأخـبر بموته ولذا فإنهم يعتقـدون أن إسماعيل لايموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمـر الناس وقد انتقلت إليـه الإمامـة من أبيـه لأن أباه أشار إليـه بالإمـامة. وتكونت العـقـائد الباطنيـة الإسماعيليـة الأولى على أثر موت محمد بن إسماعـيل إذ ادعى بعض أتباعه أنه المهدى وأنه سيـبعث بشريعه جـديده تفسخ شريعة نوح وإبراهيم ومـوسى وعيسى ومحمد ﷺ ويضيفون عليا ومحمد بن إسماعيل أما تعليل هذا العدد (أى السبعة) فيرجع فى زعـمهم إلى أن النظامين الكونى والإنسانى قائمـان على هذا العدد فإن السماوات والأرضين سبع وكذلك الجسد الإنسانى يتكون من سبعة أعضاء والأئمة سبعة فأتمهم محمد بن إسماعيل.

وتناولت هذه الطائفة نسخ الشريعة الإسلامية بأحاديث نسبوها إلى الإمام جعفر الصادق ومنها أنه قـال (لو قام قائمنا لعلمتهم القرآن جـديدا وأنه قال بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء)[2].

وترى هذه الطائفة شأنها فى ذلك شأن الباطنية جميعا أن الفرائض والسنن التي أتى بها محمدﷺ لهـا ظاهر وباطن وأن جميع ما استعبد الله به العـباد (ماوضعه

---

(١) ينظر كتاب (حروب صليبية بكل المقاييس) للدكتورة زينب عبد العزيز. دار الكتاب العربى دمشق/القاهرة ٢٠٠٣م.

(٢) التفكير الفلسفى فى الإسلام صـ ١٩٤.

من عبادات ، فى الظاهر من الكتاب والسنة هى أمثال مضروبة لها تتمّة أو معان هى بطونها، بعبارة أخرى فإن ظواهرها هى جزء من العقاب الأدنى، عذب الله بها قوما إذا لم يعرفوا الحق ولم يقولوا به.

من هذا نفهم أن الشريعة عندهم هى عقاب يكلف به من لم يعرف إمام زمانه الذى يرفعها عنه. وإلى الإسماعيلية تُنسب رسائل إخوان الصفا. التى حاولت الإلمام بجميع نواحى الفلسفة اليونانيه ويتضح فيها شكل خاص الغنوصية (أى المعرفة عن طريق الإشراق لدى أفلوطين السكندرى) لتثبت معرفة الأئمة بعلوم باطنية لايعرفها سواهم.

وقد اتخذ الدعاة الإسماعيليون كما سنري عند حمدان بن الأشعث كنموذج كل الوسائل لنشر دعوتهم فاستخدموا التصوف واستمدوا بعض أساليبه واستخدموا المذهب المعتزلى ووجدوا أعوانا فى أوساط الشعوبية.

ونتيجة لذلك دخل فى أعماق المذهب الإسماعيلي مزيج غريب من المعتقدات والآراء حيث أراد الدعاة أن يستسيغوا أويشيعوا أو يرضوا رغبات ومتعقدات المزيج الغريب من البشر الذين حاولوا جذبه إلى موالاة الإمام الإسماعيلى حدث كل ذلك فى سرية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً [1]. وهم أصحاب حركة القرامطة الباطنية التي تُنسب إلى حمدان بن الأشعث الذى اشتهر بزهده وكان فقيرا ومن عادته السير بخطوات متقاربة فدعى بقرمطى. ودعى إلى المذهب الإسماعيلى وكان قبل ذلك يدعى الكيسانية أى يؤمن بمهدية أحمد بن محمد بن الحنفية.

ويقول عنهم ابن كثير أن القرامطة تحركوا عام ٢٢٨هـ ويصفهم بأنهم من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة وكانوا يبيحون المحرمات ويتبعون كل ناعق من جهة الرافضة)[2].

(١) د. النشار-التفكير الفلسفى فى الإسلام ص١٩٩.
(٢) ابن كثير-البداية والنهاية ج٥ ص٣١٠.

أخذ حمدان هذا يرسل الدعاة إلى البلاد القريبة فأرسل أبا سعيد الجبائى كما يذكر البغدادى إلى البحرين وتغلب عليها. كما أرسل زكرويه بن مهرويه إلى شمال العراق كما أرسل أخاه حمدان فى أرض فارس أما أهم دعاته فقد كان صهره وصديقه الداعى عبد الله وقد أنشأ سويا دار الهجرة.

ويروى المقريزى عنه أنه أقام الدعاة فى كل قرية ليجمع الأموال. وينفق على الأتباع ما يكفيهم بحيث لايملك أحد منهم إلا سلاحه، فلما استقر المقام له بعد ذلك كله أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ويختلطن بالرجال وقال أن ذلك من سمة الود والألفة منهم.

وربما كان هذا التصرف ما أدى ببعض الدراسات التاريخية المعاصرة وصف الحركة بالاشتراكية، فمن الملاحظ أن أصحاب التفسير المادى للتاريخ جعلوا من الحركات السرية الباطنية حركات تحررية ثورية تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية، بينما حقيقة أمرهم تحطيم كيان الأمة الإسلامية فى أعز مقدساتها وهى العقيدة.

وكان أخطر انحراف ظهر بالقرامطة هى غزوهم للكعبة سنة ٣١٧هـ يوم التروية برئاسة أبى طاهر الجنابى فقتلوا الحجيج وانتهكوا أموالهم ولم يسلم منهم أحد سواء فى رحاب مكة أو فى المسجد الحرام أو فى جوف الكعبة واقتلعوا الحجر الأسود فمكثت عندهم اثنين وعشرين سنة...

ومنهم أيضا عبيد الله بن ميمون القداح (توفى ٣٢٢هـ) الذى زعم أنه من نسل فاطمة رضى الله عنها، ثم تمكن حفيده المعز من إنشاء الدولة المسماة **بالدولة الفاطمية** بمصر والمغرب واستمرت نحو مائتى عام حتى أزالها صلاح الدين.

يقول الإمام ابن القيم (وكان جده يهوديا من بيت مجوسى، فانتسب بالكذب والزرو إلى أهل البيت وادعى إنه المهدى الذى يبشر به النبىﷺ، وملك وتغلب واستفحل أمره، إلى أن استولى ذريته الملاحدة المنافقون -الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله- على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام. واشتدت غربة

الإسلام ومحنته ومصيبته بهم. وكانوا يدَّعون الألوهية ويدعون أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها).

ويستطرد بعد ذلك فيصفهم بأنهم ملوك القرامطة الباطنية، تستروا كذبا بالتشيع وانتسبوا زورا إلى أهل البيت ودانوا بدين أهل الإلحاد وروجوه، ولم يزل أمرهم ظاهرا إلى أن أنقذ الله الأمة منهم، **ونصر الإسلام بصلاح الدين** يوسف بن أيوب (٥٨٩هـ) فاستنقذ الملة الإسلامية منهم وأبادهم وعادت مصر دار الإسلام بعد أن كانت دار نفاق والحاد فى زمانهم[١].

ويرى الدكتور النشار أن المنهج الباطنى كان محاولة للقضاء على الإسلام وبخاصة فى الأماكن البعيدة عن مركز الدعوة [٢].

(١) ابن القيم : المنار المنيف فى الصحيح والضعيف ص ١٥٤ .

(٢) التفكير الفلسفى فى الإسلام، د/ النشار صـ٢٠٣.

موقف علماء السلف والسنة من التشيع

قبل التعرض للنقد لفرق الشيعة وتفنيد الآراء التى اعتنقوها وأعلنوها نرى استطلاع نظرة السلف وأهل السنة للفرق المنشقة، وكيف بدأت تتخذ موقفًا محددا إزاءها، وذلك بوضع القواعد الثابتة، بحيث تتضح معالمها الرئيسية ومن ثم، يسهل معرفة الخارجين عنها، وأسباب انشقاقهم عن صف الجماعة.

وتظهر البوادر الأولى فى قول أبى حنيفة عندما سئل عن أهل الجماعة فأجاب (الجماعة سبعة أشياء، أن يفضل، أبابكر وعمر وأن يحب عثمان وعليا وأن يصلى على من مات من أهل القبلة بذنب، وألا ينطق فى الله بشىء من رأيه، ولكنه يصفه بما وصف به نفسه)[1].

وكذلك قال صاحب أبو سيف «مذهب أهل الجماعة عندنا وما أدركنا عليه جماعة أهل الفقه ممن لم يأخذ من البدع والأهواء أن لا يشتم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ولايذكر فيهم عيبا ولايذكر ما شجر بينهم فيحرفوا القلوب عنه وأن لايشك بأنهم مؤمنون وأن لايكفر أحدا من أهل القبلة ممن يقر بالإسلام ويؤمن بالقرآن ولايخرجه من الإيمان بمعصية إن كان فيه ولايقول بقول أهل القدر».

ونلخص موقف علماء السنة والسلف فيما أثير من موضوعات على النحو التالى:

أولا: موقفهم من الخلفاء الراشدين:

من المتواتر أن أبا بكر لم يطلب الخلافة برغبة ولا برهبة، فلا بذل فيها مالاً ولاشهر عليها سيفا، ولا كانت له عشيرة ضخمة، ولا عدد من الموالى تقوم

(١) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩٨-٣٨٩ تحقيق عبد الصمد شرف الدين. ط بمباى الهند ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

بنصره، بل، ولاقال: بايعونى، وإنما أشار فى سقيفة بنى ساعدة ببيعة عمر أو أبو عبيدة. ثم الذين بايعوه طائعين هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ الذين رضى الله عنهم، فقاتل أبو بكر بهم المرتدين وفارس والروم وثبت بهم الإسلام فلما جاءه اليقين(الموت) خرج من الدنيا أزهد مما دخل فيها، ولم يستأثر فيها بشىء عن الرعية ولا آثر قرابته بل نظر إلى أفضلهم فى نفسه فولاه عليهم وهو عمر رضى الله عنه، فأطاعوه كلهم، ففتح الأمصار وقهر الكفار، وأذل أهل النفاق، وبسط العدل ووضع الديوان والعطاء لازما لعيش من قلة فى مأكله، ومشربه، وملبسه، حتى خرج منها شهيدا لم يتلوث لابمال ولا ولى أحدا من أقاربه ولاية، وهذا أمر يعرفه كل من يعرف وينصف.

ثم بايعوا عثمان كلهم طوعا منهم فصاروا على أمر قد استقر فى عهده وفى عهد من قبله بسكينة وهدى ورحمة وكرم ولين لكن لم تكن فى عثمان رضى الله عنه قوة عمر ولاسياسته التى بهرت العقول فطمع فيه الناس بعض الطمع وتوسعوا فى الدنيا، وكثرت عليهم الأموال وتحركت اليهود لإثارة الفتن مستغلة بعض الأوضاع السائدة حين ذلك.

كذلك ثبت أن عليا لم يطلب الأمر لنفسه فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ولم يبايعه أحد على الخلافة أيام الخلفاء الثلاثة.

ثانيا: الخلافة أو الإمامة:

١-وضع الشيعة مسألة الإمامة فى المكان الأول من الأهمية كما رأينا وعدوها أهم المطالب فى أحكام الدين ليس هذا فحسب بل أدخلوها ضمن العقائد الإيمانية، وقد تعرضت هذه الفكرة للنقد الشديد بواسطة أهل السنة والجماعة لأن القواعد التى بنى عليها الإسلام معروفة محفوظة، وأولها الشهادة فهى تنقل غير المسلمين إلى الإسلام، ولم يحدث أن ذكر الرسول ﷺ مسألة الإمامة حين كان

يدعو الناس للإسلام، وإنما دعا إلى الشهادة فحسب كما لم تظهر حاجة المسلمين للإمامة حال حياته لأنه صلوات الله عليه وسلم كان إمام المسلمين.

وإذا افترضنا أن الإمامة هى أهم أصل من أصول الدين لكان من الجدير أن يوضحها الكتاب الكريم، ولأظهرتها السنة فإن القرآن بين أيدينا يتضمن مواضيع عدة تتناول ذكر الخالق سبحانه وتعالى وصفاته وآياته ومخلوقاته كما يحتوى على قصص الأنبياء والرسل، وينص فيه على الفرائض التى كلف المسلمون بأدائها، فلو كانت أهم مسائل الدين لنص عليها الكتاب كما فعل بالنسبة لغيرها من الموضوعات، ولكنها فى الحقيقة ليست أشرف المسائل. هذا هو الدليل الأول.

٢ - أما الدليل الثانى: فهو أن المصنفين فى أصول الدين يذكرون مسائل أكثر أهمية منها. هى التوحيد والعدل والنبوة ثم يأتون بالإمامة فى نهاية المطاف، كذلك رتب المعتزلة أصولهم الخمسة حسب درجاتها من الأهمية، فوضعوا الأصل الخامس-وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر-الذى تتعلق به مسائل الإمامة فى آخر هذه الأصول من حيث الترتيب.

والآن: نتساءل ما هى الخلافة أو الإمامة عند أهل السنة ما دام هذا المنصب هو محور الخلاف الأساسى بينهم وبين الشيعة؟ للإجابة على ذلك نوجز القول بمايلى:

الإمامة أو الخلافة عند أهل السنة(١) :

يظهر تعريف الإمامة عندهم من سياق فكرتهم عن دور الإمام من حيث قيادته للمسلمين وتطبيق قواعد الدين وتقيّده بأحكام الشريعة أو كما يعرفها الماوردى بأنها «موضوعة بخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا» فهو تبعا لتصور أهل السنة فى الإمامة يربط بين معنى الخليفة ومعنى الإمام فالاثنان مترابطان، ويذهب ابن خلدون إلى نفس الرأى (وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما).

---

(١) ينظر كتابنا نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى.. دار الدعوة بالإسكندرية..

وقد عبر الإمام أحمد بن حنبل عن موقف السلف من هذه القضية الهامة فى رسالة عبدوس بن مالك العطار حيث قال: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ . . . إلى أن قال: ومن ولى الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فدفع الصدقات إليه جائز برًا كان أو فاجرًا).

وعندما سئل عن تفسيره لحديث الرسول ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية». قال: تدرى ما الإمام؟ الإمام الذى يجمع عليه المسلمون كلهم بقول: هذا إمام.

وبتطبيق رأى الإمام أحمد على خلافة الخلفاء الراشدين- لاسيما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما-نصل إلى قاعدتين هامتين رسخهما علماء السنة والسلف فى مجال الفقه السياسى الإسلامى:

القاعدة الأولى:

فى كون أبى بكر كان هو المستحق للإمامة-وليس غيره-وأن مبايعة الصحابة له مما يحبه الله ورسوله ﷺ، فهذا ثابت بالنصوص والإجماع.

القاعدة الثانية:

تستحق الخلافة أو الإمامة بمبايعة أهل القدرة، لذلك فإن عمر-رضى الله عنه-لم يصر إماما لمجرد عهد أبى بكر رضى الله عنه إليه، إنما صار إماما لما بايعه جمهور الصحابة وأطاعوه.

ولو فرضنا أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصرإماما سواء كان ذلك جائزا أو غير جائز.

ويعلل ذلك ابن تيمية فيفرق بين أداء البيعة كفعل من الأفعال الخاضعة لأحكام الحلال والحرام وبين استحقاق الولاية نفسها إذ أن (الحل والحرمة متعلق بالأفعال، وأما نفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة. ثم قد تحصل على

وجه يحبه الله ورسوله ﷺ كسلطان الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على وجه فيه معصية كسلطان الظالمين).

وحتى إذا فرضنا أن بعض الناس كان كارها للبيعة، فإن ذلك لايقدح فى مقصودها فإن نفس الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية الدالة على أنه أحقهم بها. ومع قيام الأدلة الشرعية لايضر من خالفها ونفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان بمطاوعة ذوى الشوكة.

والخوض فى هذه التفاصيل الخاصة بالبيعة والولاية واستحقاق الإمامة لايبعد بنا عن الغرض الجوهرى من ذلك كله- ألا وهو إقامة شرع الله ونصرة دينه.

وهنا يقول إبن تيمية (فالدين الحق لابد فيه من الكتاب الهادى والسيف الناصر) كما قال تعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**﴾ (الحديد: ٢٥) وتفسير الآية أن الكتاب يبين ما أمر الله به ومانهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده. وبناء على تطبيق ذلك على خلافة أبى بكر-وهى الخلافة القدوة التى ينبغى أن يتخذها المسلمون أسوة- ثبتت خلافته بالكتاب والسنة، أن الله أمر بمبايعته والذين بايعوه كانوا أهل السيف المطيعين لله فى ذلك فانعقدت خلافة النبوة فى حقه بالكتاب والحديد[1].

- أما كيف يتم اختياره؟

فقد أوضح أهل السنة السبيل إلى ذلك عن طريق أهل الحل والعقد أو أهل الصلاح والعلم، وقد اختلف شيوخ أهل السنة والجماعة فى مسألة عدد أهل الحل والعقد ولكننا لانرى بأسا فى هذا الاختلاف إذ يدلنا على أن الأمر متروك للاجتهاد ووفقا لمصالح المسلمين على مدى العصور لتنظيم مصالح الجماعة الإسلامية فى شئون الحكم والسياسة وفقا لظروف ومقتضيات الأزمنة المتعاقبة واختلاف البيئات والمجتمعات وصمام الأمن.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة جـ١ ص١٤٢.

ومع ذلك كله فإن اتفاقهم على أن مسؤولية الخليفة ونوابه هى حفظ أمور الدين والدنيا.

ولنترك الجوينى يوجز لنا هذا المقصد فيذكر(أن مطلوب الشرائع من الخلائق على تفنن المسالك والطرائق «الاستمساك بالدين والتقوى والاعتصام بما يقربهم إلى الله زلفى»[1].

بقى بعد ذلك كله أن نعرف أنه بالإضافة إلى موضوع الإمامة فإن للشيعة الإثنى عشرية ثلاثة أصول أخرى هى التوحيد، العدل، النبوة.

وفى هذا الصدد يقول ابن المطهر الحلى«ذهبت الإمامية إلى أن الله عدل حكيم لايفعل قبيحا ولايخل بواجب وإنه لايفعل الظلم ولاالعبث وإنه رؤوف بالعباد وإنه لما بعث الله محمداﷺ قام بنقل الرسالة ونص على أن الخليفة بعده على بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين... إلخ وأن النبىﷺ لم يبت إلا عن وصية بالإمامة، فنصب أولياء معصومين يأمن الناس غلطهم وسهوهم)[2].

وقد جاء الشيعة المتأخرون كما يرى الدكتور النشار فى مسألتى التوحيد والعدل إلى أصول المعتزلة واعتنقوها.

أما النبوة فليست ثم خلاف جوهرى بينهم وبين أهل السنة والجماعة فكلا الفريقين يختم النبوة بمحمد ﷺ.

أما من حيث التشريع فالإمام عندهم هو مصدر التشريع بعد القرآن. وللسنة المؤكدة لاتأتى إلا عن طريق أهل البيت ولايقبل الشيعة إسنادا إلا عن طريقهم أى بعبارة موجزة لا إجماع ولاقياس وإنما نص قرآنى أو حديث عن إمام أو اجتهاد منه[3].

---

(١) الجوينى- غياث الأمم فى التياث الظلم ص٥١ تحقيق د. مصطفى حلمى ود. فؤاد عبد المنعم -دار الدعوة- الإسكندرية ١٤٠٠هـ.

(٢) التفكير الفلسفي فى الإسلام، د/ النشار صـ١٧٥.

(٣) نفسه صـ١٨٠.

المبحث الثاني
الشيعة المعاصرون

ويمتد الحديث عن الشيعة إلى العصر الحديث بحكم استمرار دورهم فى التاريخ الإسلامى حتى الآن.

وقد أثبت الدكتور رفعت سيد أحمد أن المفاهيم العامة التى تروج داخل الفكر الشيعى لاتزال معاصرة وهى (العصمة والمهدى والرجعة والتقية)[1].

وكانت الآمال معقودة على الثورة الإيرانية فى بدايتها لتدعيم الصحوةالإسلامية وشد أزر الشعوب الإسلامية المستضفعة كما ورد فى بيان للخمينى ونصه:

(إن البشرية اليوم تعانى من تنازع القوى الشيطانية العظمى على افتراس الشعوب المستضعفة، والشعوب مستضعفة كلها، ونحن بحاجة إلى إمام حنون عطوف يخرجها من هذه الأزمة الراهنة ويعيد لها حريتها المسلوبة، ويقطع أيدى المستكبرين العاملين على نزع ذخائرها وثرواتها، ويقيم حكومة الله على بقعة من بقاع الأرض، ويمهد الطريق لإقامة الحكومة الإلهية الكبرى على كافة أرجاء المعمورة)[2]. وفى قول آخر له (إذا كانت الصفوات العلمانية التى أصابها التغريب عاجزة عن قيادة النضال فليكن البديل هو الإسلام والصفوة الإسلامية)[3] ، ولكن جاءت التطورات مخيبّة للآمال.

وتغلبت المصالح السياسية والاقتصادية والتعصب المذهبى وسقطت الشعارات تحت وقع أقدام التعاون مع الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها فى غزو أفغانستان،

---

(١) د/ رفعت سيد أحمد: الحركات الإسلامية فى مصر وإيران صـ١٤٦ ط سينا للنشر سنة ١٩٨٩ م.

(٢) محمد جواد المهدى: جوانب من أفكار الإمام الخومينى ، طهران، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامى ١٤٠٢ هـ صـ٦٩ -نقلا عن كتاب (الحركات الإسلامية فى مصر وإيران) تأليف د/ رفعت سيد أحمد صـ٣٩ ط سينا للنشر بالقاهرة ١٩٨٩م.

(٣) السابق صـ٢٠٨.

والموقف المريب نحو نكبة حرب العراق، وكان المتوقع بناء على بيانات الخمينى عند بداية الثورة أن يكون غير ذلك.

وكتب توماس فريدمان الصهيونى المتعصب مقالا فى عموده الشهير (بالنيويورك تايمز) يدعو فيه أمريكا -قبل حرب العراق بعام- إلى التحالف مع إيران بدلا من السعودية وباكستان وسوّغ ذلك بعدة أسباب، منها مساعدة إيران لأمريكا فى إسقاط طالبان، وفى تشكيل الحكومة الانتقالية بكابل، وكذلك كتبت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية أن الولايات المتحدة تسعى لتحسين علاقتها مع الشيعة فى العالم الإسلامى.

* **ويتلخص تقييم الثورة الإيرانية باتجاهين متعارضين :**

أحدهما يرى فيها إنقاذًا للأمة الإسلامية من براثن الاستعمار الغربى وإحياءً لها بعد القضاء على الخلافة العثمانية إذ رفعت راية الدين مرة أخرى، والموقف الثانى يدينها بسبب تحولها من ثورة (إسلامية) بالمفهوم الواسع لإنقاذ الأمة قاطبة إلى دعوة (مذهبية) شيعية تسعى إلى تقوية نفوذها على حساب أهل (السنة).

وفى التحليل للأوضاع السياسية للمنطقة الأسيوية التى تضم تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان، يرى الأستاذ محيى عبد المنعم أن إيران ضيعت الفرصة لإقامة وحدة بين هذه الدول فى مواجهة الهند المتعاونة مع إسرائيل. و(راحت تروّج للمذهبية التى لن تقدم ولن تؤخر من حركة البعث والإحياء الإسلامية الحالية والتى جعلت أعتى الشيوعية فى أوزبكستان وكازاخستان وأذربيجان وغيرها.. يديرون ظهورهم للشيوعية وبدأوا يستلهمون من جذوة الماضى حرارة العودة للإسلام بعيدا عن المذهبية وبعيدا عن العصبية المقيتة)[1].

كذلك يصور الكاتب كيف تقف المذهبية عقبة فى تحقيق الوحدة بما فيها من مزايا سياسية واقتصادية، وتتجه بجهدها إلى محاولات عقيمة لا تفيد، فيقول:

(١) إيران وأربكان وصراع الخلافة، محى عبد المنعم صـ ٩٢. دار الكتاب العربى دمشق القاهرة سنة ١٩٩٨.

(فيكفى إيران فى الوقت الحالى أن تستغل حاجتها لباكستان وحاجة باكستان إليها على الأقل للوقوف فى وجه الشيطان الأمريكى «كما يسميه الإيرانيون والغول الهندى المدعوم من أمريكا والصهيونية والذى يتربص بباكستان ريب المنون.. هكذا يكون المسلك بدلاً من القفز فوق أسوار البلقان أو أسوار القوقاز فدعوهم فى حالهم أو ساعدوهم دون نية الاستدراج للمذهبية والعصبية..)[1].

إن محصّلة رصد التطورات بعد حربّى أفغانستان والعراق يرجحّ فكرة المذهبية بهدف اتساع رقعتها وتحقيق مصالحها، لا الطابع المعلن بأنها خطوة على طريق نهضة إسلامية من أغراضها الدفاع عن الأمة.

ويقول الأستاذ سعيد حوى -رحمه الله- فى تأريخه للثورة الإيرانية وبيان عقائد قائدها:

(أن الخمينى أعلن فى الأيام الأولى من انتصاره أن ثورته إسلامية وليست مذهبية، وأن ثورته لصالح المستضعفين ولصالح تحرير شعوب الأمة الإسلامية عامة ولصالح تحرير فلسطين خاصة، ثم بدأت الأمور تتكشف للمخلصين، فإذا بالخمينى هذا يتبنى كل العقائد الشاذة للتشيع عبر التاريخ، وإذا بالمواقف الخائنة للشذوذ الشيعى تظهر بالخمينى والخمينية، فكانت نكسة كبيرة وخيبة أمل خطيرة)[2].

وقد قام الأستاذ سعيد حوى بدراسة كتب الخمينى واستدل من فحواها على الشذوذ فى آرائه التى تتناول الغلو فى الأئمة باعتقاد أن لهم مقاما لا يبلغه ملك مقّرب ولا نبّى مرسل، والقول بتحريف القرآن الكريم، وتكفير الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة، ومخالفة الإجماع فى كثير من أمور العقيدة والعبادة ومناهج الحياة [3].

---

(١) نفسه صـ ٩٢.

(٢) سعيد حوى: الخمينية.. شذوذ فى العقائد وشذوذ فى المواقف صـ٣/ ٤ ١٤٠٧هـ -١٩٨٧ بدون اسم الناشر.

(٣) نفسه من صـ ١٢ إلى صـ ٣٢.

وبعد عرضه لروح السيطرة الغالبة على الثورة ومحاولة تشييع العالم الإسلامى، يرى سعيد حوى أن الخمينية كانت (انتكاسة للصحوة الإسلامية وكانت تحطيما لتطلعات دعاة الإسلام إلى عالم جديد) ويستدل على ذلك بأن طهران كلها ليس فيها مسجد واحد لأهل السنة[1].

ولقد تلاعب الاحتلال الأمريكى بأرقام الإحصائيات، موهمًا بالأغلبية الشيعية، بينما يتبين من آخر إحصاء وهو (الإحصاء الرسمى العراقى سنة ١٩٩٧م -فيه عدد ونسب السكان من السنة والشيعة، وفيه أن السنة فى العراق ١٦ مليونا و٣٧٣٩٦، وأن عدد الشيعة ٨ ملايين و١٩٦٠٤. وقد ذكر الإحصاء أن نسبة السنة ٦٥٪ وأن نسبة الشيعة ٣٤٪)[2].

ونقتطف ها هنا بعض الفقرات من مقال الأستاذ إبراهيم العبيدى الذى يلفت فيه إلى المخطط الشيعى الهادف إلى السيطرة على العراق بالتعاون مع قوات الاحتلال:

(علما بأن الإدارة الأمريكية والشيعة أنفسهم يعلمون يقينا أن أهل السنّة هم الأغلبية، استنادا إلى الإحصاءات السابقة والحديثة...

... وكان من بين تلك الوزارت التى حصل عليها الشيعة وزارة الداخلية.
... وأصبح العمود الفقرى لأجهزتها يتكون منهم، وهذه الأجهزة بدأت بالتعاون مع القوات الأمريكية فى تكثيف مهامها فى المناطق السنية بحجة ملاحقة عناصر المقاومة...

... وقام الشيعة باغتصاب عدد من المساجد السنية التى بلغت (٢٧) مسجدًا بحسب تصريح الدكتور حارث الضارى أمين عام جمعية علماء المسلمين عبر قناة الجزيرة فى برنامج بلا حدود.

.... وممارسة الضغوط على السنّة لإجبارهم على ترك مناطقهم والهجرة إلى

(١) نفسه صـ ٤٩

(٢) د/ سليمان الظفيرى (أكاديمى عراقى مقيم فى بريطانيا) مقال بعنوان: - أهل السنّة والجماعة، حقائق وآفاق مجلة (البيان) العدد ١٩٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٤هـ - أغسطس سنة٢٠٠٣م.

مناطق أخرى تضمن لهم سلامة العيش بعد أن أصبح الخطر يداهمهم. . وأصدرت (الحوزة) أمرًا بمنع دخول الكتب العلمية السنية تحت شعار (لا كتب سنية بعد اليوم فى الجنوب)[1] .

ومثل هذه السلوكيات تعيد إلى الأذهان خيانة الوزير ابن العلقمي الشيعى فى سقوط بغداد أيام التتار -عام ٦٥٦هـ - بسبب حقده على أهل السنّة -وكان يجتهد (فى صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر فى آخر آيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم فى أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنّة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يُبيد العلماء والمفتين)[2].

ويذكر ابن كثير فى تاريخه اختلاف الناس فى عدد القتلى ببغداد من المسلمين، فقيل ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف، وقيل بلغت القتلى ألفى ألف نفس (. . ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما)[3] .

فماذا كان مصير ابن العلقمى الذى طعن الأمة فى مقتل؟ وكيف كافأه التتار على خيانته العظمى؟

يقول ابن كثير (ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة والذل على أيدى التتار الذين مالأهم وزال عنه ستر الله، وذاق الخزى فى الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد

---

(١) مقتطفات من مقال إبراهيم العبيدى بعنوان (مكاشفة للأخوة فى العراق، المأزق الأمريكى وخيار الطائفة). مجلة البيان العدد ٢٠١ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - يونيو/ يوليو ٢٠٠٤م ويطالب فى نهاية مقاله بتوحيد جميع الجهود والطاقات لمقاومة قوات الاحتلال، لأنها السبب المباشر فى كل ما يجرى بالعراق، ولقطع الطريق عليها فى تأجيج واستثمار هذه الأمور.

(٢) البداية والنهاية لا بن كثير صـ ١٣ صـ ٢٠٢.

(٣) نفسه. مكتبة المعارف/ بيروت ومكتبة النصر/ الرياض بدون تاريخ.

وأبقى، وقد رأته امرأة وهو فى الذل والهوان وهو راكب فى أيام التتار برذونا وهو مرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه وقالت:

يا ابن العلقمى: هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتها فى قلبه وانقطع فى داره إلى أن مات كمدا وغبينة وضيقا وقلة وذلة.. وقد سمع بأذنيه ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين ما لا يحد ولا يوصف)[1].

ولا يعد حادث ابن العلقمى هذا حادثا فرديا أو استثنائيا، بل يعمم حكمه على الشيعه من استقراء تاريخهم فى التعاون مع أعداء أهل السنة فيصفهم ابن تيمية بأنهم (دائما يستعينون بالكفار والفجار على مطالبهم، ويعاونون الكفار والفجار على كثير من مآربهم، وهذا أمر مشهود فى كل زمان ومكان)[2].

يقول الشيخ السيد العربى (ابن العلقمى الشيعى وزير المستنصر يبيعه لجنكيزخان بثمن بخس ويسلم بغداد وما وراءها للمغول، بالأمس المغول، واليوم الصليبيون، والروافض هم هم لا يقل جرمهم عن جرم البعثيين، لقد سقطت بغداد فى ساعات بخيانة الروافض حين خرقوا جدارها المخرْق أصلا من قبل البعث)[3].

وبعد فقد استفحل الخطب واتضحت النوايا مؤيدة بالدراسات الموثقة والمواقف المعلنة وأصبح إجلاء الحقائق ضرورة ملحّة لأنها متصلة بمسائل عقدية إيمانية غير قابلة للتفريط ومازلنا نأمل حسم هذه القضية على أرض الواقع لتتطابق الأقوال مع الأفعال، فالمعركة على أشدها ولا تقبل التردد أو (التقيّة) (ولعل الانخراط السريع لشيعة العراق فى عمليات المقاومة ضد الأمريكان هو أحد السبل الصحيحة والهامة والحيوية فى قطع دابر الفتنة الطائفية وتوحيد الأمة)[4] فهل من مجيب؟

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية صـ ١٣ صـ ٢١٢/٢١٣.

(٢) صـ ١٨٠ من كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ويعلق الشيخ الخطيب على ذلك بقوله (والنصير الطوسى شيخ المؤلف الرافضى المردود عليه -يقصد الحلّى- مثل واضح على استعانة علماء الرافضة بالملوك الكفار والفجار وإعانتهم والعمل فى خدمتهم.

(٣) مجلة (البيان) العدد ١٨٧ ربيع أول سنة ١٤٢٤هـ - مايو سنة ٢٠٠٣م.

(٤) افتتاحية مجلة (المختار الإسلامى) العدد ٢٥٨ صفر سنة ١٤٢٥هـ/إبريل سنة ٢٠٠٤م.=

إن تاريخ شعب العراق فى العصر الحديث يدعونا إلى التفاؤل، فقد وثب وثبته الكبرى ضد الاحتلال الإنجليزى عام ١٩٤١ وفى عام ١٩٥٨ قام بالإطاحة (بالبنيان الملكى الذى وضعت أسسه بريطانيا، ولا غرو أيضا أن يرفض الشعب العراقى الاحتلال الأمريكى البريطانى فى وقتنا الحاضر مهما كانت الأسباب والدوافع، وأن يقف شامخًا كعادته لا يقبل ظلما أو ضيمًا مباهيا الأمم بحجم ما يمكن ان يقدمه من تضحيات)[١].

= وجاء بتعليق جريدة (آفاق عربية) بتاريخ ٥ جمادى الآخر سنة ١٤٢٥هـ - ٢٢ يوليو سنة ٢٠٠٤م

«أن زعماء المسلمين السنّة يرون أن المقاومة هى وحدها الكفيلة بإخراج الاحتلال حسب ما تؤكده تجارب الشعوب التى وقعت تحت الاحتلال. ولكن المرجعيات الشيعية لم تحسم ترددها حتى الآن رغم مناداة التيار الصدرى بالمقاومة ومشاركة بعض رجال الدين من السنة والشيعة في العمليات الميدانية، فضلا عن الدور التحريضى الكبير الذى يمارسونه.

(١) مقال بقلم سيد أبو زيد عمر (العراق وثورة العشرين ما أشبه الليلة بالبارحة) مجلة الهلال -أغسطس سنة ٢٠٠٤م.

دعوة تقريب بين مذاهب الشيعة والسنة

إننا نرى أن دعوة التقريب بين مذاهب السنة والشيعة لا تحقق الغرض حتى مع افتراض حسن النوايا والتخلص من مبدأ (التقية) ذلك لأن الظن بأن الخلاف يقتصر على الفروع غير صحيح لكل من يطلع على مؤلفات علماء الشيعة.

ولكننا نقترح إعادة العمل بوثيقة تاريخية سجلت المناظرات بين أحد علماء السنة -وهو عبد الله بن مرعى بن ناصر الدين السويدى أبو البركات الفقيه البغدادى (توفى ١١٧٤هـ) الذى أقنع بها الشاه نادر -وكان حاكما لتركستان وأفغانستان وإيران ومن الخارجين على الدولة العثمانية حينذاك، هذه الوثيقة سُمّيت بـ (وثيقة الرضا).

ونشرت بكتاب: (الحجج القطعية فى اجتماع الفرق الإسلامية) تأليف عبد الله ابن الحسين بن مرعى بن ناصر الدين البغدادى الشافعى الشهير بالسويدى مولده (١١٠٤ هـ -١٦٩٣) - توفى (عام ١١٧٤هـ -١٧٦١ م)، ويتضمن مناظرته مع علماء الشيعة فى النجف[1].

(فأثبت لهم فضل الخلفاء على الترتيب أبى بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان ثم على بن أبى طالب وأن الخلافة على ترتيبها لا يجوز انتقاصها، وأثبت لهم فساد اعتقادهم فى زواج المتعة وأثبت لهم أن اجتماع الصحابة حجة).

وسميت (وثيقة الرضا) ونزل الجميع على حكم الله.

... ومما ورد فى هذه الوثيقة (فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم وخلافتهم

---

(١) دارسة بعنوان (ملامح الفكر الشيعى الإثنى عشرى فى القرن الثانى عشر الهجرى) مع تحقيق ودراسة كتاب «الحجج القطعية فى اجتماع الفرق الإسلامية» لعبد الله بن الحسين بن مرعى عن ناصر الدين السويدى.

تحقيق ودراسة للدكتور السيد محمد سيد عبد الوهاب -مجلة الدراسات العربية -الصادرة عن كلية دار العلوم جامعة المنيا- العدد ٨ يونيو سنة ٢٠٠٣م.

-أى الخلفاء الراشـدين -على هذا الترتيب فـمن سبهم أو انتـقصهم فـماله وولده وعياله ودمه حـلال للشاه وعليه لعنة الله وملائكته وكتـبه ورسله والناس أجمعين وقد كنت شرطت عليكم حين بايعتمونى فى صحراء مغان عام ثمان وأربعين ومائة وألف، فشـرطت عليكم رفع السب فالآن رفعـته فمن سب قتلتـه وأسرت أولاده وعيـاله وأخذت أمواله ولم يكن فى نواحى إيران ولا فى أطرافـها سب ولا شىء من الأمور الفظيعة وإنما حدثت أيام الخبيث الشاه إسماعيل الصفوى. . . .)[1].

وكانت خطوات المناظرة تسير وفق قواعد ثـابتة منها حضـور حكم عادل ينزل الصواب مـوضعـه، وحضور الملك نـادر شاه -ملك إيران حينذاك، حـتى تكون أحكامه ملزمة، ويقوم بتنفيذها من خلال أوامره، والالتزام بالحجة دون ترغيب أو ترهيب والرجوع إلى الصحيح)[2] .

ووصل المتناظرون إلى النتائج التى أدت إليها المناقشات وفق الحجج التى عرضها الإمـام السويدى مـؤلف الكتاب واتفـقت الفـرق الثلاث الممـثلة لبلاد تركـستـان وأفغانستان وإيران)، على الالتزام بالوثيـقة التى نصت على إحقاق الحق وتصحيح موقف الشيعة من الصحابة جميعا -رضى الله عنهم-.

ويتضح للدارس للتاريخ الأكاذيب والمفتريات حول الصحابة -رضى الله عنهم- التى تناقلتها كتبت الشيعة، وتصدّى لها علماء أهل السنّة قبل ابن تيمية.

وقاموا بتـفنيدها وبيان بطلانها بالحجـج والأدلة الشرعية والعقليـة، ونذكر منها القاضى أبا بكر بن العربى بكتابه الشهيـر (العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ)[3].

(١) نفسه. (٢) نفسه صـــ ٩٤.

(٣) القاضى أبو بكر العربى المالكى (٤٦٨-٥٤٣هـ): العواصم من القواصم فى تحـقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ فى أحاديث محمود مهدى الاستانبولى، وعلق وحواشيه الشيخ محب الدين الخطيب ط مكتبة السنة القاضى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

وفى العصر الحديث ما قام به الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا بكتابه (فى النظام السياسى للدولة الإسلامية)، الذى اهتم فيه بمناقشة رواية التحكيم فى الخلاف بين عليّ ومعاوية -وكذّب الرواية الشائعة عن التحكيم مستخدما منهج النقد الموضوعى للنصوص التاريخية)[1].

والحق أن ما تضمنته (وثيقة الرضا) هو تأكيد لصحة ما أثبته جماهير علماء السنة والجماعة فى مؤلفاتهم التى يتعذر حصرها.

هذه الوثيقة التاريخية كان لها أثرها الفعّال فى تحقيق الوحدة المطلوبة على أصول عقائدية صحيحة، ويحتاج عصرنا إلى إحيائها والعمل بمقتضاها، وهذا هو السبيل لجمع شمل الأمة فى وقت يُراد فيه القضاء عليها.

(١) دكتور محمد سليم العوّا (فى النظام السياسى الدولى الإسلامي) المكتب المصرى الحديث سنة ١٩٧٨م.

وثيقة الرضا [١] .. .. الوثيقة التاريخية

١ – **أن النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.**

٢ – **الصحابة** –رضى الله عنهم– **أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم** أبو بكر الصدّيق فأجمعوا واتفقوا على بيعته كلهم حتى الإمام على بن ابى طالب بطوعه واختياره من غير جبر ولا إكراه فتمت له **البيعة والخلافة**.

٣ – **إجماع الصحابة** –رضى الله عنهم– حجة قطعيه.

٤ – **خلافة عمر بن الخطاب** –رضى الله عنه– صحيحة لمبايعة الصحابة له ومنهم على بن ابى طالب.

٥ – **صحة ما قام به عمر بن الخطاب** –رضى الله عنه– فى أنه جعل الخلافة فى ستة من الصحابة وأذكى مبدأ الشورى.

٦ – **خلافة عثمان بن عفان** –رضى الله عنه– باتفاق الصحابة ومنهم على بن ابى طالب رضى الله عنه.

٧ – **قتل عثمان** –رضى الله عنه– واتفق الصحابة على خلافة على بن ابى طالب –رضى الله عنه– من غير تنازع ولا تخاصم

٨ – **الشيخان** –رضى الله عنهما– إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه.

٩ – **الإقرار بالخلافة على الترتيب** ولا يجوز إنتقاصها ومن يفعل ذلك فهو حلال الدم عليه لعنة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين

(وقد اعتمد الجميع الوثيقة وكذلك الشاه الذى رجع عن فساد عقيدته إلى العقيدة الصحيحة وحمد الله على هذا الأمر الذى أنجز بيسر من الله، تعالى وتمنى على الله أن ينتهى الأمر بالكلية للعودة الى صحيح الدين)[٢] .

---

(١) هذه الوثيقة صدرت فى حياة الإمام السويدى مولود «١١٠٤هـ –١٦٩٣م». المتوفى (١١٧٤هـ – ١٧٦١م) وهى مثبتة بكتابه السالف الإشارة إليه.

(٢) (الحجج القطعية فى إجتماع الفرق الإسلامية) لعبد الله بن الحسن السويدى صـ ١٠١ تحقيق ودراسة الدكتور السيد محمد سيد عبد الوهاب (مصدر سابق).

تصحيح المفاهيم

ومادمنا فى مجال عرض العقائد الشيعية المنحرفة ونقدها فإن الإمر يستدعى مناقشة هؤلاء الذين يخلطون الأوراق، ويثيرون البلبلة فى العقول بإطلاق مسميات متعددة على الإسلام، عن جهل أو تجاهل لتاريخ الإسلام العقدى والفقهى والسياسى، أو بسبب انتماءات لاتجاهات معادية للإسلام، فينشرون اللغط حوله (أهو واحد أم متعدد، وهل ستكون صبغته سنية أم شيعية زيدية أم وهابية إباضية أم صوفية... إلخ)[1] .

إن الإصرار على تفتيت الإسلام بهذه الصورة الخبيثة دال على السير وراء المستشرقين فى قصور فهمهم للإسلام لأنهم لا يملكون الأدوات المنهجية التى تمكنهم من استيعاب أركانه وتاريخه العقدى، لذلك ترددت فى بحوثهم أسماء كالإسلام السُنى والإسلام الشيعى -مع أسماء باقى الفرق التى انفصلت عن المسلمين الأوائل منذ عصر الصحابة التابعين.

ومن هنا نقدّر اختيار ابن تيمية الدقيق لكتابه المعنون باسم (منهاج السنّة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية) لأنه يضع بين دفتيه خلاصة عقائد الفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة ومناقشا لها مثبتا أن عقائد أهل السنة والجماعة هى الإمتداد المتواصل للعقائد منذ عصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

ويستدل علماء السنّة بحديث الفرق «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة» إذ أن النبى ﷺ لما ذكر الفرق موضحا أن فيها فرقة ناجية، فلما سُئل عنها قال ﷺ «ما أنا عليه وأصحابى»[2].

---

(١) على سبيل المثال ما قاله (أدونيس) فى مقاله عن (الصبغة الإسلامية) معترضا على المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية) (جريدة «الحياة اللندنية فى ١٨/٣/ ٢٠٠٤م).

(٢) الاعتصام للشاطبى ص ٢ صـ ٢٥٢ وصـ ١٦٤ تحقيق الشيخ السيد محمد رشيد رضا -دار المعرفة بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ويشرح الإمام الشاطبي هذا الحديث بقوله: (وحاصل الأمر أن أصحابه كانوا مقتدين به مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم وأثنى على متبوعهم محمد ﷺ وخلقه ﷺ ، فقال تعالى ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤] ، فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنّة مبيّنة له، فالمتبوع للسنة متبع للقرآن.

والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، فهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «ما أنا عليه وأصحابي»، فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما، هذا هو الوصف الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله ﷺ: «وهي الجماعة» لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف»[1].

ويزيد الأمر إيضاحا بشرح حديث الرسول ﷺ «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» وأشباهه، أولأنهم المتقلدون لكلام النبوة، المهتدون للشريعة، الذين فهموا أمر دين الله بالتلقّي من نبيه ﷺ مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال، بخلاف غيرهم: فإذًا كل ما سنوه فهو سنة من غير نظير فيه، بخلاف غيرهم، فان فيه لأهل الاجتهاد مجالا للنظر ردًا وقبولا، فأهل البدع إذًا غير داخلين في الجماعة قطعا على هذا القول)[2].

وقد استقصى الامام الشاطبي كافة البدع بكتابه (الاعتصام، ووضع أصولا محكمة للتمييز بين الجماعة التي تسير على المنهج القويم من الكتاب والسنة والسلف الصالح، وبين أصحاب الأهواء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وأصولهم كما قال جماعة من العلماء هم (الخوارج والروافض والقدرية المرجئة)[3].

وذكر الآيات التي تكرر فيها الاختلاف الحاصل بين الخلق وأرجعه إلى الأسباب التالية:

(١) نفسه صـ ٢٥٢. (٢) نفسه صـ٢٦٣.
(٣) نفسه صـ ٢٢٠.

أحدها: الاختلاف فى أصل النحلة وهو قول جماعة من المفسرين، منهم عطاء قال ﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] قال «اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفية -وهم الذين رحم ربك -الحنيفية.

الثانى: اتباع الهوى -ولذلك سُمّى أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدمّوا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة منظورا فيها من وراء ذلك.

وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم، ويدخل فى غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم، أو طلبًا للرياسة، فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم ويتأوّل عليهم فيما أرادوا، حسبما ذكره العلماء ونقله الثقاة من مصاحبى السلاطين).

الثالث: التصميم على اتباع العوائد وإن فسدت أو كانت مخالفة للحق[1].

ونظن أنه بعد استيعاب مضمون هذه السطور يصبح من السهل على الباحث عن الحق بإخلاص، إدراك أن الإسلام واحد، وهو إتباع الكتاب والسنّة وفق هذا المنهج الرشيد الذى عاش من أجله علماء السنّة والجماعة لبيانه والدفاع عنه.

* * *

(١) نفسه صـ ١٦٦ وصـ ١٧٦ وصـ ١٨٠.

مقدمة
بقلم الشيخ / محب الدين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة -٨]

إنَّ ظهور هذا الدين الإسلامى - على فترة من تاريخ الإنسانية - كان حادثًا من أعظم أحداثها، بل هو أعظمُ أحداثها. فقد جاء لإقامة الحق: ما كان منه، وما سيكون.

فكل حق يواجهه البشر فى ائتلافهم واختلافهم، وفى معاملاتهم وأقضيتهم وأحكامهم، وفى تفكيرهم وبحُوثهم ودراساتهم وأنظمتهم، وفى تعاوُنهم على ما فيه خيرُهم ومصالحهم، فهو من الإسلام. وحَسبُ الإسلام مكانةً فى تاريخ التشريع أن يسميه اللهُ «دين الحق» ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾، وكل ما وافق العدل والقسط فالإسلام يدعو أهله إلى أن يقوموا به، وأن يشهد كل واحد منهم بما يعلمه منه، وأن يعملوا جميعا على بسط سلطان العدل ونشر لوائه فى دار الإسلام، وفى سائر آفاق الأرض، كاملا وافيا بأقصى ما يستطيعونه، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. فالحق والعدل وإقامتهما والشهادة بهما عنصر الإسلام الأول، وخلقه المقدم، والسمة التى يجب أن يتميز بها أهله: فى طيبة قلب، وصفاء فطرة، وطهارة نفس، وإيثار لما فيه مرضاة الخالق وطمأنينة الخلق. والعدل فى نظام الإسلام من التقوى، والتقوى ميزان التفاضل بين المسلمين، والله خبير بأهلها وبمن ينحرف عنها، لا تخفى عليه منهم خافية.

وهذه الصورة المشرقة لهذا الإسلام الجميل هى التى تولى خاتم رسل الله تربية أصحابه عليها، وإعدادهم ليخلفوه فى دعوة الإنسانية إليها. ولم يودع ﷺ هذه الدنيا ويغمض بصره وراء سجف بيت عائشة أم المؤمنين المطل على مسجده الشريف ليلتحق بالرفيق الأعلى، إلا بعد أن أقر الله عينيه الكريمتين باجتماع الصفوة المختارة منهم صفوفاً كالبنيان المرصوص، مسلمين أنفُسهم وقلوبهم لله عز وجل فى عبادته وطاعته، خلف عظيمهم وخليفته فيهم أبى بكر الصديق رضى الله عنه، الذى قال فيه - وفى صنْوه عمر بن الخطاب - أخوهما علىٌّ بن أبى طالب وهو يخطب على منبر الكوفة: خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

وفى مثل لمح البصر - بعد فاجعة الإسلام والمسلمين بفراق أكرم خلق الله على الله - لمَّ هؤلاء البَرَرة الأخيارُ شعثهم فى جزيرتهم المباركة، ووحدوا صفوفهم العامة للجهاد، كما وحدوا فى أيام احتضار الرسول الأعظم ﷺ صفوفهم للصلاة فسارت راياتُ أبى بكر متوجهة إلى العراق والشام حاملة أمانات الرسالة المحمدية إلى أمم الأرض أدناها فأدناها، وسرعان ما كافأهم الله على جهادهم الصادق بالنصر الموعود، فترددت أصداء دعوة «حى على الفلاح» فى الآفاق التى خفقت فيها راياتُ قواد الخليفة الأول: أبى عبيدة، وخالد، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبى سفيان.

وكان هؤلاء للشعوب التى اتصلوا بها معلمين ودعاةً وأصحاب رسالة من الله ورسوله ﷺ إلى البلاد التى عرفت أقدارهم، وفتحت أبوابها وقلوب أهلها لتعليمهم وتوجيههم. وبعد أن قرت عينا أبى بكر بنصر الله فى بلاد الرافدين وربوع الشام اختاره الله لمجاورة الرسول الأعظم ﷺ فى الأخرى، كما اختاره لصحبته فى الدنيا، فأخذ دفة القيادة فى سفينة الإسلام خليفته أميرُ المؤمنين عمر ابن الخطاب، وهو خير هذه الأمة بعد أبى بكر بشهادة أخيهما أبى الحسن رضى الله عنهم جميعا.

ومضت قافلة الإسلام فى طريقها ترعاها عينُ الله التى لا تنام، فواصلت

كتائب الدعوة المحمدية سيرها إلى وادى النيل، ومنها إلى شمال إفريقية، كما تواغلت أخواتها فى مملكة كسرى إلى أقصى آفاقها. حتى إذا تآمرت على الدم العمرى الشريف مكايدُ اليهودية والمجوسية، واختار الله اليه مثال العدالة فى الأرض، يسر له مجاورة صاحبيه، فارتضى المسلمون للخلافة المحمدية عليهم أطيبهم نفساً وأرحمهم قلباً وأنداهم يداً وأحفظهم للقرآن وأصبرهم على بلاء الزمان، صهر نبيهم ﷺ على كريمتيه، ولو كان له ﷺ ابنة ثالثة لآثره بها، فكان عثمان لهؤلاء الصفوة البررة من أصحاب رسول الله ﷺ أخاً مخلصا، ولأبنائهم أبا مشفقا، وكانت الأمة مدة خلافته فى أرخى عيش وأسعد مجتمع كما شهد بذلك عالمان من كبار التابعين: الحسنُ البصرى وصنوه ابن سيرين، بينما كانت رايات ذى النورين بأيدى المجاهدين الأبطال من رجاله تخفق فى آفاق قفقاسيا وما وراء الباب مما كان قواد الأكاسرة وأبطالهم لا يطمعون فى الوصول إليه.

وهكذا عرفت أمم المشرق وأمم المغرب هذا الإسلام من سيرة الصحابة وعدلهم ورفقهم وحزمهم واستقامتهم على طريق الحق الذى قامت به السماوات والأرض. وبذلك تحقق فيهم قول صاحب الرسالة العظمى ﷺ: «**خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» رواه الإمام الربانى أحمد بن حنبل الشيبانى فى مسنده (رقم ٣٥٩٤) من حديث عبيدة بن عمرو السلمانى قاضى أمير المؤمنين على فى الكوفة، عن فقيه الصحابة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، ورواه الإمام محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه (الكتاب ٦٢ الباب الأول) من حديث عمران ابن حصين حامل راية خزاعة فى جيش النبى ﷺ يوم فتح مكة. ورواه الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة سلام الله عليها. وهذا الحديث الشريف من أعلام نبوة رسول الله ﷺ لأن الإسلام لم ير زمان سعادة وعزة واستقامة على الحق والخير كالذى رآه فى زمان الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وتحديد ذلك الى نهاية الدولة الأموية، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الأولين من بنى العباس الذين تربوا فى البيئة الأموية.

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ج ٧ ص ٤): اتفقوا - أى اتفق أئمة

الإسلام - أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود سنة ٢٢٠، ثم ظهرت البدع، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً.

هذه المدة التى تنبأ عنها خاتم رسل الله ﷺ، ونعتها بأنها «خير القرون» وكان ذلك من أعلام نبوته، هى عصور الإسلام الذهبية التى لم ير الإسلام أعظم منها بركة، ولا أعز منها لأهله رفعة وسلطانا، ولا أصدق من جهاد قادتها جهاداً، ولا أوسع من دعوتها إلى الله فى أوسع الآفاق من أرض الله، وفيها انتشر حفظة القرآن فى أنحاء المعمورة ورحل شباب التابعين إلى كل بقعة فيها صحابى يحفظ عن رسول الله ﷺ شيئا من سنته السنية ليتلقوها عنه قبل أن تموت بموته، ثم رحل تابعوهم إلى كل بقعة فيها أحد من كبار التابعين يحفظ شيئا عن الصحابة ليحملوا عنه ما حمله عن شيوخه من الصحابة، وهكذا وصلت أمانة السنة إلى رجال التدوين - من أمثال مالك وأحمد وشيوخهم ومعاصريهم وتلاميذهم - غضة يفوح منها عبق النبوة، هدية من الأمناء الحافظين الى الأمناء الحافظين، فكان من ذلك أثمنُ تراث للمسلمين بعد كتاب الله عز وجل. فبهمة هؤلاء حفظ الله لنا هذه الكنوز، وبسيوفهم فتح الله للإسلام هذه الممالك، وبدعوتهم المباركة نشر الله دعوة الإسلام، فكان لنا اليوم هذا العالم الإسلامى بأوطانه وشعوبه وما فيه من علوم وعلماء كانوا فى عصور الإسلام الأولى ملح الأرض وزينة الدنيا، وبصلاحهم وعودتهم إلى الله فى أيامنا والأيام الآتية سيعود إن شاء الله لهذا الإسلام مجدُه وسلطانه، وستحيا بنهضتهم أنظمته وسنته، وما ذلك على الله بعزيز.

وكما أن أبناء السراة وأهل السعة يرثون عن آبائهم أملاكهم وأموالهم فتكون لهم بذلك العزة والمكانة فى الدنيا. إلا أن يخدعهم عنها قرناء السوء فيوهموهم أن سعادتهم ومتعتهم فى تبديدها والتفريط بها، كذلك هذا المجد الإسلامى الذى ورثناه عن الصحابة والتابعين لا نعلم لأمة من أمم الأرض مجداً يضارعه فى مواريث الإنسانية. وأثمن هذا الميراث وأعظمه قدسية وبركة اهتمام أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم بجمع القرآن، وتوحيد تلاوته، وحفظه فى المصاحف. ولو أن كل مسلم على وجه الأرض دعا لهم بالرحمة والرضا وعظيم المثوبة آناء

الليل وأطراف النهار على ما أحسنوا به الى المسلمين من هذا العمل العظيم لما وفيناهم ما فى أعناقنا من منة لهم سيتولى الله عنا حسن مكافأتهم عليها. ثم من أعظم كنوز **هذا الميراث العظيم** عناية كل صحابى بصيانة ما حفظه عن رسول الله ﷺ من أحاديثه وخطبه وسيرته وتصرفاته وتشريعه فى أمره ونهيه وإقراره، فأدوا - رحمهم الله ورضى عنهم - هذه الأمانة إلى إخوانهم وأبنائهم والتابعين لهم بإحسان بما لم يعهد مثله عن أصحاب نبى ﷺ غيره من الأنبياء السابقين، **فكان ذلك من أعظم مواريث الإنسانية كلها فى الأخلاق والتشريع وتكوين الأمن الاجتماعى والتقريب بين البشر فى طبقاتهم وأجناسهم وأوطانهم وألوانهم، ولا يغمط جيل الصحابة فيما قاموا به للإنسانية من ذلك إلا ظالم يغالط فى الحق إن كان غير مسلم، أو زنديق يبطن للإسلام غير الذى يظهره لأهله إن كان من المنتسبين اليه**. وميراثنا الثالث من المواريث التى صارت إلينا عن الصحابة حسن عرضهم هذا الإسلام على الأمم ممثلا بأخلاقهم الإسلامية السليمة وأعمالهم الجليلة الرحيمة، فحببوه بذلك إلى الناس، وعرفوهم به من طريق القدوة والأسوة، فكان ذلك سبب دخول الأمم فى الإسلام إلى أقصى آفاق المعمورة المعروفة فى أزمنتهم.

وهذه الفضيلة قد شارك عُمال الخلفاء الراشدين فيها من جاهد بعدهم من الصحابة والتابعين تحت رايات الخلفاء من قريش الذين كان من أعلام نبوة النبى ﷺ أيضاً التنويه بهم فى حديث جابر بن سمرة فى الصحيحين، ورؤيا النبى ﷺ فى قباء عن جهاد معاوية رضى الله عنه فى البحر، ورؤياه الثانية يومئذ عن حملة ابنه فى حصار القسطنطينية. وهؤلاء الخلفاء من قريش الذين ورد النص عنهم فى الصحيحين من حديث جابر بن سمرة هم الذين جاهدوا وجاهد رجالهم تحت كل كوكب، وطوا آفاق الأرض يحملون هذه الدعوة إلى أقاصى المعمور من بلاد آسيا وإفريقية وأوربا. ومهما تنبض قلوبنا بشكرهم والوفاء لهم والثناء على ما نشروا فى الدنيا من ألوية جهادهم لن نوفيهم عشر معشار ما كان ينبغى لنا أن نفعله، وإلا فأين هى الدراسات العلمية الصحيحة التى قمنا بها لتدوين أمجادهم العظمى

وبطولتهم الكبرى، وأين هى المؤلفات العصرية التى كان ينبغى أن تكون فى أيدى الشباب فى جميع أقطار الإسلام، والتى تجعل القارئ منا كأنه معاصر لتلك الأحداث، مرافق لكتائبها وأعلامها، مشارك بمشاعره ومداركه وخفقات قلبه فى كل نصر أحرزه الإسلام فى الدنيا على أيدى الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين ألف الجاهل الزنديق ابن المطهر كتابه (منهاج الكرامة) ليملأه سباً لهم. وذماً لجهادهم، وغمطاً لفضائلهم وكريم أخلاقهم، وقلباً لحسناتهم بما يخجل محاربوهم - من المجوس والروم والترك والديلم - أن يزعموا مثله لو أنهم دونوا أعمال أسلافنا عندما كانوا معهم فى عداوة الحرب وعداوة الدين.

ويوم كنا لا نزال أصحاب السلطان على إسبانيا كان أحبارُ النصارى من الإسبانيين يحتجون على الإمام ابن حزم بدعوى الروافض تحريف القرآن، فكان يُضطر عند رده عليهم أن يقول ما ذكره فى كتاب (الفصل) ج٢ ص ٧٨: «وأما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين». وأغلب الظن أن أحبار النصارى كانوا يحتجون بالأكاذيب الواردة فى كتاب الكافى للكلينى، كالذى ورد فى ص ٥٤ منه (طبعة سنة ١٢٧٨) عن جابر الجعفى قال: سمعت أبا جعفر يقول «ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده». وفى ص ٥٧ عن أبى بصير قال: دخلت على أبى عبد الله.... إلى أن قال له أبو عبد الله: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام... قلت: وما مصحف فاطمة ؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد». وكتاب الكافى للكلينى المشحون بمثل هذا الكفر المفترى يعتبره الشيعة فى أحاديثهم بمنزلة صحيح البخارى فى أحاديث المسلمين. أما ابن المطهر المردود عليه فى هذا الكتاب فيصفه الشيعة فى كتابهم روضات الجنات بأنه «مفخر الجهابذة الأعلام، ومركز دائرة الإسلام، آية الله فى العالمين، ونور الله فى ظلمات الأرضين، وأستاذ الخلائق فى جميع الفضائل باليقين، جمال الملة والحق والدين.. الخ».

وفى رأيى أن كتاب ابن المطهر (منهاج الكرامة)، وكتاب معاصره شيخ الإسلام

ابن تيمية (منهاج الاعتدال) أو (منهاج السنة)، ليس الغرض منهما المناظرة فى اختلافات مذهبية يطمع منها ابن المطهر فى أن يجعل المسلمين روافض، أو يطمع منها شيخ الإسلام ابن تيمية فى أن يرد الروافض إلى الإسلام، فإن هذا وهذا من المستحيلات، لأن الأسس التى يقوم عليها بنيان الدينين مختلفة من أصولها والعميق من جذورها: فنحن نقول بمشرع واحد، ومعصوم واحد وهو النبى محمد ﷺ، وأنه لا معصوم بعده ولا مشرع غيره. وهم يقولون بإثنى عشر معصوماً كلهم مصادر تشريع. ونحن نقول إن الحادى عشر من معصوميهم مات عقيماً عن غير ولد، وأن أخاه جعفراً صفى تركته على أساس أنه لا ولد له، وحجز نساءه وإماءه فى مدة العدة والاستبراء، حتى ثبت له ولنقباء الطالبيين فى زمنه وبعده أن الحسن العسكرى لا ولد له. وهم يقولون - وأنف التاريخ راغم - إن للحسن العسكرى ولداً اختبأ فى سرداب ببيت أبيه منذ أكثر من أحد عشر قرناً، وأنه لا يزال حياً، وأنه هو الحاكم الشرعى فى الإسلام، وأن كل حاكم مسلم على وجه الأرض من ذلك الوقت إلى الآن إنما هو متغلب مفتئت ويدعى الولاية - ظلما وبلا حق - على من له الولاية عليهم من المسلمين. بل كل حاكم أو إمام أو خليفة مسلم قبل ذلك منذ توفى النبى ﷺ إنما كان متغلبا مفتئتا ظالما وهو حاكم غير شرعى. وأن إمامهم الثانى عشر - الذى لم يلد ولم يولد - سيقوم فى وقت ما ويعيد الله له خلق أبى بكر وعمر وكل خلفاء المسلمين وولاتهم فيحاكمهم ويصدر عليهم أحكاماً صارمة بما ظلموا واغتصبوا وزوروا وأجرموا وأساس آخر افترق فيه ديننا ودينهم، وهو أن القرآن الذى فى أيدى المسلمين منذ بضعة عشر قرناً إنما قام بأمر جمعه فى هذه المصاحف وأشرف على ذلك أبو بكر وعمر وعثمان ورجال آخرون من علماء الصحابة، وأن الأحاديث التى بنى عليها التشريع فى الإسلام إنما رواها هؤلاء الصحابة، وأن علياً كان مع إخوانه الصحابة فى ذلك كله. وحكمنا نحن على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر إخوانهم من الصحابة أنهم (الجيل المثالى) الفذ الذى عرفته الإنسانية بكمال الصدق والاستقامة على طريق الحق، كما سيرى القارىء تفصيل ذلك فى (الفصل الختامى) لهذا الكتاب، وقد أوردنا آنفا

الحديث الذى صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**خير القـرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الـذين يلونـهم**». فالصحابة هم الذين تلقـينا عنهم قرآننا، وهم الذين رووا ما صح من أحاديث رسول الله ﷺ التى اعتمدنا عليـها فى تقرير شريعتنا. فاذا كانوا خير أمة محمد ﷺ كما ورد فـى حديث «خير القرون» واذا كان أعظمهم وأجلهم أبا بكر ثم عمـر كما كـان يقول أخـوهما على بن أبى طالب على منبـر الكوفة، فيكون اعتقـادنا نحن المسلمين فى الصحابة موافقـاً للحديث النبوى وللثناء العلوى ولما تحقق فعلا من أحداث التاريخ، ويكون تعديلنا لهم تصـحيحاً وتأييداً لاعتمادنا على كتـاب الله وسنة رسوله ﷺ اللذين عرفناهم من طريق هؤلاء البـررة الأخيار رضى الله عنهم. **أما ابن المطهر وسائر الشيعة الإمامية الذين سماهم الإمام زيد بن على بن الحسين «رافضة» فإن حكمهم على أصحاب رسول الله ﷺ يخالف حكمنا عليهم، وسترى تفضيل ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب.**

ومن الأسس التى يفترق فيها ديننا عن دينهم وشرعنا عن شرعهم أن الأحاديث النبوية التى هى - بعد كتاب الله - عماد الـتشريع فى الإسلام نتحرى نحن أخذها عن العدول الأمناء الضابطين الذين راقب نقاد هذا الفن سيرتهم وأطوارهم ودقتهم فى التلقى والتلقين، فأسقطوا رواية من يتساهل فى روايتـه ولو كان من كبار العباد المتفـردين فى التقـوى والصلاح، ومـيزوا بين من كـان فى صدر حيـاته من أهل الضبط والحفظ، مضافا ذلك إلى أمانته وعدالته، إذا تقدمت به السن وصار يعرض له الخطأ والتخليط والنسيـان، فقبلوا ما كان يرويه عند سلامـة شروط الرواية فيه، وأسقطوا ما رواه بعد أن اخـتل فيه بعض تلك الشروط. أما الشيعـة فلا يعبأون - فى الحـديث وروايتـه - بشىء من أمر الأمـانة والعـدالة والحـفظ، ويروون - فى الكافى وأمثـاله من كتبهم المعـتبرة عندهم - عن أكذب الناس، لأن مـدار التوثيق عندهم على العصبـية والتشيع والحب والبغض. وقـد نقلنا لك آنفا بعض أحاديث من كتابهم الكافى تضمنت الطعن فى صحـة القرآن، وليس بعد هذا محل للمراء والجدل فيما نحن بصدده. ولذلك لم يتردد ابن حزم فى أن يقول لأحبار النصارى من الأسبـانيين لما احتـجوا عليـه برأى الروافض فى صحة الـقرآن: «إن الروافض

ليسوا من المسلمين». وأرفق من ذلك ما رواه أحمد بن محمد بن سليمان النسترى عن أبى زرعة الرازى أنه قال «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»

ومما افترقوا بـه عن المسلمين زعمهم أن الإسلام لا يكفى لتوجيه الإنسانية إلى سعادتى الدنيا والآخرة، وأن الأمة الإسلامية محكوم عليها بأن تكون فى حكم القاصر إلى يوم القيامة، فتحتاج فى حكمها وأحكامها إلى أئمة معصومين بعد النبى ﷺ تكون لهم الولاية عليها. أما المسلمون فيرون الدين الإسلامى أسمى من ذلك وأرفع، وأن النفس الإسلامية أكرم على الله من ذلك وأصلح. وقد كان من آخر ما أنزله الله عز وجل على خاتم أنبيائه وأكمل رسله ﷺ الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾. فالإسلام - بكتابه، وبالصحيح الثابت من سنة نبيه ﷺ - هو الإمام المتبع الذى لا تحتاج معه الأمة وأئمتها إلى معصوم بعد انتقال نبيها ﷺ إلى الرفيق االأعلى. وتلك هى (سنة) الإسلام المعصوم فى هذه الأمة الراشدة. **ولذلك عرف جمهور المسلمين فى أدوار التاريخ بأنهم (أهل السنة).**

أما الذين ذهبوا إلى أن الأمة قاصرة، وإلى أن الإسلام لا يكفى لتوجيهها، بل لابد معه من أئمة معصومين تكون لهم الولاية عليه وعلى الناس، فقد عرفوا فى التاريخ باسم (الإمامية) ولم يتول الإمامة النافذة عليهم إلا إمام واحد كانوا مشاغبين له ومتمردين عليه، وإن خطبه ورسائله وتصريحاته مملوءة من شكواه فيهم وتذمره منهم، وخليفته الإمام الثانى الذى يقولون بعصمته بايع إمام المسلمين فى وقته عام الجماعة فخالفوه فيما اختاره إما طعنا منهم فى عصمته. أو ردة عن ولائه وطاعته واتباعه.

ولما انتهت الإمامة الشلاء المعطلة - بموت الحادى عشر منهم عقيما - لم يبق لهم إمام، وصار ينبغى لهم أن لا يكونوا إمامية، **فاخترعوا الإمام الذى لم يلد**

ولم يولد، كما سترى قصة ذلك فى هذا الكتاب، واعتبروه كالآلهة الوهمية فى القرون الخالية حياً لا يموت ! وهذا المذهب فى الإنكار على الإسلام أن يكون كافيا لحكم هذه الأمة اعتراف فاضح منهم بنقض الإسلام، وبأن أهله فى حكم القاصر.

وكتاب ابن المطهر الحلى يدور حول الدفاع عن هذه النظرة الخبيثة للإسلام وأهله، كما أن كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية يدور حول الاحتجاج لكمال الإسلام وأن أهله يستطيعون أن يكونوا به من أهل الرشد. فلا يحتاجون هم ولا أئمتهم إلى أئمة معصومين بعد نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن فى الإسلام الكفاية والكمال الذى وصفه الله فى الآية الثالثة من سورة المائدة. وأن أئمة المسلمين - كسائر المسلمين - مأمورون بالعمل بهذا الإسلام الكامل. وأن على المسلمين لأئمتهم الطاعة بالمعروف، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ومما يدخل فى هذا الفارق بيننا وبين الرافضة إنكارهم على الإسلام أنه (دين جماعة) وعلى المسلمين أنهم أهل للإجماع فيما لم يرد فيه نص جلى من أمور الأمة. أما نظامنا التشريعى معشر أهل (السنة) و (الجماعة) فيعترف بأن (إجماع) أعلام العلماء بالفقه والتشريع يعتبر دليلا على شرع الله ورسوله ﷺ؛ لأن النبى ﷺ قال فيما رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما: «**لا يجمع الله أمتى على الضلالة أبدا**» ولأنه ﷺ قال: «**يد الله مع الجماعة**» وقال فيما رواه عنه أبو ذر «**من خالف جماعة المسلمين شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه**». وقال: «**عليكم بالسواد الأعظم، ومن شذ شذ فى النار**» ولأن الله عز وجل قرن «سبيل المؤمنين» بطاعة رسوله ﷺ فى قوله عز وجل (النساء ١١٥): ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾، وكان مجرد مشاقة الرسول يوجب الوعيد، فضم إليه الجنوح الى غير سبيل المؤمنين ليدل على أنهما متلازمان، وقال (آل عمران ١١٠): ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ فاقتضى ذلك أنهم بمجموعهم وإجماعهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيجب حتما أن لا يجتمعوا على ضلالة، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ﷺ، ويحرموا ما حرم

الله ورسوله ﷺ ولا يجوز عليهم إجماع السكوت عن الحق، ولو فعلوا لكانوا قد أمروا بالمنكر ونهـوا عن المعروف، وهو خلاف صـريح النص القرآنى . بذلك وبما لا يتسع له المقام هنا من الأدلة الكثيرة، **كان الإسلام عندنا (دين جماعة)، ولذلك عرف جـمهور المسلمين فى أدوار التاريخ بأنهم أهل (السنة) و (الجـماعـة)، بينما الرافضة لا يقـولون بإجماع الأمة، لأن الأمـة عندهم قطيع لا نظام له، ولا ينبغى له أن يحيا إلا بقيادة مـعصوم غير النبى ﷺ** وشريعتـه الكاملة ونقطة أخيرة من نقط الخلاف بيننا وبينهم أن للمسلمين كـعبة واحدة يتوجهون إليها بدعـائهم وضراعتهم وعند اتصال قلوبهم بربهم فى صلاتهم وعبادتهم. **أما هؤلاء الشيعة فيشركون مع الكعبة بيت الله الحـرام كعبات أخرى متعـددة منها قبر المغيرة بن شـعبة فى النجف الذى زعـمـوا** - بعد دهر طويل من شهـادة سيدنا على ودفنه بين مسـجد الكوفة وقصرها - أنه مدفون فى قبر المغيرة بالنجف، وقد اتخذوا كعبة لا يمكن أن يعرف قدرها عندهم إلا من شاهد تـهافتهم عليها ومـا يصنعونه عندها. **ومنهـا الـقـبـر المكذوب على سيدنا الحسين فى كربلاء ويقول فيه شاعرهم:**

هى الطفوف، فطف سبعاً بمغناها ... فمـا لمكـة معنى مثـلُ معنـاهـا
أرض. ولكنمـا السبع الشداد لها ... دانت، وطـأطـأ أعلاهـا لأدناها

فأين هذا الكفـر القاتم السقيم من قـول المعصوم ﷺ فى أواخر ما قـاله عندما شعر بدنو أجله: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**. وقوله ﷺ **«اللهم لا تجـعل قبـرى وثناً يعـبد، اشـتـد غضب الله على قـوم اتخـذوا قبـور أنبيائهم مـساجد»**. وقول أمير المؤمنين على رضى الله عنه لأبى الهـياج حيان بن حـصين الأسدى على مـا رواه الإمـام مسلم (فى الـكتاب ١١ الحـديث ٩٣) من صحـيحه: «ألا أبعثك على مـا بعثنى عليه رسـول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالا إلا طمسـته، ولا قبراً مـشرفاً إلا سـويته» فان كانوا مـحمديين فـهذا الذى نقلناه من حديث خاتم رسل الله مـحمد ﷺ هو من أصح ما صح عنه، وإن كـانوا إماميين فهذا ما كان يصنعه الإمـام على بأمر النبى ﷺ، وهذا ما كان على يأمر رجاله بأن يصنعوه. أما إذا كانوا على مـذهب اليهود والنصارى فيما يتخذونه لـقبور أنبيائهم

وعظماء دينهم فهم وشأنهم، والمرء حيث يضع نفسه...

وبعد فإن هذا (المنتقى) للحافظ أبى عبد الله محمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣-٧٤٨) هو مختصر الكتاب العظيم (منهاج الاعتدال، فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) لشيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨) رحمه الله ورضى عنه، وهو الكتاب الذى طبع بمطبعة بولاق فى أربعة أجزاء سنة ١٣٢١ - ١٣٢٢ باسم **(منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية)**. وكان (المنتقى) من الكتب المظنون أنها فقدت حتى اكتشفه فى العام الماضى العالم الجليل العامل على إحياء تراث السلف عين أعيان الحجاز صديقى الشيخ محمد نصيف بارك الله فى حياته. وذلك عندما كان فى رحلة إلى ديار الشام فاطلع عليه فى مخطوطات المكتبة العثمانية فى حلب التى وقفها فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى عثمان باشا الدوركى الأصل الحلبى المولد المتوفى بمكة المشرفة سنة ١١٦٠ ابن عبد الرحمن باشا الدوركى المتوفى سنة ١١٠٧. وهذه المكتبة قد ضمت أخيراً إلى (دار مكتبات الأوقاف الاسلامية) فى حلب، ورقم مخطوطة المنتقى فى هذه المكتبة ٥٧٩.

وهى نسخة قديمة بخط يوسف الشافعى فرغ من كتابتها فى جمادى الأولى عام ٨٢٤ أى بعد وفاة الحافظ الذهبى بست وسبعين سنة، والنسخة يظهر أنها منقولة عن أصل صحيح، لكن الذى نقلها عن ذلك الأصل غير متمكن فى العربية والعلم. ولذلك كانت تصدر عن قلمه هفوات عند النقل يدركها القارئ الممارس لأمثال هذه الكتب، ومع ذلك فقد انتفعنا بمعارضة المنتقى بأصله المطبوع فى بولاق، فجاءت هذه المطبوعة صحيحة ولله الحمد بقدر الإمكان وكنا عند معارضة المختصر بأصله نجد فى الأصل فقرات عظيمة النفع لا يجوز إغفالها. فكنا نضيفها الى هذه المطبوعة مميزة بهاتين العلامتين [ ] حرصا على سلامة المنتقى كما أراده الحافظ الذهبى. وبذلك استطعنا أن نجمع بين الحسنيين: إفادة القارىء بالزيادات التى رجونا أن تكون منها زيادة فائدة، وبقاء المختصر مميزا بحدوده التى كان عليها

فى مخطوطته التى تفضل حضرة الشيخ محمد نصيف فاستخرج منها صورة بالتصوير الشمسى. ويرى القارىء عقب هذه المقدمة الصفحة الأولى منها. كما وضعنا تجاه الصفحة الأخيرة منها صورتها الشمسية. وقد علقت على مواضع من (المنتقى) بما خطر لى أثناء مباشرة الطبع، وأرجو أن يكون فى بعض ذلك ما ييسر على القارىء الإلمام بهذا الموضوع الخطير، **لأن القوم قد أكثروا فى هذه السنوات من مهاجمة السنة والجماعة بكتبهم ونشراتهم حتى صار من الخذلان للحق السكوت عليها**. فقمت - من ناحيتى - بالدفاع عن حقيقة الإسلام فى هذه البحوث بما ألهمنى الله وأعاننى عليه. والحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد. وآل محمد. وأصحاب محمد. وأزواج محمد، وذرية محمد وسلم تسليما كثيرا. وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام علي المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

التوقيع

محب الدين الخطيب

فى يوم النصف من شعبان سنة ١٣٧٤ هـ

دار الفتح

بجزيرة الروضة

تجاه فسطاط مصر

مقدمة الإمام الذهبى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله المنقذ من الضَّلال، المرشدِ إلى الحق، الهادى من يشاء إلى صراطه المستقيم .

أما بعد فهذه فوائد ونفائس اخترتُها من كتاب (منهاج الاعتدال) فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال[١] تأليف شيخنا الإمام العالم أبى العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى. فذكر أنه أحضر اليه كتاب لبعض الرافضة فى عصرنا - يعنى ابن المطهر[٢]- مُنَفِّقاً لهذه البضاعة، يدعو بها إلى مذهب الإمامية أهل الجاهلية[٣]

(١) وهو الذى طبع فى سنة ١٣٢١ هـ بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر فى أربعة أجزاء بعنوان (منهاج السنة النبوية، فى نقض كلام الشيعة والقدرية). وشيخ الإسلام ابن تيمية قلما كان يسمى مؤلفاته. وإنما كان يؤلفها بسرعة عجيبة، معتمدًا على ذاكرته التى لا نظير لها فى حفظ النصوص من متون السنة ومصادرها وأقوال الأئمة وأحداث التاريخ، ثم يتلقف العلماء من تلاميذه وغيرهم تلك المؤلفات، وتنتشر حالا فى الأقطار الإسلامية، فيسميها الناس بأى اسم يدل على موضوعها، وقد تتعدد أسماء الكتاب الواحد من مؤلفاته لهذا السب، **ولما كان الحافظ الذهبى (٦٧٣-٧٤٨) من خواص تلاميذ شيخ الإسلام،** فقد اعتمدنا تسميته لأصل هذا الكتاب، وإن اشتهر عند الناس باسمه الآخر (منهاج السنة). ومع ذلك فقد أشرنا إلى الاسم الثانى فى عنوان الكتاب.

(٢) هوالحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى (٦٤٨ - ٧٢٦) أحد صناديد التشيع ، تتلمذ لأمثال نصير الكفر ووزير الملاحدة النصير الطوسى (٥٩٧ - ٦٧٢) ، فنشأ على ما شحنوا به قلبه من الغل للصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، ناظرا بعين السخط إلى كل ما صدر عنهم من حسنات لم تشهد الإنسانية نظيرا لها فى التاريخ. وسترى الشواهد على هذا الغل فيما سود به ابن المطهر صفحات كتابه الذى فضح شيخ الإسلام عوراته وهتك أستاره وجعله عبرة للأولين والآخرين.

(٣) كل ما خالف سنة رسول الله ﷺ- التى تلقاها عنه أصحابه (رضوان الله وسلامه عليهم) ثم حمل عنهم أماناتها أئمة الإسلام التابعون لهم بإحسان - فهو من أمر الجاهلية. لأن أنظمة البشر وأحكامهم=

ممن قلت معـرفتهم بالعلم والدين. فـصنفه للملك المعـروف الذى سماه فيـه خُداَ بَنَده[1]. فالأدلة إما نقلية. وإما عقلية.

=وسننهم كلها تنقسم فى كل زمان ومكان إلى قسمين : إسلام ، وجـاهلية. فما تلقيناه عن الصحابة من السنن والأحكام والتوجيهات المحمدية فهو إسلام ، وما خالفها فهو جاهلية. مهما كان الزمن الذى ابتدع فيه والناس الذين ابتدعوه.

(١) خدا (بالـفارسيـة) : اللّه. وبنده : عبـد. أى عبـد الله. وخدا بنده هو الشـامن من ملوك الإيلخـانية ، والسادس من ذرية جنكـيز. واسمـه الحقيـقى الجايتو (٦٨٠ - ٧١٦) ابن أرغـون (- ٦٩٠) ابن أبغا (-٦٨١) ابن هلاكو (-٦٦٣) ابن تولى (-٦٢٨) ابن السفاح جنـكيز (٥٤٩ - ٦٢٤) الملقب إيلخان ، وإليه تنسب دواتهم. كان أرغون والد خدا بنده وثنيا ، وتمرد فى خراسان على عمه السلطان تكودار بن هلاكو لأنه رأى مصلحته السـياسية فى أن يدخل فى الإسلام وتسمى باسم (أحمد تكودار) ، فـثار عليه أرغون (والد خـدا بنده) وقتلـه فى سنة ٦٨٣ واستـولى على مملكتـه. ثم افـترى على وزير أبـيه شـمس الدين المحمدى فاتهـمه بأنه دس السم لأبيه أبغا. فقـتل الوزير وقتل معه أربعة من بنيه ، ثم انصـرف لشهواته وترك مقاليـد الحكم لطبيبه اليـهودى سعد الدولة. ولما تمادى الطـبيب اليهودى فى إساءة التـصرف بالملك والفساد فى الأرض ثار عليه رجال الدولة وعمالها فقتلوه. ومات أرغون مقهورا فى سنة ٦٩٠. وكان له ولدان أحدهما الجايتو وهو خدا بنده هذا والآخر غازان (٦٧٠ - ٧٠٣) فرأيا أن من مصلحتهما السياسية الدخول فى الإسلام ومحـاسنه الشعوب التى يتوليان الحكم فى أوطانها ، أما غازان فـاختار مذهب أهل السنة ، وذلك فى رابع شعبان من شهور سنة ٦٩٤ ، وكان إسـلامه على يد الشيخ إبراهيم بن محمد بن حمويه الجـوين (روضات الجنات ص ٤٩) فلما خلفه فى الحكم أخوه خـدا بنده سنة ٧٠٣ تسلطت عليه حاشية من دعاة التـشيع. ويقال إنه غضب يوماً من زوجته فطلقهـا ثلاثا ، ثم أراد أن يردها إلى عصمته فقال له فقهاء أهل السنة أنه لا سبيل إلى ذلك حتى تنكح زوجا غيره ، وصعب عليه ذلك ، فأشار عليه رجال حاشيته من الشيعة بأن يدعو فـقيها من علماء الحلة هو ابن المطهر هذا الذى ألف شيخ الإسلام فى الرد عليـه ، وأكدوا للسلطان أن ابن المطهـر هو الذى يخرجـه من هذه الورطة. فلمـا حضر ابن المـطهر واستفتاه السلطان فيما وقع منه من الطلاق ثلاثا سأله. تتحقق شروطه ، ولذلك لم يقع ، وله أن يعاشر زوجته كما كان يعاشرها قبل الطلاق. فسر خـدا بنده بهذه الفتوى ، واستخلص ابن المطهر لنفسه وجعله من بطانته ، وبتـسويل ابن المطهر كتب خـدا بنده إلى عماله فى الأمصـار بأن يخطب باسم الأئمة الإثنى عشـر على المنابر ، ونقش أسماءهم علـى نقوده وأمر بأن تنقش على جـدران المساجد. وهكذا تشـيعت الدولة في مملكته بفتوى ابن المطهر التى أعفت السلطان من أن تعود اليه زوجته بعد أن تنكح زوجا غيره.

هذه هى الخطوة الأولى فى التـشيع الرسـمى للدولة فى خراسـان وإيران ، ويقال إن ذلك كـان سنة ٧٠٧ ثم بعد ثلاثمـائة سنة كانت الخطوة الأخرى التى دفـعت إيران الى الهاوية بقيام الدولة الصـفوية. وتشجيعها للآراء والـعقائد التى كان الشيعة الأقدمون يسمونـها (غلوا) وينكرون رواية كل شيعى ينبز بأنه من الغلاة. فلما استقرت الدولة الصفوية الفاجرة صار الشيعة كلهم من الغلاة والذى كانوا يسمونه من قبل غلوا صار بعـد ذلك من ضروريات مذهبهم كمـا اعترف بذلك علامتهم الثـانى المامقانى (١٢٩٠ - ١٣٥١) فى مواضع كثيرة من كتابه (تنقيح المقال) وهو أكبر كتبهم فى الجرح والتعديل.

والقوم من أكذب الناس فى النقليات[1]. وأجهل الناس فى العقليات[2]. ولهذا كانوا عند العلماء أجهلَ الطوائف، وقد دخل منهم على الدين من الفساد مالا يحصيه إلا ربّ العباد. والنصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا[3]. والكفار والمرتَّدة بطريقهم وصلوا. فاستولوا على بلاد الإسلام، وسبَوا الحريم، وسفكوا الدم الحرام.

وهذا المصنف[4] سمى كتابه (منهاج الكرامة، فى معرفة الإمامة). والرافضة فقد شابهوا اليهود فى الخبث والهوى. وشابهوا النصارى فى الغلو والجهل. وهذا المصنف سلك مسلك سلفه - كابن النعمان المفيد[5]. والكراُجكى[6]. وأبى القاسم[7] الموسوى. والطوسى[8] - فان الرافضة فى الأصل ليسوا أهل خبرة

(١) لأن مدار التوثيق عندهم فى المرويات والمنقولات على الحب والبغض ، فالذى يكون أكثر بغضا لأصحاب رسول الله ﷺ يكون فى مروياته أوثق من الذى يتهم عندهم بأنه يتهاود في أمر الصحابة ، ولا يلعن أم المؤمنين عائشة وسيدنا معاوية وسائر الصحابة وأئمة التابعين وصفوة المسلمين.

(٢) لأن ضروريات مذهبهم قائمة على الأباطيل والأوهام والمستحيلات ، كما سترى فى هذا الكتاب ، وأقرب ذلك أنهم يكابرون فى أنهم نحلة تعيش بلا إمام ، فيزعمون أنهم إمامية وأن لهم إماما وأن إمامهم حى منذ أكثر من ألف سنة ، ولكنه غائب فى سرداب سامراء ، وينتظرون خروجه ويدعون فى كتبهم بأن يعجل الله فرجه.

(٣) ولو عاش شيخ الإسلام الى عصرنا لقال إن الشيخية والكشفية والبهائية من. ؟؟؟ وبسخافاته ذلوا وضلوا.

(٤) أى ابن المطهر

(٥) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادى (٣٣٦ - ٤١٣) شيخ مشايخ الحلة ، يقال إن له أكثر من مائتى مصنف بين كتاب ورسالة ومقالة.

(٦) محمد بن على بن عثمان الكراجكى (المتوفى سنة ٤٤٩) من تلاميذ الشيخ المفيد. وكان في المختصر: (الكراجكى) وصححناه من الأصل (١ : ١٣) ومن كتب التراجم. و (كراجك) قرية على باب واسط.

(٧) فى المختصر (ابن القاسم) وصححناه من الأصل (١ : ٩٣) ومن كتب التراجم ، وهو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى المعروف بالمرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦) أخو الرضى محمد بن الحسين الشاعر (٣٥٩ - ٤٠٦). وهذان الأخوان هما اللذان تطوعا للزيادة على خطب أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه بكل ما هو طارىء عليها وغريب عنها من التعريض بإخوانه للصحابة وهو برىء عند الله عز وجل من كل ذلك وسيبرأ اليه من مقترفى هذا الإثم.

(٨) وهو محمد بن محمد بن الحسن الخوجه نصير الدين الطوسى (٥٩٧ - ٦٧٢) المسئول - مع عدو الله ابن العلقمي ومستشاره ابن أبى الحديد - عن الذبح العام الرهيب الذى ارتكبه الوثنى هلاكو في أمة محمد ﷺ سنة ٦٥٥ عند استيلائه علي عاصمة الإسلام بغداد بخيانة ابن العلقمى ومستشاره وتحريض هذا=

بطريق المناظرة، ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع والمعارضة. كما أنهم جهلة بالمنقولات[1]. وإنما عُمدتهم على تواريخ منقطعة الإسناد[2]. وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب، فيعتمدون على نقل أبى مِخنَف لوط بن يحيى[3] وهشام بن الكلبى[4].

قال يونس بن عبد الأعلى[3] قال أشهب[4] سئل مالك رضى الله عنه عن الرافضة فقال «لا تكلمهم، ولا تَروِ عنهم. فإنهم يكذبون»

=الفيلسوف الملحد النصير الطوسي ، وكان الطوسى قبل ذلك من أعوان ملاحدة الإسماعيلية فى بلاد الجبل وقلعة الموت وألف كتابه (الأخلاق الناصرية) باسم وزيرهم ناصر الدين حاكم بلاد الجبل (قوهستان) وكان ناصر الدين من أخبث رجال علاء الدين محمد بن جلال حسن ملك الإسماعيلية . ومن نفاق الطوسى أن له قصيدة فى التزلف إلى الخليفة العباسى المستعصم (٥٨٨ - ٦٥٦) ومع ذلك فانه هو المحرض لهلاكو على نكبة الإسلام فى بغداد ، والشيعة يعدون هذه الخيانة المخزية والوحشية الشنيعة أعظم مفاخر النصير الطوسى (انظر كتابهم روضات الجنات ص ٥٧٨ الطبعة الثانية).

وهذا الملحد الخائن للإسلام وأهله أعظم خيانة يمكن أن يتصورها البشر قد اكتشف هلاكو خيانته له أيضا. وكاد يفتك به لولا حاجته اليه فى إتمام الزيج الذى بدأ به. ومما يدلك علي أن من لا دين له لا أخلاق له أن هلاكو لما شتم النصير الطوسى ولو ح له بخيانته وهدده بالقتل لولا الحاجة اليه في إتمام الزيج انتهز تلميذه القطب الشيرازى هذه الفرصة اللائحة وقال لهلاكو : أنا لإتمام أمر الزيج ان كان الرأى المبارك يقتضى شيئا فى حق هذا الرجل : فتباً لعلم هؤلاء ، إذ لم يعصمهم عن الانحدار فى هذه الهوة بلا خجل ولا حياء . . .

(١) فى المختصر : «بالمعقولات». والتصحيح من الأصل (١ : ١٣) ومن سياق القول.

(٢) انقطاع الإسناد : أن يكون فى سند الخبر راو أو أكثر مطويا ، فيروى شخص خبرا عن شخص أقدم من زمنه ، ومعنى هذا أن الراوى كاذب فى روايته عن شخص لم يجتمع به ، أو أن بينهما شخصا كتم ذكره لأنه معروف بالكذب فلم يشأ أن يذكره لئلا يفتضح كذب ذلك الخبر.

(٣) هو من أخف رواتهم وطأة ، ومع ذلك قال فيه ابن عدى «شيعى محترق صاحب أخبارهم» وقال عنه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال «أخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره». وفى مادة «خنف» من القاموس المحيط للفيروزابادى مثل ذلك. ويقال إن وفاة لوط بن يحيى سنة ١٥٧.

(٤) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب أخبارى نسابة توفى سنة ٢٠٤. وأصدق كلمة فى وصفه قول الإمام أحمد «كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه» فهو مرجع فى الأخبار والأنساب التى لا صلة لها الدين ، أما فى سنة رسول الله (ص) وأحكام شرعه فالمسلمون أعقل من أن ينخذعوا به. وقال عنه الحافظ ابن عساكر : رافضى ليس بثقة.

(٥) هو إمام مصر فى عصره ومن أعلام الإسلام ، توفى سنة ٢٦٤.

(٦) أشهب بن عبد العزيز القيسى (١٤٠ - ٢٠٤) أحد أئمة مصر، ومن تلاميذ مالك والليث بن سعد.

وقال حرملة[١]. سمعت الشافعيَّ رضى الله عنه يقول «لم أرَ أحدا أشهَدَ بالزور من الرافضة»

وقال مُؤَمِّل بن إهاب[٢] سمعت يزيد بن هارون[٣] يقول «يُكتب عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة. فانهم يكذبون».

وقال محمد بن سعيد الأصفهانى[٤] سمعت شريكا[٥] يقول «احمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة. فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا».

وقال أبو معاوية[٦] سمعت الأعمش[٧] يقول: «أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين» يعنى أصحاب المغيرة بن سعيد[٨]. ورد شهادة من عُرف بالكذب متفق عليه ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف. والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس.

(١) حرملة بن يحيى التجيبى (المتوفى سنة ٢٤٣) من مفاخر مصر ، تتلمذ على الشافعى وروى عن ابن وهب (حامل علم مالك إلى مصر) نحو مائة ألف حديث.

(٢) مؤمل بن إهاب الربعى المتوفى سنة ٢٥٤ ممن يروى عنهم أبو داود والنسائى.

(٣) يزيد بن هارون السلمى الواسطى أحد أعلام الحفاظ المشاهير ومن شيوخ الإمام أحمد ، بلغ عدد المجتمعين فى مجلس درسه سبعين ألف رجل ، توفى سنة ٢٠٦.

(٤) من تلاميذ شريك. وهو أحد الذين يروى عنهم البخارى وطبقته ، توفى سنة ٢٢٠.

(٥) شريك بن عبد الله النخعى (٩٥ - ١٧٧) قاضى الكوفة أحد شيوخ الإمام عبد الله بن المبارك وطبقته ومن أقران الثورى وأبى حنيفة.

(٦) أبو معاوية محمد بن خازم الضرير المتوفى سنة ١٩٥. كان أحد الأعلام ومن تلاميذ الأعمش.

(٧) هو الإمام سليمان بن مهران الكوفى (٦٤ - ١٤٨) أحد الأعلام الحفاظ القراء قال سفيان بن عيينة «كان أقرأهم وأحفظهم وأعلمهم ، وكان يسمى (المصحف) لصدقه.

(٨) **المغيرة بن سعيد الكوفى الرافضى** الكذاب المصلوب سنة ١١٩ فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، كان يفسر آية **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر﴾** (النحل: ٩٠) : «إن الله يأمر بالعدل على ، والإحسان فاطمة ، وإيتاء ذى القربى الحسن والحسين. والفحشاء : فلان أفحش الناس ، والمنكر : فلان...» **وكان يقول بإلهية علىّ ، وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على ، وكان يختلف الى امرأة يهودية يتعلم منها ، فاذا سئل ماذا يتعلم منها يقول : أتعلم السحر** ، كان أئمة أهل البيت يتبرأون منه ومن كذبه عليهم وإلحاده فى دين الإسلام.

حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث. والرافضة يقرُّون بالكذب حيث يقولون: دينُنا التقية[1]. وهذا هو النفاق. ثم يزعمون أنهم هم المؤمنون، ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق[2]، فهم كما قيل «رَمَتنى بدائها وانسلَّت» ثم عُمَدُتهم فى العقليات اليوم على كتب المعتزلة، فوافقوهم فى القَدَر، وسَلْب الصفات وما فى المعتزلة من يطعن فى خلافه الشيخين. بل جمهورهم يعظمونهما ويفضلونهما. وكان متكلموا الشيعة - كهشام بن الحكم[3] ....

(١) أخرج الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٤ : ١٦٥) أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب قال لرجل من الرافضة : «والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ، ثم لا تقبل منكم توبة». فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال «نحن أعلم بهؤلاء منكم. إن هؤلاء إن شاءوا صدقوكم ، وإن شاءوا كذبوكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى (التقية). ويلك ! **إن التقية هى باب رخصة للمسلم إذا اضطر اليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، إنما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق. وأيم الله ما بلغ من التقية أن يجعل الله بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله».**

(٢) كتب السيد ابراهيم الرواى (من علماء أهل السنة) إلى محمد مهدى السبزوارى (من مجتهدى الشيعة) رسالة تاريخها ١٤ صفر ١٣٤٧ يشكو له قول بهاء الدين العاملى الشيعى فى حاشيته على تفسير البيضاوى عند تفسيره قول الله سبحانه **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾** (التوبة: ٧٤): أنها نزلت فى أبى بكر وعمر والصحابة. ومما قاله السيد ابراهيم الراوى «لو أن أبا بكر وعمر وباقى الصحابة الذين يزيدون عند وفاة النبى ﷺ على مائة الف كانوا - إلا خمسة أو ستة أو سبعة - كفاراً أو منافقين أو مرتدين كما ارتدت الأعراب لأعلنوا دين الجاهلية ولم يقاتلوا أهل الردة. وهذا النبى ﷺ مدة ٢٣ سنة يصحبه أصحاب كفار ، ومدة طويلة أيضا تصحبه زوجة كافرة لا يعلمهم ! وقد علمه الله علم الأولين والآخرين ؟». فأجابه السبزوارى بجواب تاريخه رابع ربيع الآخر : «قلتم أدام الله ظلكم: وإذا صدق قول الشيعة فى ارتداد الصحابة كلهم الذين يتجاوز عددهم مائة ألف - إلا خمسة أو ستة أو سبعة (والصواب ثلاثة) - فلم يقاتل أبو بكر أهل الردة ويردهم إلى الإسلام ؟ وكفره كفر حكمى لا كفر واقعى كعبادة الوثن والصنم. ولم يعتقد الشيعة كفر الصحابة وعائشة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما قالوا أنهم ارتدوا بعد النبى صلى الله عليه وسلم». وعلى هذا فالبهاء العاملى كذاب فى أن الآية نزلت فى أبي بكر وعمر والصحابة ، وإن كان البهاء العاملى والسبزوارى متفقين مع أهل ملتهما فى أن الصحابة - بعد وفاة النبى ﷺ على الأقل - كانوا كفاراً ونحن نسلم بأن الصحابة كانوا كفاراً ولكن بكل ما تخالف به الشيعة رسالة الإسلام التى بعث الله بها خاتم رسله وآخر المعصومين من عباده. وانظر تفصيل مراسله الراوى والسبزوارى فى مجلة (الفتح) جزء جمادى الآخرة ١٣٦٦ .

(٣) هشام بن الحكم مولى كندة ، نشأ فى أحضان أبى شاكر الديصانى الزنديق وكان من غلمانه ، ومن بيئة أبى شاكر رضع أفاويق الإلحاد والزندقة والتجسيم «حتى إذا فرق الدهر بينه وبين أستاذه الأول بحث عن زميل آخر منحرف عن جادة السنة الإسلامية فجمعه الدهر بأحد الجهمية ، **على تناقض مذهب هشام**=

وهشام الجواليقي[1] ويونس بن عبد الرحمن القُمِّي[2] - يبالغون في إثبات الصفات ويجسمون.

قال المصنف ابن المطهر: (أما بعد فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين. وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة. وهي أحد أركان الإيمان، المستحق بسببه الخلود في الجنان. فقد قال رسول الله ﷺ «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتةً جاهلية» خدمتُ به خزانة السلطان الأعظم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، شاهنشاه غياث الملة والدين خدا بنده... ورتبتها على فصول: الأول في نقل المذاهب في هذه المسألة. الثاني أن مذهب الإمامية واجب الاتباع. الثالث في الأدلة على إمامة علي. الرابع في الإثني عشر. الخامس في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان) رضي الله عنهم. [أ.هـ]

=**في التجسيم ومذهب جهم في نفي الصفات إلا أن الجامع بينهما انحراف كليهما عن الجادة والغلو في البدعة**. وعلم به البرامكة وهم سلالة سدنة بيت النار للمجوس فتألفوه وأشبعوا نهمته واستعملوا ذكاءه في أغراضهم.

ولعلهم هم الذين دفعوه للانتماء إلى حركة التشيع ليتعاون مع غلاتها وليتصيد الأغرار من أحداثها وليستعين برءوسها على أغراض بعيدة للبرامكة ، وكانت بيئة التشيع حافلة بكل عنصر ومعدن. وفي هذا الدور من شيخوخة هشام بن الحكم **استيقظ الخليفة هارون لألاعيب البرامكة والشعوبيين والزنادقة ، فكانت نكبة البرامكة** ، واستتر في خلالها هشام ابن الحكم ثم انقطعت أخباره عن الناس ويقال إنه مات سنة ١٩٩. وانظر لعقيدته مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٦٣ وما بعدها.

(٢) هو هشام بن سالم الجواليقي العلاف مولى بشر بن مروان ، كان يقول أن لله صورة وأن آدم خلق على مثال الرب ، وأن الله مجوف من الرأس إلى السرة ، ومصمت من السرة إلى القدم وعلماء= =الجرح والتعديل من الشيعة يقولون عنه إنه ثقة ثقة. وهو معاصر لهشام ابن الحكم وشيطان الطاق وزمن البرامكة.

(١) هو مولى علي بن يقطين. ولد في زمان هشام بن عبد الملك ، وعاصر موسى الرضا والمأمون وله عقائد فاسدة. يروى الشيعة أن محمد بن داذويه كتب الي موسى الرضا يسأله عن يونس فكتب إليه : لعنه الله، ولعن أصحابه ، وبرىء الله منه ومن أصحابه. وضرب مرة بالأرض كتابا ألفه يونس وقال : هذا كتاب ابن لزان وزانية. هذا كتاب زنديق. ولما ذهب موسى الرضا الى خراسان إجابة لدعوة المأمون قال عنه يونس : إن دخل في هذا الأمر طائعا أو مكرها فهو طاغوت. ومع ذلك فان الشيعة يوثقونه ويعدونه من مفاخرهم ويمارون فيما ثبت من أوزاره.

فيقال: الكلام على هذا من وجوه:

فقوله إن مسألة الإمامة «أهم المطالب» كذب بالإجماع. إذ الإيمان أهم، فمن المعلوم بالضرورة أن الكفار على عهد النبى ﷺ كانوا إذا أسلموا أجرىَ عليهم أحكام الإسلام ولم تذكر لهم الإمامة بحال.

فكيف تكون أهمَّ المطالب. أم كيف يكون الإيمان بإمامة محمد بن الحسن المنتظر من أربعمائة ونِّيف وستين سنة ليخرج من سرداب سامراء أهمَّ من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ؟ !

ويقال للرافضة: إن كان ما بأيديكم كافيا فى الدين فلا حاجة إلى المنتظر، وإن لم يكن كافيا فقد أقررتم بالنقض والشقاء حيث كانت سعادتكم موقوفة على أمر آمر لا تعلمون بماذا أمر. وكان ابن العود الحلى يقول: إذا اختلفت الإمامية على قولين أحدهما يعرف قائله والآخر لا يعرف قائله، فالقول الذى لا يعرف قائله هو الحق / لأن المنتظر المعصوم فى تلك الطائفة ! فانظر الى هذا الجهل، فأنه - بتقدير وجود المنتظر - لا يُعلم أنه قال ذلك القول. ولم ينقله عنه أحد: فمن أين نجزم بأنه قوله ؟ فأصل دين هؤلاء مبنى على مجهول ومعدوم. فالمقصود من الإمام طاعة أمره، ولا سبيل الى معرفة أمره، فلا فائدة فيه أصلا لا بعقل ولا بنقل. فأوجبوا وجود المنتظر وعصمته. قالوا: لأن مصلحة الدين والدنيا لا تحصل إلا به، وهم فما حصلت لهم بالمنتظر مصلحة قط. والذين أنكروه لم تفتهم مصلحة فى الدين ولا فى الدنيا ولله الحمد.

فإن قلتم : إيماننا به كإيمان كثير من الصالحين والزهاد بإلياس والخضر والغوث والقطب ممن لا يعرف وجودهم ولا أمرهم ولا نهيهم[1]. قلنا: ليس الإيمان بوجودهم واجبا عند أحد من العلماء ، فمن أوجب الإيمان بوجودهم كان قوله مردوداً كقولكم، وغاية ما يقوله الزهاد فى أولئك أن المصدق بوجودهم أكمل

(١) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام السلمى (٥٧٧ - ٦٦٠) رسالة مطبوعة فى حلب عن الربدال والغوث والقطب والنجباء وأن هذه الأسماء ليس لها أصل فى الدين الإسلامى. وغير مأثورة عن النبى ﷺ في حديث صحيح ولا ضعيف.

وأفضل ممن ينكر وجودهم، ومعلوم بالاضطرار من الدين أن نبى الله ﷺ لم يشرع لأمته التصديق بوجود هؤلاء. فأما من زعم أن القطب أو الغوث هو الذى يمد أهل الأرض فى هداهم ونصرهم ورزقهم، وأن هذه الأمور لا تصل الى أحد من أهل الأرض إلا بواسطته، فهذا ضال يشبه قوله قول النصارى فى الباب، وهذا كما قال بعض الجهلة فى النبى ﷺ وفى شيوخهم أن علم أحدهم «ينطبق» على علم الله وقدرته فيعلم ما يعلمه الله، ويقدر ما يقدره الله. ثم الذى عليه المحققون أن الخضر وإلياس ماتا(١).

ولقد خلا بى بعض الإمامية وطلب أن أتكلم معه، فقررت له قولهم / من أن الله تعالى أمر العباد ونهاهم، فيجب أن يفعل بهم اللطف، والإمام لطف، لأن الناس إذا كان لهم إمام يأمرهم بالواجب وينهاهم عن القبيح كانوا أقرب إلى فعل المأمور، فيجب أن يكون لهم إمام، ولابد أن يكون معصوما ليحصل المقصود به. ولم تدع العصمة لأحد بعد الرسول عليه السلام إلا لعلى فتعين أن يكون إياه، للإجماع على أن غيره ليس بمعصوم وعلى قد نص(٢) على الحسن، و [الحسن على] الحسين رضى الله عنهم، الي أن انتهت النوبة إلى محمد بن الحسن المنتظر. فاعترف بأن هذا تقرير جيد.

قلتُ: فأنا وأنت طالبان للعلم والحق والهدى، وهم يقولون: من لم يؤمن بالمنتظر فهو كافر ! فهل رأيتَه، أو رأيتَ من رآه، أو سمعتَ له بخبر، أو تعرف

---

(١) وتلك سنة الله في البشر من أنبياء وغيرهم. ومن نسب إلى الإسلام نصا يخالف ذلك فعليه أن يبرزه، وليس في الحديث الصحيح نص في ذلك.

(٢) في المختصر «قبض» والتصحيح من الأصل (١ : ٢٤). وشيخ الإسلام يقرر للشيعى مذهب الشيعة لتكون المناظرة على أساسه. أما الواقع فان علياً لم ينص على الحسن ، روى الإمام أحمد في مسنده (١ : ١٣٠ رقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا : فاستخلف علينا. قال : لا ، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ. قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم». وروى الإمام أحمد مثله (١ : ١٥٦ برقم ١٣٣٩) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبع. والخبران إسناد كل منهما صحيح. وانظر (العواصم من القواصم) ص ١٩٩.

شيئا من كلامه ؟ قال: لا. قلت: فأى فائدة فى إيماننا بهذا ؟ وأى لطف حصل لنا به ؟ وكيف يكلفنا الله تعالى بطاعة شخص لا نعلم ما يأمر به ولا ما ينهى عنه، ولا طريق لنا الى معرفة ذلك أصلا. وهم من أشد الناس إنكاراً لتكليف مالا يطاق، فهل فى تكليف مالا يطاق أبلغُ من هذا ؟ !

فقال: إثبات هذا مبنيٌّ على تلك المقدمات[1]. قلت: لكن المقصود منها لنا ما يتعلق بنا نحن، وإلا فما علينا مما مضى إذا لم يتعلق بنا منه أمر ولا نهى. وإذا كان كلامنا فى تلك المقدمات لا يحصل لنا فائدة ولا لطفا عُلم أن الإيمان بالمنتظر من باب الجهل لا من باب اللطف والمصلحة. والذى عند الإمامية من النقل عن آبائه[2] إن كان حقا محصلا للسعادة فلا حاجة الى المنتظر، وإن لم يكن محصِّلا للنجاة والسعادة فما نفعهم المنتظر.

ثم مجرَّد معرفة الإنسان إمام وقته أو رؤيته لا يستحق به الكرامة إن لم يوافق أمرَه ونهيه، فما هو بأبلغ من الرسول عليه السلام. فكيف بمن عرف الإمام وهو مضيع للفرائض، معتدٍ، متعد للحدود !

وهم يقولون: حب علي رضى الله عنه حسنة لا يضر معها سيئة[3] ! فإن كانت السيئات لا تضر مع حب على فلا حاجة الى الإمام المعصوم.

وقولك «إن الإمامة أحد أركان الإيمان» جهلٌ وبهتان، فان النبى ﷺ فسر «الإيمان» وشعبه، ولم يذكر «الإمامة» فى أركانه، ولا جاء ذلك فى القرآن، بل قال تعالى (الأنفال ٢): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، وقال تعالى: (الحجرات ١٥): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

---

(١) اى المقدمات التى قررها له شيخ الإسلام واعترف الشيعى بأن هذا تقرير جيد.

(٢) فى المختصر «عن أبايه» والذى فى الأصل (١ : ٢٤) : «عن الأئمة».

(٣) انظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠٤.

اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ وقال تعالي (البقرة ١٧٧): ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ -إلى قوله- وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الى غير ذلك من الآيات. ولم يذكر «الإمامة» ولا أنها من أركان الإسلام.

وأما قولك في الحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» فنقول من روى هذا ؟ وأين إسناده ؟ بل والله ما قاله الرسول ﷺ هكذا. وإنما المعروف ما روى مسلم أن ابن عمر جاء الى عبد الله بن مطيع[١] حين كان من أمر الحرة ما كان، فقال[٢]: اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة، فقال[٣]: إنى لم آتك لأجلس، أتيتُك لأحدثك حديثا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من خلعَ يداً من طاعة لقىَ الله يوم القيامة ولا حُجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». وهذا حديث [حدَّث] به ابنُ عمر لما خلعوا أمير وقتهم يزيد - مع ما كان عليه من الظلم[٤] - فدلَّ الحديث على أن من لم يكن مطيعا لولاة الأمر، أو

(١) كان داعية ابن الزبير فى المدينة ، وكان يحرض المدنيين علي الثورة ، وهو أول من افترى على إمام وقته يزيد بن معاوية بالأكاذيب التى صدقها العوام ونشأت عنها الفتنة. **وقد كذبه محمد بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال له : أنا كنت عند يزيد وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظبا على الصلاة ، متحريا للخبر ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة** (البداية والنهاية ٨ : ٢٣٣). وانظر العواصم من القواصم ص ٢٣٣.

(٢) أى ابن مطيع.

(٣) أى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٥) : «لم يكن من ملوك الإسلام ملك خيرا من معاوية ، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية ، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده. وإذا نسبت إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل». وفي زمن الدولة العباسية كان بعض الناس يضرب المثل الأعلي للعدل بحكم **عمر بن عبد العزيز** ، فقال لهم الإمام الحافظ القدوة سليمان بن مهران الأعمش : **فكيف لو ادركتم معاوية ؟** قالوا : فى حلمه ؟ قال : لا والله ، بل فى عدله. وزمن يزيد كان امتداداً لزمن معاوية وقواده قواده ورجاله رجاله ، لكن الحكومات تتجوز فيما تراه في تقديرها أنه ضرورة ، وافتراء عبد الله بن مطيع الكذب فيما كان يتهم به يزيد - خلافاً لما شهد به محمد بن الحنفية - وتحريضه الناس على الفتنة أدي الى النتائج التى كان يتخوفها ابن عمر فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه أنه جاء يحذر ابن مطيع عواقب خلع يده من طاعة إمامه ونقضه ما كان لإمامه فى عنقه من بيعة. إن ما كان يفعله عبد الله بن مطيع هو الظلم الذى يموت به صاحبه ميتة جاهلية ، والظلم من ابن مطيع أدى الى ظلم مثله من يزيد. وتعريف الظلم عند العرب : وضع الشيء فى غير موضعه ، والميل عن القصد. وهذا ما فعله المحرضون على الشر قبل يوم الحرة ، وهذا ما أدت اليه النتائج المحزنة بعد ذلك.

خرج عليهم بالسيف، مات ميتة جاهلية. وهذا ضد حال الرافضة، فإنهم أبعد الناس عن طاعة الأمراء إلا كرها [وهذا الحديث يتناول من قاتل فى العصبية، والرافضة رءوس هؤلاء، ولكن لا يكفر المسلم بالاقتتال فى العصبية، فإن خرج عن الطاعة[1]] ثم مات ميتة جاهلية لم يكن كافرا. وفى صحيح مسلم عن جندب البجلى مرفوعا «**من قتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية**».

وفى مسلم عن أبى هريرة «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية**». فطالما خرجت الرافضة عن الطاعة وفارقت الجماعة. وفى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال «**من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية**».

ثم لو صح الحديث الذى أوردته لكان عليكم، فمن منكم يعرف إمام الزمان أو رآه أو رأى من رآه أو حفظ عنه مسألة ؟ بل تدعون إلى صبىّ - ابن ثلاث أو خمس سنين - دخل سرداباً من أربعمائة وستين عاما[2] ولم يُرَ له عين ولا أثر، ولا سُمع له حس ولا خبر. وإنما أمرنا بطاعة أئمة موجودين معلومين لهم سلطان، وأن نطيعهم فى المعروف دون المنكر، ولمسلم عن عوف بن مالك عن النبى ﷺ قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. لا، ما أقاموا فيكم الصلاة. ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»

(١) أكملنا هذه الفقرة من الأصل (١ : ٢٧) ولا يلتئم الكلام إلا بها.

(٢) فى الأصل (١ : ٢٩) : «أكثر من أربعمائة وخمسين سنة» وهذا يدل على أن شيخ الإسلام ألف (منهاج السنة) أو (منهاج الاعتدال) بعد سنة ٧١٠. **والتاريخ الذى فى مختصر الحافظ الذهبى يدل على أن اختصاره كان سنة ٧٢٠ أى فى حياة شيخ الإسلام وقبل وفاته بثمانى سنين** ، وكان الحافظ الذهبى في السابعة والأربعين من حياته المباركة.

وذلك لأن الشيعة يزعمون أن دخول من يسمونه آخر أئمتهم فى السرداب فى السرداب كان سنة ٢٦٠.

وفى الباب أحاديث عدة تدل على أن الأئمة ليسوا بمعصومين[(١)].

ثم الإمامية يسلمون أن مقصود الإمامة إنما هو في الفروع، أما الأصول فلا يحتاج فيها إلى الإمام، وهى أهم وأشرف. وإمام الزمان اعترفوا[(٢)] بأنه ما حصلت به بعد مصلحة أصلا، فأى سعى أضل من سعى من يتعب التعب الطويل، ويكثر القال والقيل. ويفارق جماعة المسلمين. ويلعن السابقين. ويعين الكفار والمنافقين. ويحتال بأنواع الحيل. ويسلك أوعر السبل. ويعتضد بشهود الزور. ويدلى أتباعه بحبل الغرور[(٣)]. ومقصوده بذلك أن يكون له إمام يدله على أحكام الله تعالى، وما حصل له من جهته منفعة ولا مصلحة، إلا ذهاب نفسه حسرات، وارتكب الأخطاء، وطول الأسفار، وأدمن الانتظار وعادى أمة محمد ﷺ لداخل[(٤)] فى سرداب، لا عمل له ولا خطاب. ولو كان متيقن الوجود لما حصل لهم به منفعة، فكيف وعقلاء الأمة يعلمون أنه ليس معهم إلا الإفلاس، وأن الحسن بن على العسكرى رضى الله عنه لم يعقب كما ذكره محمد بن جرير الطبرى وعبد الباقى بن قانع وغيرهما من النسابين[(٥)].

---

(١) **بل إن الأئمة الأحد عشر كانوا معترفين بأنهم غير معصومين. وما منهم إلا من حفظ الناس من أدعيته وتضرعاته ما يستغفر فيه الله من ذنوبه، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب، أما الثاني عشر فدخل السرداب طفلا فيما زعموا ولم يحفظ الناس من كلامه ولا من دعائه شيئا الي الآن، لأنه لم يره ولم يسمع صوته أحد الي الآن.**

(٢) فى المختصر «فاعترفوا» والفاء لا حاجة اليها هنا، ولعلها من الناسخ.

(٣) هذه السلسلة من الاتهامات وما سيتلوها بعدها على كل منها شواهد من التاريخ ومن مؤلفات هذه الطائفة يمكن أن نجمع منها مجلدات حافلة بالحقائق لو كان فى الوقت والعمر فسحة.

(٤) فى المختصر «الدخل» والتصحيح من الأصل (١ : ٢٩).

(٥) ذكر ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ٣٠٢ **أن دعياً احتال حتى توصل الى الخليفة المقتدر فادعى أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسي بن جعفر**، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبى طالب وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وضج بنو هاشم وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس ويعاقب أشد عقوبة. فحمل على جمل وشهر فى الجانبين يوم التروية ويوم عرفة. ثم حبس فى حبس المصريين بالجانب الغربى. **والشاهد من الخبر الذى رواه الطبرى قول نقيب الطالبيين أن الحسن العسكرى لم يعقب.** والقائلون بأن الحسن العسكرى لم يعقب أقوى حجة من الذين يدعون أن نرجس مملوكة الحسن وضعت له ولداً فى حياته أو بعد موته :=

ثم يقولون: دخل السرداب وله [إما] سنتان وإما ثلاث وإما خمس، وهذا يتيم بنص القرآن تجب حضانته وحفظ ماله. فاذا صار له سبع سنين أمر بالصلاة. فمن لا توضأ ولا صلى وهو تحت الحجر - لو كان موجوداً[1] - فكيف يكون إمام أهل الأرض، وكيف تضيع مصلحة الإمامة مع طول الدهور ؟ !

❊ ❊ ❊

=وأقرب الناس الى الحسن العسكرى أخوه جعفر بن على بن موسى ، فانه بعد وفاة أخيه حاز تركته باعتبار أنه لا وارث له غيره ، وحجز جواريه الى أن تبين له وللناس أنه ليس بإحداهن حمل ، **والتاريخ - بقواعده وتمحيصاته - لا يعرف شخصية لولد ينسب للحسن العسكرى.** أما الدعاوى الطائفية والأهواء المذهبية التى تنتهى بهذه الشخصية الى أنها لا تزال علي قيد الحياة إلى الآن فلا يبعد أن نصيب بدايتها من الحقيقة كنصيب هذه النهاية من ذلك وسبحان واهب العقول.

(١) فى المختصر «أن لو كان موجوداً» بزيادة «أن» والتصحيح من الأصل (١ : ٣٠).

الفصل الأول

فى نقض المذاهب فى مسألة الإمامة (١)

قال المؤلف الرافضى: (ذهبت الإمامية إلى أن الله عدل حكيم لا يفعل قبيحا ولا يظلم، وأنه رءوف بالعباد يفعل لهم ما هو الأصلح لهم - إلى أن قال - ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول ﷺ بالإمامة، فنصب أولياء معصومين ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم، ولئلا يخلى الله العالم من لطفه ورحمته، وأنه لما بعث محمداً ﷺ قام بثقل الرسالة ونص على أن الخليفة من بعده على، ثم من بعد على ولده الحسن(٢)، ثم على ولده الحسين، ثم على [علىّ] بن الحسين، ثم على محمد، ثم على جعفر، ثم على [موسى بن جعفر]، ثم على علىّ بن موسى، ثم على محمد بن علىّ الجواد، ثم على على بن محمد الهادى، ثم على الحسن بن علىّ العسكرى ، ثم على الحجة محمد بن الحسن. وأن النبى ﷺ لم يمت إلا عن وصية بالإمامة. وأهل السنة ذهبوا الى خلاف ذلك كله: فلم يثبتوا العدل والحكمة فى أفعاله تعالى، وجوزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل أفعاله كلها لا لغرض من الأغراض، ولا لحكمة، وأنه يفعل الظلم والعبث، وأنه لا يفعل الأصلح لعباده بل [ما] هو الفساد فى الحقيقة كفعل المعاصى وأنواع الكفر، فجميع أنواع الفساد الواقعة فى العالم مسندة إليه. وأن المطيع لا يستحق ثوابا والعاصى لا يستحق عقابا: قد يعذب النبى ﷺ ويثيب إبليس وفرعون. وأن الأنبياء غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والفسق والكذب. وأن النبى ﷺ لم ينص على إمامة، بل مات عن غير وصية، وأن الإمام بعده أبو بكر بمبايعة عمر وبرضا أربعة: أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد. ثم من بعده عمر بنص أبى بكر. ثم عثمان،

(١) عناوين الفصول لم تكن في المختصر ، ولكن الكتاب المردود عليه ، والرد ، والمختصر ، مبنية كلها على هذه الفصول.

(٢) انظر التعليق فى ص ٢٧.

ينص عمر على ستة هو أحدهم فاختاره بعضهم، ثم على بمبايعة الخلق له[1] [ثم اختلفوا[2]] فقال بعضهم إن الإمام بعده الحسن، وبعضهم قال معاوية، ثم ساقوا الإمامة فى بنى أمية إلى أن ظهر السفاح).

••هذا النقل لمذهب أهل السنة والرافضة فيه من التحريف والكذب ما نذكره: فمنه أن إدخال القدر والعدل فى هذا الباب باطل من الجانبين، إذ كل قول منه قد قال به طوائف من السنة والشيعة. فالشيعة منهم طوائف تثبت القدر وتنكر التعديل والتجوير. والذين يقرون بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فيهم طوائف تقول بالتعديل والتجوير. فان المعتزلة أصل هذا. وإن شيوخ الرافضة كالمفيد والموسوى والطوسى والكراجكى[3] إنما أخذوا ذلك من المعتزلة، وإلا فالقدماء من الشيعة لا يوجد فى كلامهم، شىء من هذا، **فذكره القدر فى مسائل الإمامة لا مدخل له بوجه.** وما نقله عن الإمامية لم يحرره، فان من تمام قولهم «إن الله لم يخلق شيئا من أفعال الحيوان، بل تحدث الحوادث بغير قدرته ولا خلقه» ومن قولهم: «إن الله لا يقدر أن يهدى ضالا، ولا يقدر أن يضل مهتديا. ولا يحتاج أحد من البشر إلى أن يهديه الله، بل الله قد هداهم [هدى[4]] البيان، وأما الاهتداء فقد يهتدى بنفسه لا بمعونة الله له» ومن قولهم: «إن هدى الله للمؤمنين والكفار سواء ، ليس علي المؤمنين نعمة فى الدين أعظم من نعمته على الكافرين، بل قد هدى علياً بما هدى أبا جهل، بمنزلة الأب الذى يعطى أحد ابنيه دراهم ويعطى الآخر مثلها فأنفقها هذا فى الطاعة وهذا فى المعصية». ومن

---

(١) أى لا بالنص ، لأنه لا نص. وقد خطب علي منبر رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وهو اليوم السادس من شهادة أمير المؤمنين ذى النورين عثمان فقال كرم الله وجهه «يا أيها الناس عن ملأ وأذن. إن هذا أمركم ، ليس لأحد فيه حق إلا إن أمرتم. وقد افترقنا بالأمس على أمر (أى على ترشيحه للخلافة) فان شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد» والخبر بطوله عند الطبرى (٥ : ١٥٦ - ١٥٧). وقول أمير المؤمنين كرم الله وجهه « إن هذا أمركم ، ليس لأحد فيه حق إلا إن أمرتم» يهدم كل ما بناه الشيعة من ثلاثة عشر قرنا الى الآن. . . وانظر (العواصم من القواصم ص ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) الزيادة من الأصل (١ : ٣١).

(٣) انظر الهامش رقم ١ - ٤ ص ٢٠.

(٤) انظر الهامش رقم ١ - ٤ ص ٢٠.

أقوالهم: «إنه يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء »، فلا يثبتون لله مشيئة عامة، ولا قدوة تامة، ولا خلقا متناولا لكل حادث. وهذا نص قول المعتزلة. ولهذا كانت الشيعة فى هذا على قولين.

وقوله «**إنه نصب أولياء معصومين لئلا يخلى الله العالم من لطفه**» فهم يقولون: إن الأئمة المعصومين مقهورون مظلومون عاجزون ليس لهم سلطان ولا قدرة، حتى إنهم يقولون ذلك فى على رضى الله عنه منذ مات النبى ﷺ إلى أن استخلف وفى الإثنى عشر ويقرون أن الله ما مكنهم ولا ملكهم وقد قال تعالى: ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ٥٤). فإن قيل: المراد بنصبهم أنه أوجب عليهم طاعتهم فاذا أطاعوهم هدوهم، ولكن الخلق عصوهم. فيقال: لم يحصل - بمجرد ذلك - فى العالم لا لطف ولا رحمة، بل إنما حصل تكذيب الناس لهم ومعصيتهم إياهم. و (المنتظر) ما انتفع به من أقر به ولا من جحده. وأما سائر الإثنى عشر - سوى على رضى الله عنه - فكانت المنفعة بأحدهم كالمنفعة بأمثاله من أئمة الدين والعلم. وأما المنفعة المطلوبة من أولى الأمر فلم تحصل بهم. فتبين أن ما ذكره من «اللطف» تلبيس وكذب.

وقوله: «إن أهل السنة لم يثبتوا العدل والحكمة إلخ» نقل باطل عنهم من وجهين: أحدهما أن كثيراً من أهل النظر الذين ينكرون النص يثبتون العدل والحكمة كالمعتزلة ومن وافقهم. ثم سائر أهل السنة ما فيهم من يقول إنه تعالى ليس بحكيم ولا إنه يفعل قبيحا، فليس فى المسلمين من يتكلم بإطلاق هذا إلا حل دمه.

- ولكن مسألة القدر فيها نزاع فى الجملة:

فقول المعتزلة ذهب إليه متأخرو الإمامية وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وأهل البيت، فتنازعوا فى تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذى يجب تنزيهه عنه، وفى تعليل أفعاله وأحكامه، فقالت طائفة: إن الظلم ممتنع عليه وهو محال لذاته كالجمع بين الضدين، وأن كل ممكن مقدور فليس هو ظلما. وهؤلاء

يقولون: إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظلما. وقالوا: الظلم التصرف فيما ليس له والله له كل شيء، وهذا قول كثير من أهل الكلام المؤمنين بالقدر، وقول عدة من الفقهاء، وقالت طائفة: بل الظلم مقدور ممكن، والله لا يفعله لعدله، وبهذا مدح نفسه إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (يونس: ٤٤) والمدح إنما يكون بترك المقدور، وقالوا: وقد قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩)، وقال: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (ق: ٢٩) وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا على المستحيل.

وثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ. « **أن الله يقول: يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى** » فقد حرم الظلم على نفسه كما ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢)، وفى الصحيح: «**إن الله لما قضى الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى غلبت غضبى**» وما كتبه علي نفسه أو حرمه علي نفسه فلا يكون إلا مقدوراً له، فالممتنع لنفسه لا يكتبه علي نفسه ولا يحرمه على نفسه، وهذا قول أكثر أهل السنة [والمثبتين للقدر[1]] من [أهل] الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف. [و[1]] علي هذا القول فهؤلاء هم القائلون بعدل الله وإحسانه دون من يقول من القدرية إن من فعل كبيرة حبط إيمانه، فهذا نوع من الظلم الذى نزه الله نفسه عنه، وهو القائل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٨) فمن اعتقد أن منه على المؤمن بالهداية دون الكافر ظلم فهذا جهل لوجهين: أحدهما أن هذا تفضيل، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧) وكما قالت الأنبياء: ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ١١) فهو تعالي إلا يضع العقوبة إلا في المحل الذى يستحقها، لا يضع العقوبة على محسن أبدا، ولهذا قيل: كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ولهذا يخبر أنه يعاقب الناس بذنوبهم، وأن إنعامه عليهم إحسان منه، وفى الصحيح ﷺ: «**فمن**

(١) الزيادة من الأصل (١ : ٣٣).

وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النساء ٧٩) أى ما أصابك من نعم تحبها كالنصر والرزق فالله أنعم بذلك عليك، وما أصابك من نقم تكرهها فبذنوبك وخطاياك. فالحسنات والسيئات هنا النعم والمصائب كما قال: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ (الأعراف ١٦٨) وقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ (التوبة ٥٠) وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾(آل عمران ١٢٠).

وأجمع المسلمون علي أنه تعالي موصوف بالحكمة، فقالت طائفة: معناها راجع إلى العلم بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذى أراده، وقال جمهور السنة، بل هو حكيم فى خلقه وأمره. والحكمة ليست هى مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيما. ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى إرادة محمودة ومذمومة، بل الحكمة ما فى خلقه وأمره من العواقب المحمودة. وأصحاب القول الأول - كالأشعرى ومن وافقه من الفقهاء[1] - يقولون ليس فى القرآن لام التعليل فى أفعال الله، بل ليس فيه إلا لام العاقبة. وأما الجمهور فيقولون. بل لام التعليل داخلة فى أفعاله وأحكامه.

أما القائلون بالتعليل فانهم يقولون: أن الله يحب ويرضى وذلك أخص من الإرادة، وأما المعتزلة وأكثر الأشعرية، فيقولون المحبة والرضاء والإرادة سواء.

فجمهور السنة يقولون: لا يحب الكفر ولا يرضاه، وإن كان داخلا فى مراده كما دخلت سائر المخلوقات لما فى ذلك من الحكمة. وهو وإن كان شرا بالنسبة إلى الفاعل وليس كل ما كان شرا بالنسبة إلى الفاعل يكون عديم الحكمة، بل لله فى مخلوقاته حكم قد تخفى.

(١) انظر للأشعرى والأشعرية التعليق رقم ٢ ص ٤١ والتعليق رقم ٢ ص ٤٣.

- التنبيه على أصل مسألة التعليل:

إلى أن قال شيخنا: وإنما القصد هنا التنبيه على أصل (**مسألة التعليل**). فإن هذا المبتدع أخذ يشنع على أهل السنة بمسائل لا يذكر حقيقتها ولا أدلتها، وينقلها على الوجه الفاسد، وما ينقله عن أهل السنة خطأ أو كذب عليهم أو على كثير منهم، وما صدق فيه فقولهم فيه خير من قوله. فإن غالب شناعته هنا على الأشعرية وهم خير من المعتزلة والرافضة. ويقولون لهم: لما كان هذا الدليل عمدتكم استطال عليكم الدهرية والفلاسفة وابن سينا. وهذا الدليل مناف فى الحقيقة لحدوث العالم، لا مستلزم له، فإذا كان هذا الحادث لابد له من سبب حادث وكان هذا الدليل مستلزما لحدوث الحادث بلا سبب لزم أن لا يكون الله أحدث شيئا. وإذا جوزنا ترجيح أحد طرفى الممكن بلا مرجح انسد طريق إثبات الصانع الذى سلكتموه.

وأما قولك «**جوزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب**» فما قال مسلم قط إن الله يفعل قبيحا أو يخل بواجب، ولكنكم معشر النفاة للقدر توجبون على الله من جنس ما يجب على العباد، وتحرمون عليه ما يحرم عليهم، فتقيسونه على خلقه. فأنتم مشبهة للأفعال فأما المثبتون للقدر من السنة والشيعة فمتفقون على أن الله تعالى لا يقاس بنا فى أفعاله كما لا يقاس بنا فى ذاته وصفاته. فليس ما وجب علينا أو حرم علينا يجب أو يحرم عليه، ولا ما قبح منا قبح منه. واتفقوا على أنه إذا وعد بشىء كان وقوعه واجبا بحكم وعده، لقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾** (آل عمران ٩ والرعد ٣١)، وكذا لا يعذب أنبياءه ولا أولياءه، بل يدخلهم جنته كما أخبر. لكن تنازعوا فى مسألتين:

- **إحداهما:** أن العباد هل يعلمون بعقولهم حسن بعض الأفعال، ويعلمون أن الله متصف بفعله. ويعلمون قبح بعض الأفعال، ويعلمون أن الله منزه عنه ؟ على قولين: أحدهما أن العقل لا يعلم به حسن ولا قبح. أما فى حق الله فلأن القبيح منه ممتنع لذاته، وأما فى حق العباد فلأن الحسن والقبح لا يثبت إلا بالشرع قاله

الأشعرية وكثير من الفقهاء، وهم لا ينازعون فى الحسن والقبح - إذا فسربمعنى الملائم والمنافى - أنه قد يعلم بالعقل. وكذا لا ينازع كثير منهم فى أنه إذا عنى به كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص أنه يعلم بالعقل. الثانى أن العقل قد يعلم به حسن كثير من الأفعال وقبحها فى حق الله تعالى وحق عباده. وهذا مع أنه قول المعتزلة فهو قول الكرامية وجمهور الحنفية وقول أبى بكر الأبهرى المالكى وأبى الحسن التميمى وأبى الخطاب [الكاواذى] من الحنابلة. وذكر أبو الخطاب أنه قول أكثر أهل العلم وهو قول أبى نصر السجزى وسعد الزنجانى من المحدثين. وقد تنازع الأئمة فى الأعيان قبل ورود السمع، فقالت الحنفية وكثير من الشافعية والحنابلة أنها على الإباحة مثل ابن سريج وابن اسحاق المروذى وأبى الحسن التميمى وأبى الخطاب. وقالت طائفة كأبى على بن أبى هريرة وابن حامد والقاضى أبى يعلى إنها على الحظر. مع أن خلقاً يقولون إن القولين لا يصحان إلا على أن العقل يحسن ويقبح، فمن قال إنه لا يعرف بالعقل حكم امتنع أن يصفها قبل الشرع بشيء كما قاله الأشعرى وأبو الحسن الجزرى وأبو بكر الصيرفى وابن عقيل.

- **وأما المسألة الثانية:** تنازعوا هل يوصف الله بأنه أوجب على نفسه وحرم عليها، أو لا معنى للوجوب إلا إخباره بوقوعه، ولا معنى للتحريم إلا إخباره بعدم وقوعه. فقالت طائفة بالقول الثانى وهو قول من يطلق أن الله لا يجب عليه شيء ولا يحرم عليه شيء. وقالت طائفة بل هو أوجب على نفسه وحرم كقوله تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ (الأنعام: ٥٤)، : ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الروم: ٤٧) وفى الحديث: «**يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى**». أما أننا نوجب عليه أو نحرم عليه فلا[1]. فمن قال لا يجب عليه ولا يحرم امتنع عنده أن يكون فاعلا لقبيح أو مخلا بواجب، ومن قال هو أوجب على نفسه أو حرم عليها بإخباره إيانا فاتفقوا علي أنه لا يخل بما التزمه.

---

(١) انظر كتاب (التوسل والوسيلة) لشيخ الإسلام ص ٥٧ - ٥٨ و ٦١ - ٦٢ طبع السلفية.

ولكنك سلكت مسلك أمثالك تحكى الشىء بطريق الإلزام، وتقول [أهل] السنة ما لم يقولوه، فاستنبطت من قولهم «لا يجب عليه شىء ولا يقبح منه شىء» ما ادعيت عليهم، أى يفعل ما هو قبيح عندك !

- ما شاء الله كان... وما لم يشأ لم يكن:

وأيضا فأهل السنة يقولون بإثبات القدر ويصرحون بأنه «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن» وأن الهدى تفضل منه. وأنتم تقولون إنه يجب عليه أن يفعل بكل عبد ما تظنونه واجبا عليه ويحرم عليه ضد ذلك، فأوجبتم عليه أشياء وحرمتم عليه أشياء، وهو لم يوجبها على نفسه، ولا علم وجوبها عليه بشرع ولا عقل. ثم تحكون عن من لم يوجبها أنه يقول إن الله يخل بالواجب ! وهذا تلبيس.

وأما قولك «ذهبوا إلى أنه لا يفعل لغرض ولا لحكمة البتة». فيقال: أما تعليل أفعاله وأحكامه بالحكم ففيه قولان لأن السنة، والغالب على العلماء - عند الكلام فى الفقه - التعليل. وأما فى الأصول فمنهم من يصرح بالتعليل. وأما «الغرض» فالمعتزلة تصرح به وهم من القائلين بإمامة الشيخين. وأما الفقهاء ونحوهم فهذا اللفظ يشعر عندهم بنوع من النقص فلا يطلقونه، فإن كثيراً من الناس إذا قيل لهم «فلان له غرض» أو «فعل لغرض» أرادوا أنه يفعل بهوى أو مراد مذموم، والله منزه عن ذلك.

وأما قولك «يفعل الظلم والعبث» فما قال بها مسلم، تعالى الله عن ذلك. بل يقولون خلق أفعال عباده - إذ قال: ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٠٢) - التى **هى ظلم من فاعلها لا هى ظلم من خالقها،** كما أنه إذا خلق عبادتهم وحجهم وصومهم لم يكن هو حاجاً ولا صائماً ولا عابدا، وكذا إذا خلق جوعهم لم يسم جائعا. **فالله تعالى إذا خلق فى محل صفة أو فعلا لم يتصف هو بتلك الصفة ولا بذلك الفعل، ولو كان كذلك لاتصف بكل ما خلقه من الأعراض.**

وهنا زلت المعتزلة وأتباعهم الذين قالوا: ليس لله كلام إلا ما خلقه فى غيره،

وليس له فعل إلا ما كان منفصلا عنه. فلا يقوم به عندهم لا قول ولا فعل، بل جعلوا كلامه الذى كلم به ملائكته ورسله وأنزله على أنبيائه هو ما خلقه فى غيره. فقيل لهم: الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره، فإذا خلق[1] حركة [فى[2]] محل كان هو المتحرك لا خالق الحركة، وكذلك إذا خلق لونا أو ريحا أو علما أو قدرة فى محل كان هو المتلون والمتروح والقادر والعالم لا خالق ذلك، فكذلك إذا خلق كلاما فى محل كان المحل هو المتكلم بذلك الكلام.

واحتجت المعتزلة بالأفعال فقالوا: كما أنه عادل محسن بعدل وإحسان يقوم بخلقه فكذلك الكلام. فكان هذا حجة على من سلم الأفعال لهم كالأشعرية فإنه ليس عندهم فعل يقوم به بل يقول: الخلق هو المخلوق لا غيره. وهو قول طائفة من أصحاب مالك والشافعى وأحمد. لكن الجمهور يقولون: الخلق غير المخلوق، وهو مذهب الحنفية، وهذا ذكره عن أهل السنة. ولما قال الأشعرى هذا لزمه أن يقول: إن أفعال العباد فعل الله إذ كان فعله - عنده - مفعوله[3]، فجعل أفعال العباد فعلا لله، ولم يقل هى فعلهم إلا على المجاز، بل يقول هى «كسبهم»، وفسر الكسب بأنه ما حصل فى محل القدرة[4] المحدثة مقرونا بها، وأكثر الناس زيفوا هذا وقالوا: عجائب الكلام ثلاثة: طفرة النظام[5] وأحوال أبى هاشم[6]، وكسب الأشعرى . وقال جمهور السنة: أفعال العباد فعل لهم حقيقة وهو قول

(١) كانت في المختصر «فادخلوا» والصواب «فاذا خلق» كما في الأصل ١ : ١٢٦.

(٢) الزيادة من الأصل ١ : ١٢٦.

(٣) فى المختصر «اذا كان فعله عبده مفعوله» والتصحيح من الأصل ١ : ١٢٧.

(٤) فى المختصر «القدر » والتصحيح من الأصل ١ : ١٢٧.

(٥) ابراهيم بن سيار النظام (١٨٥ - ٢٢١) من رءوس معتزلة البصرة ، اتصل فى شبابه بثنوية وملاحدة دهريين فسرق قلبه من كل طائفة ، إلا أنه كان مفرط الذكاء والألمعية إلى حد أن أبا عمرو الجاحظ كان يرى أن مثله لا يأتى به الدهر إلا مرة في العصور الطويلة. وله قول فسلفى فى الطفرة ليس هنا موضع بيانه.

(٦) أبو هاشم عبد السلام بن أبى على محمد الجبائي (٢٤٧ - ٣٢١) كان هو وأبوه من كبار المعتزلة.

آخر للأشعرى [1] .

وقولك: إنهم يقولون إنه لا يفعل الأصلح لعباده، بل ما هو الفساد كفعل المعاصى والكفر، وأن ذلك مسند إليه (تعالى الله عن ذلك) قلنا: إن هذا قول بعض السنة كما أنه قول لطائفة من الشيعة. وجمهور أئمة السنة لا يقولون ما ذكرت، بل يقولون: إنه تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه فهو خالق العباد وحركاتهم وعباداتهم وإراداتهم. والقدرية ينفون عن ملكه خيار ما فى ملكه وهو طاعة ملائكته وأنبيائه وأوليائه فيقولون: لم يخلقها، ولا يقدر أن يستعمل العبد فيها ولا يلهمه إياها، ولا يقدر أن يهدى أحدا.

وإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة ١٢٨)، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ (ابراهيم ٤٠).

وأما كونه لا يفعل ما هو الأصلح لهم فذهبت طائفة ممن أثبتت القدر إلى ذلك وقالوا خلقه وأمره متعلق بمحض المشيئة لا يتوقف على مصلحة. وذهب جمهور العلماء إلى أنه إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وأرسل الرسل للمصلحة العامة، وإن كان فى ذلك ضرر على بعض الناس ففيه حكم، وهذا قول أكثر الفقهاء وأهل الحديث والتصوف والكرامية، ويقولون: وإن كان فى بعض ما يخلقه ما فيه ضرر - كالذنوب - فلابد فى ذلك من حكمة ومصلحة لأجلها خلقه الله.

وهذا الذى أوردته ليس من كيس شيوخك الرافضة، بل هو من المعتزلة ردوا به على الأشعرية الذين بالغوا فى مسائل القدر حتى نسبوا إلى الجبر، وأنكروا الطبائع والقوى التى فى الحيوان وأن يكون للمخلوقات حكمة وعلة، ولهذا قيل إنهم أنكروا أن يكون الله يفعل لجلب منفعة لعباده أو دفع مضرة.

---

(١) **لأن أقوال الأشعرى** تطورت بتطوره الفكرى من الاعتزال إلى الجد الكلامى مع المعتزلة تزييفا لمقالاتهم ، **ثم أحسن الله خاتمته بالرجوع الى مذهب السلف خالصا صافيا.** انظر تعليقين لنا عنه وعن المذهب الكلامى المنسوب اليه فى (ص ٤١ و ص ٤٣).

وهم لا يقولون إنه لا يفعل مصلحة، بل يقولون: إن ذلك ليس يواجب عليه، ويقولون: إنه لا يفعل شيئا لأجل شيء بل لمحض الإرادة.

وقولك «إنهم يقولون: إن المطيع لا يستحق ثوابا والعاصى لا يستحق عقابا، بل قد يعذب النبى ويرحم إبليس» فهو فرية على أهل السنة، وما فيهم من يقول إنه يعذب نبيا ولا أنه يثيب إبليس. بل قالوا: يجوز أن يعفو عن المذنب وأن يخرج أهل الكبائر من النار فلا يخلد فيها من أهل التوحيد أحدا. وأما (الاستحقاق) فهم يقولون: إن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئا. ويقولون: إنه لابد أن يثيب المطيعين كما وعد، فإن الله لا يخلف وعده. وأما إيجاب ذلك على نفسه وإمكان معرفة ذلك بالعقل فهذا فيه نزاع، لكن لو قدر أنه عذب من يشاء لم يكن لأحد منعه كما قال تعالي: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ١٧) وهو تعالى لو ناقش من ناقشه من خلقه لعذبه كما قال عليه السلام: **«من نوقش الحساب عذب»** وقال **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»** قالوا. ولا أنت يا رسول الله ؟ - قال ﷺ: **«ولا أنا ،إلا أن يتغمدنى الله برحمته»**. والتحقيق أنه قدر أن الله عذب أحداً فلا يعذبه إلا بحق، لأنه يتعالى عن الظلم.

وقولك «إنهم يقولون: إن الأنبياء غير معصومين» فباطل، بل اتفقوا على عصمتهم فيما يبلغونه، وهو مقصود الرسالة. وقد يقع منهم الذنب ولا يقرون عليه ولا يقرون على خطأ ولا فسق أصلا، فهم منزهون عن كل ما يقدح فى نبوتهم. وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها. وقد كان داود بعد التوبة أفضل منه قبلها. وإن العبد ليفعل السيئة فيدخل بها الجنة. ولكن الرافضة أشبهت النصارى : فإن الله أمر بطاعة الرسل فيما أمروا وتصديقهم فيما أخبروا، ونهى الخلق عن الغلو والإشراك، فبدلت النصارى وغلوا فى المسيح حتى أشركوا به وبدلوا دينه فعصوه فصاروا عصاة بمعصيته وخارجين عن الدين بالغلو فيه. والرافضة غلت فى الرسل والأئمة حتى

اتخذوهم أربابا، وكذبوا النص فيما أخبروا به من توبة الأنبياء واستغفارهم فتراهم يعطلون المساجد من الجمعة والجماعة ويعظمون المشاهد المتخذة على القبور فيعكفون عليها ويحجون اليها، حتى منهم من يجعل الحج إليها أعظم من حج البيت، وقد قال عليه السلام: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوا، وقال ﷺ: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**» رواه ابن حبان فى صحيحه، وقال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد، اشتد غضب الله علي قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» رواه مالك فى الموطأ. وقد صنف شيخكم المفيد كتابا سماه (حج المشاهد) جعل قبور المخلوقين تحج كما يحج البيت[1].

وقولك «إن أهل السنة يقولون: إن النبى ﷺ لم ينص على إمامة أحد، وإنه مات عن غير وصية» فهذا ليس قول جميعهم، بل ذهب من أهل السنة جماعة أن إمامة أبى بكر ثبتت بالنص، وذكر فى ذلك أبو يعلى روايتين عن أحمد: إحداهما أنها ثبتت بالاختيار[2]، والثانية أنها ثبتت بالنص الخفى والإشارة، وبه قال الحسن

---

(١) ولحج المشاهد عندهم كتب (مناسك) كثيرة - غير كتاب شيخهم المفيد - ألفها لهم طواغيتهم وتتداولها أيدى عامتهم كما تتداول المصاحف. **بل هم لا يتحرجون من تفضيل مشاهدهم على مكة وبيت الله والسماوات السبع الشداد.** ولقد قرأت مرة فى عدد يوم الخميس ١٠ المحرم ١٣٦٦ من جريدتهم (برجم إسلام) الإيرانية التى يصدرها عبد الكريم فقيهى شيرازى فرأيته يتغنى في ذلك العدد بشعر عربى بي سطور فارسية بمعناه ، ومطلع هذا الشعر :

هى الطفوف ، فطف سبعا بمغناها ... فما لمكة معنى مثل معناها

أرض ولكنما السبع الشداد لها ... دانت ، وطأطأ أعلاها لأدناها

والطفوف جمع طف وهى أرض كربلاء ، وفيها قبر وهمى أنفقوا الملايين علي زخرفته وتجسيمه ، وأقنعوا عقولهم أنه قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين السبط رضى الله عنه. وهذا الشاعر يأمر سامعه وقارئ وثنيته وكفره بأن يطوف سبعا بهذا القبر الموهوم ، ويؤكد له أن مكة التى يطوف المسلمون ببيت الله القائم فيها ليس لها مثل المعني الذى لكربلاء من أجل هذا القبر الموهوم الذى أقاموه بأيديهم ثم صدقوا أنفسهم بأن أدنى غائط فى أرضه يطأطئ له أعلي مكان فى السماوات السبع ، ولعله يشير الى عرش الله الأعظم ! وقد خشى عبد الكريم فقيهى شيرازى أن يستغلق فهم هذا الكفر علي عقول الأنعام من قرائه فترجمه لهم بالفارسية بكل أمانة وإخلاص !

(٢) كذا في المختصر وهو الصواب. أى باختيار أهل الحل والعقد. والذى فى الأصل (١ : ١٣٤ السطر الخامس) : أنها ثبتت بالأخبار. ثم وردت العبارة نفسها مرة أخرى فى الأصل (١ : ١٣٦ السطر الثامن) موضحة هكذا : بالاختيار من أهل الحل والعقد.

البصرى وبكر ابن أخت عبد الواحد وبعض الخوارج. قال ابن حامد: الدليل على إثبات خلافة الصديق بالنص ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع اليه، فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ - كأنها تريد الموت - قال ﷺ: «**إن لم تجدينى فأتى أبا بكر**»، وذكر أحاديث وقال: وذلك نص على إمامته. قال: وحديث حذيفة عن النبى ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدى: أبى بكر وعمر**» وروى على بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال «قال رسول الله ﷺ يوما: «**أيكم رأى رؤيا؟**» فقلت: أنا يا رسول الله، رأيت كأن ميزانا دلى من السماء فوزنت بأبى بكر فرجحت بأبى بكر، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فقال النبى ﷺ: «**خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء**» رواه أحمد فى مسنده. قال وأخرج أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «**رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبى بكر، ونيط عثمان بعمر**» قال جابر. فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الصالح فرسول الله ﷺ، وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه ﷺ. قال ومن ذلك حديث صالح بن كيسان[1] عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ اليوم الذى بدأ به وجعه فقال ﷺ: «**ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا**». ثم قال ﷺ: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**» وهذا فى الصحيحين وعن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما ثقل برسول الله ﷺ قال: «**ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر لأكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه**» ثم قال ﷺ «**معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر**». ثم أورد أحاديث تقديمه فى الصلاة، وأحاديث أخرى لا تصح[2].

(١) في المختصر «طلح بن كيسان» والتصحيح من الأصل (١ : ١٣٤ ٩ وصالح بن كيسان المدنى كان مؤدب ولد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وكان هو الذى يتعهد عمر بن عبد العزيز قبل ذلك عندما أرسله أبوه من مصر إلى المدينة. توفى سنة ١٣٠ وقيل بعد ١٤٠ ، سئل عنه الإمام أحمد فقال : نخ نخ.

(٢) أى لا تبلغ درجة الصحاح. انظر لهذا التعبير كتاب (المغنى عن الحفظ والكتاب).

قال ابن حزم[1]: اختلفوا فى الإمامة فقالت طائفة: إن النبى ﷺ لم يستخلف. وقالت طائفة: لما استخلف أبا بكر على الصلاة كان دليلا علي أنه أولاهم بالإمامة والخلافة. وقال بعضهم: لا، ولكن كان أثبتهم فضلا فقدموه وقالت طائفة: بل نص الرسول ﷺ على استخلاف أبى بكر بعده نصاً جلياً، وبه نقول، لبراهين: (أحدها) إطباق الناس كلهم - الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات ١٥) - فقد اتفق المشهود لهم بالصدق على تسميته «خليفة رسول الله ﷺ» ومعنى «الخليفة» فى اللغة : هو الذى استخلفه المرء، لا الذى يخلفه بدون استخلاف[2]، لا يجوز غير هذا البتة فى اللغة. يقال: استخلف فلان فلانا فهو خليفته ومستخلفه، فان قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف. وبحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لأن أبا بكر لم يستحق هذا الاسم على الإطلاق فى حياة النبى ﷺ، فتبين أنها غير خلافة الصلاة.

(الثانى) أن كل من استخلفه الرسول ﷺ كعلى فى غزوة تبوك وابن أم مكتوم فى غزوة الخندق وعثمان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على اليمن أو البحرين وغير ذلك لم يستحق أحد منهم هذا الإطلاق، فصح يقينا أنها الخلافة بعده على الأمة، ومن المحال أن يجمعوا علي ذلك وهو لم يستخلفه نصاً. وأيضا فان الرواية صحت أن امرأة قالت: يا رسول الله إن رجعت فلم أجدك ؟ - كأنها تعنى الموت - قال ﷺ: «**فأتى أبا بكر**» قال ابن حزم[3]، وهذا نص جلى على استخلاف أبى بكر. وثبت أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها فى

---

(١) في كتابه (**الإمامة والمفاضلة**) **المدرج في الجزء الرابع** من كتابه (الفصل ، فى الملل والنحل) ص ١٠٧ طبع مصر سنة ١٣٢١ **وهو من أعظم ما ألفه أئمة الإسلام فى موضوع الخلافة**.

(٢) لأن فعيلا بمعنى مفعول ، فالخليفة هو الذى استخلفه غيره ، وهؤلاء الذين وصفهم ربهم بقوله ﴿أولئك هم الصادقون﴾ سموا أبا بكر «خليفة رسول الله» أى «الذى استخلفه رسول الله» وهم أعرف الناس برسول الله وأفهمهم عنه ، وقد شهد لهم ربهم بالصدق.

(٣) فى ص ١٠٨ من كتاب (الإمامة والمفاضلة) المذكور ، أى المدرج فى الجزء الرابع من (الفصل).

مرضه «**لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب كتابا وأعهد عهداً لكيلا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمن يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» فهذا نص على استخلاف أبى بكر على الأمة بعده. قلت[1] بل هو نص على عدم استخلافه إياه، وإنما يدل على أنه رضى بأن يكون الخليفة من بعده وعلم أن الأمة تجتمع عليه من بعده، فسكت عن النص الجلى واكتفى بما يجمع الله عليه أمته. قال[2]: وحجة من قال لم يستخلفه قول عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير منى - يعنى رسول الله ﷺ - وبما روى عن عائشة رضى الله عنها إذ سئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف ؟ قالت: أبو بكر.

قال ابن حزم: لا يعارض قول عمر وعائشة إجماع الصحابة والحديثين المسندين، وقد خفى علي عمر وعائشة ذلك وأرادا استخلافا بعهد مكتوب إلى أن قال[3] **شيخنا ابن تيمية: ولا حجة للشيعة فى القول بالنص، فالراوندية تقول بالنص على العباس** كما قالت الإمامية بالنص على علي رضى الله عنه. قال القاضى أبو يعلى ذهب جماعة من الراوندية إلى أن النبى ﷺ نص على العباس بعينه وأعلن ذلك، وأن الأمة كفرت بهذا النص وارتدت وعاندت. ومنهم من قال بالنص علي العباس وولده إلى أن تقوم الساعة. وروى ابن بطة باسناده عن المبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يحلف بالله أن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر. وعمدة القائلين بالنص الجلى على أبى بكر تسمية الصحابة له «خليفة رسول الله ﷺ» قالوا: إنما يقال ذلك لمن استخلفه غيره واعتقدوا أن «الفعيل» بمعنى المفعول، وليس كذلك، بل يقال لمن استخلفه غيره «خليفة فلان» ولمن خلف غيره أيضاً. قال رسول الله ﷺ «من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا» هذا صحيح، وصح قوله عليه السلام «اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى

---

(١) القائل شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) يعنى أبا محمد بن حزم ، فى ذلك الموضع من (الإمامة والمفاضلة).

(٣) فى الأصل «قال» مكررة مرتين.

الأهل» وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (الأنعام ١٦٥) وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (يونس ١٤) وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠) وقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص ٢٦) أى خليفة عمن قبلك، لا أنه خليفة عن الله كما يقوله بعض الاتحادية[١] وأنه من الله كإنسان العين من العين، وأنه الجامع لأسماء الله الحسنى وذكروا قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة ٣١) وأنه مثل الله، تعالى الله عن المثلية، فإن الله لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إنما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه [و] هو سبحانه يخلف عبده إذا غاب عن أهله. ويروى أن أبا بكر قيل له يا خليفة الله، قال: بل أنا خليفة رسول الله ﷺ وحسبى ذلك.

ومما احتج به من قال إن خلافة أبى بكر بنص خفى قول النبى ﷺ الثابت عنه «ورأيت كأنى على قليب[٢] أنزع منها، فأخذها ابن أبى قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين[٣] وفى نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا[٤]، فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فرية[٥] حتى صدر الناس بعطن[٦]» وقوله ﷺ: **«مروا أبا بكر يصلى بالناس»** فصلى بالناس مدة مرضه، إنه ﷺ كشف ستر الباب يوم مات وهم يصلون خلف أبى بكر فسر بذلك. وقال ﷺ: **«لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. لا يبقين فى المسجد خوخة**

---

(١) الاتحادية هم الملاحدة الذين ينكرون التمييز بين واجب الوجود وممكن الوجود، فيدعون إلى «وحدة الوجود»، وهى أن الخالق والمخلوق واحد، ومعنى ذلك أن الكون هو الله. وكل الذين يتحرجون من المجاهرة بإنكار واجب الوجود يدعون إلى وحدة الوجود. وهى فى الأصل عقيدة برهمية تقوم عليها مؤلفات تاغور أحد البراهمة المعاصرين، ويدع إليها جميع المنافقين من ملاحدة الشرق والغرب. وأقل منهم ضرراً الملحدون الصرحاء الذين لا يخادعون الناس بهذا النفاق.

(٢) القليب: البئر قبل أن تطوى، فاذا طويت فهى «الطوى». وسميت قليبا لأنه قلب ترابها.

(٣) الذنوب: الدلو العظيمة وهى ملأى، فاذا كانت فارغة فهى الدلو. سميت دلواً لأنها تدلى فى البئر وتكون عندئذ فارغة.

(٤) الغرب: الماء الذى يقطر من الدلو بين البئر والحوض.

(٥) يفرى فريه. يشق شقه. قال الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء.

إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر» وفى سنن أبى داود من حديث الأشعث عن الحسن عن أبى بكرة: أن النبى ﷺ قال ذات يوم: **«من رأى منكم رؤيا؟»** فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر... الحديث. ورواه أيضاً من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن عبد الرحمن بن أبى بكرة[1] عن أبيه نحوه، وفيه فقال: **«خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء»** ورواه أبو داود من حديث الزهرى عن عمرو بن أبان عن جابر أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال **«أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط (يعنى علق) برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر»** قال: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما نوْط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه ﷺ. وأخرج من حديث حماد بن سلمة عن الأشعث ابن عبد الرحمن عن أبيه عن سمرة أن رجلا قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلوا دلى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها[2] فشرب شربا ضعيفا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها حتى تضلع[3] ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت[4] فانتضح عليه منه شيء. وعن سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء» أو «الملك» قلت لسفينة[5] إن هؤلاء - يعنى بنى مروان - يزعمون أن عليا

---

(١) فى المختصر «أبى بكر» والتصحيح من الأصل (١ : ١٣٨).

(٢) العراقى (جمع عرقوة) وهى الخشبة المعروضة على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب.

(٣) تضلع : أكثر من الشرب حتى تمددت أضلاعه.

(٤) انتشطت : جذبت. وأصله من الأنشوطة التى تلقى على الشيء ليجذب بها.

(٥) القائل لسفينة هو راوى الخبر سعيد بن جمهان قال فيه الإمام أبو حاتم الرازى «شيخ لا يحتج به». وفي سند الخبر حشرج بن نباتة الواسطى قال فيه النسائى «ليس بالقوى» وعبد الله بن أحمد بن حنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب «لين الحديث» ولأجل هؤلاء الضعفاء فى سند حديث سفينة قال عنه الإمام أبو بكر بن العربى فى العواصم من القواصم (ص ٢٠١): هذا حديث لا يصح. وشيخ الإسلام أورده للتعضيد بعد أن ذكر الأحاديث الصحيحة السابقة التى تدخل فى باب النص على الخلافة الراشدة وأنها نصوص محترمة ومعقولة أكثر مما تزعمه الشيعة لمذهبها فى الإمامة.

لم يكن بخليفة. فقال: كذبت أستاه بنى الزرقاء.

فلا ريب أن قول هؤلاء من أهل السنة أوجه من قول من يقول إن خلافة على أو العباس ثبتت بالنص، فإن هؤلاء ليس معهم حجة إلا مجرد الكذب المعلوم بالضرورة أنه باطل، علم ذلك من عرف أحوال الإسلام وأيام الرسول عليه السلام. أو معهم استدلال بألفاظ لا تدل كحديث استنابة على على المدينة نوبة تبوك.

والتحقيق أن النبى ﷺ لم يستخلف، وإنما دل المسلمين وأرشدهم إلى أبى بكر بعدة أمور، ورضى به وعزم أن يكتب له بالخلافة عهداً ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه. فلوكان اليقين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانا قاطعا للعذر كما قال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**». على أن اتفاق الأمة مع رضا رسول الله ﷺ أبلغُ من العهد.

وأما قولك، «يقولون: إن الإمام بعده أبو بكر بمبايعة عمر برضى آربعة» قلنا: بل بمبايعة الكل ورضاهم على رغم أنفك. ولا يرد علينا شذوذ سعد وحده، فهذه بيعة على امتنع منها خلق من الصحابة والتابعين ممن لا يحصيهم إلا الله تعالى، أفذلك قادح فى إمامته؟ ومذهب أهل السنة أن الإمامة تنعقد عندهم بموافقة أهل الشوكة الذين يحصل بهم مقصود الإمامة وهو القدرة والتمكين. ولهذا يقولون: من صار قدرة وسلطان يفعل به مقصود الولاية فهو من أولى الأمر المأمور بطاعتهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامة ملك وسلطان برةً كانت أو فاجرةً، والملك لا يصير ملكا بموافقة ثلاثة ولا أربعة، ولهذا لما بويع على وصار معه شوكة صار إماما. قال أحمد بن حنبل فى رسالة عبدوس العطار «ومن ولى الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين. فدفعُ الصدقات اليه جائز، براً كان أو فاجراً». وقال أحمد - وقد سئل عن قول النبى ﷺ: «**من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية**»، تدرى ما الإمام؟ هو الذى يجمع عليه المسلمون كلهم. فالصديق مستحق الإمامة لإجماعهم عليه وإمامته مما رضى الله بها ورسوله ﷺ، ثم إنه صار إماماً بمبايعة أهل القدرة. وكذلك عمر صار إماما لما بايعوه وأطاعوه. ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر

فى عمر لم يصر إماما، سواء كان ذلك جائزاً أو غير جائز، فالحل والحرمة متعلق بالأفعال، وأما نفس الولاية والسلطنة فعبارة عن القدرة الحاصلة، فقد تحصل علي وجه يحبه الله ورسوله ﷺ كسلطان الخلفاء الراشدين، وقد تحصل على غير ذلك كسلطان الظالمين. ولو قدر أن أبا بكر بايعه عمر وطائفة وامتنع سائر الصحابة من بيعته لم يصر إماما بذلك، وإنما صار إماماً بمبايعة جمهور الناس، ولهذا لم يضر تخلف سعد لأنه لم يقدح فى مقصود الولاية. وأما كون عمر بادر إلى بيعته فلابد فى كل بيعة من سابق، ولو قدر أن آحاد الناس كان كارها للبيعة لم يقدح ذلك فيها، إذ الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية.

وأما عهده إلى عمر فتم بمبايعة المسلمين له بعد موت أبى بكر فصار إماما.

وقولك «ثم عثمان فاختاره بعضهم». قلنا: **بل اجتمعوا على بيعته، وما تخلف عنها أحد.** قال أحمد بن حنبل فى رواية حمدان بن على: «ما كان فى القوم أوكد بيعة من عثمان، كانت بإجماعهم». وصدق أحمد، فلو قدر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه على وطلحة والزبير وأهل الشوكة لم يصر إماما، وقد جعل عمر الأمر شورى بين ستة، ثم إنه خرج منهم ثلاثة باختيارهم: طلحة والزبير وسعد، وبقى عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف فاتفق هؤلاء باختيار منهم على أن عبدالرحمن لا يتولى ويولى أحد الرجلين[1]، فأقام عبد الرحمن ثلاثا يحلف أنه لم يغتمض فيها بنوم يشاور السابقين الأولين والأنصار فيشيرون عليه بعثمان، ثم بايعوه، لا عن رغبة أعطاهم إياها، ولا عن رهبة أخافهم بها.

وقولك «ثم على بمبايعةالخلق له» فتخصيص بلا مخصص. فكذلك جرى للثلاثة قبله وأعظم وأبلغ، فان عليا بويع عقيب قتل عثمان والقلوب مضطربة مختلفة، وأحضر طلحة إحضارا حتى قيل إنهم جاءوا به مكرها واضطهدوه للبيعة، وأهل الفتنة لهم بالمدينة شوكة ومنعة، وكثير من الصحابة لم يبايع كابن عمر وغيره، فكيف تقول فى على «بمبايعة الخلق له» ولا تقول مثل ذلك فيمن قبله؟ ثم

(١) فى المختصر «ويواحد الرجلين» والتصحيح من الأصل ١ : ١٤٣.

إن عليا اضطرب عليه الذين بايعوه، ونابذه طائفة منهم، وامتنع أهل الشام وغيرها من بيعته حتى ينصف من قتله عثمان، حتى قالت طائفة بصحة إمامة على ومعاوية معا، وقالت طائفة لم يكن للناس إذ ذاك إمام عام بل كان زمان فتنة، وهو قول طائفة من أهل الحديث البصريين، وقالت طائفة ثالثة بل على هو الإمام وهو مصيب فى قتال من قاتله كطلحة والزبير، [وهم] مصيبون بناء على أن كل مجتهد مصيب كقول أبى الهذيل والجبائى وابنه[1] وابن الباقلانى[2] وأحد قولى الأشعرى[3] وهؤلاء يجعلون معاوية مجتهدا مصيبا أيضا[4]. وطائفة رابعة تجعل عليا إماما وأنه المصيب وأن من قاتله مجتهد مخطئ، وهذا قول خلق من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية. وطائفة خامسة تقول: على الخليفة، وهو أقرب إلى الحق من معاوية، وكان ترك القتال منهما أولى لقول النبى ﷺ: **«ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم»** ولقوله ﷺ فى الحسن: **«إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»** فأثنى عليه بالإصلاح[5] فلو كان القتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركه. قالوا: وقتال أهل البغى لم يأمر الله به ابتداء ولم يأمر بقتال كل باغ، قال تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا﴾** (الحجرات ٩) فأمر أولا بالإصلاح، فإن بغت إحداهما قوتلت حتى ترجع إلى أمر الله، ولهذا لم يصح للطائفتين بالقتال مصلحة، وما أمر الله به لابد أن تكون مصلحته راجحة علي المفسدة، ولهذا قال ابن سيرين: قال حذيفة «ما أحد تدركه الفتنة إلا وأنا أخافها عليه، إلا محمد بن مسلمة فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تضره الفتنة»**[6] وقال شعبة عن أشعث بن سليم

(١) انظر لأبى الهذيل العلاف هامش ص ٣٨ وللجبائى وابنه أبى هاشم هامش ص ٤٨.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ ورث عن شيخه أبى الحسن الأشعرى سقام المقاومة للاعتزال، وكان حاضر البديهة واسع المعرفة بصيرا بطرق الجدل. له مؤلفات كثيرة طبع منها إعجاز القرآن والتمهيد وغيرهما.

(٣) انظر للأشعرى والأشعرية التعليق في ص ٤١ و ص ٤٣.

(٤) زاد فى الأصل (١ : ١٤٤) : وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم.

(٥) انظر لحديث صلح الحسن كتاب العواصم من القواصم ص ١٩٩ وما بعدها.

(٦) محمد بن مسلمة آية من آيات الله فى الأمة المثالية التى رباها خاتم رسل الله ﷺ. انظر مقالة لنا عنه فى صحيفة (الفتح) شوال ١٣٦٦، وكتاب مع الرعيل الأول ص ٢٨.

عن أبى بردة عن ثعلبة ابن ضبيعة قال: دخلت على حذيفة فقال: إنى لأعرف رجلا لا تضره الفتنة شيئا. فخرجنا فإذا فسطاط مضروب فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك فقال: ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلى عما انجلت **فابن مسلمة اعتزل القتال جملة فما ضرته الفتنة كما أخبر النبى ﷺ، ولذلك اعتزل الفريقين سعد بن أبى وقاص وأسامة بن زيد وابن عمر وأبو بكرة وعمران بن حصين وأكثر من بقى من السابقين، وهذا يدل على أنه ليس هناك قتال واجب ولا مستحب، وهذا قول جمهور أهل السنة والحديث ومالك وسفيان الثورى وأحمد وغيرهم.** ووراء هذه المقالات مقالة الخوارج التى تكفر عثمان وعليا وذويهما، ومقالة الروافض التى تكفر جمهور السابقين الأولين أو تفسقهم، ويكفرون كل من قاتل عليا. ومقالة النواصب والأموية التى تفسق عليا وذويه ويقولون: هو ظالم معتد. وطائفة من المعتزلة تفسق إحدى الطائفتين من أهل وقعة الجمل لا بعينها. **فكيف تكون مبايعة الخلق له أعظم من مبايعتهم لمن قبله ؟**

ثم أنت تزعم أن إمامته منعقدة بالنص، والآن تقول: انعقدت بمبايعة الخلق له!

وقولك «ثم اختلفوا: فقال بعضهم إن الإمام بعده الحسن، وبعضهم قال معاوية» فيقال: أهل السنة لم يتنازعوا فى هذا بل يعلمون أن الحسن بايعه أهل العراق مكان أبيه، ثم إن الحسن سلمها طوعا إلى معاوية[1].

وقولك «ثم ساقوا الإمامة فى بنى أمية» فيقال: ما قال أهل السنة إن الواحد من هؤلاء كان هو الذى تجب توليته وطاعته فى كل ما أمر به، بل كذا وقع.

(١) قلنا فى التعليق على كتاب العواصم من القواصم (ص ١٩٧ - ١٩٨) : «من عناصر إيمان الرافضة - بل العنصر الأول فى إيمانهم - اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه وتسعة من ذرية أخيه. ومن مقتضى عصمتهم - وفي طليعتهم الحسن بعد أبيه - أنهم لا يخطئون ، وأن كل ما صدر عنهم فهوحق ، والحق لا يتناقض. وأهم ما صدر عنالحسن ابن على بيعته لأمير المؤمنين معاوية ، وكان ينبغى لهم أن يدخلوا فى هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق ، لأنها من عمل المعصوم عندهم. لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون بها ومخالفون فيها لإمامهم المعصوم. ولا يخلو هذا من أحد وجهين: فإما أنهم كاذبون في دعوى العصمة لأئمتهم الإثنى عشر ، فينهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لزم هى أساسه ، ولا أساس له غيرها. وإما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هى من عمل المعصوم،=

فيقولون: تولى هـؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة فانتظم لهم الأمر وأقامـوا مقاصد الإمامـة: من الجهاد، وإقامـة الحج، والجمع، والأعيـاد، وأمن السبل. ولكن لا طاعة لهم فى معصية الله، بل يعاونون على البر والتقوى، ولا يعاونون علي الإثم والعدوان. ومن المعلوم أن النـاس لا يصلحون إلا بولاة، وأن الإمام الظلوم خـير من عـدمه. ويروى عن على رضى الله عنـه أنه قال «لابد للناس من إمـارة: برة كانت أو فاجرة» قـيل: البرة قد عرفناها فما بال الفاجـرة ؟ قال «تأمن بها السبل، وتقام بها الحدود، ويجـاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء» ذكـره على بن معبد[1] فى (كتاب الطاعة والمعصيـة). فكل من تولي كان أنفع من معدومكم المنتظر الذى انطوت معه السنون والأعمـار، وأنتم فى الأمانى الكاذبة والانتظار وآباؤه – سوى على – فما كان لهم سلطان ولا تمكين ولا منعة، بل كـانوا عاجزين عن الإمامة، لا لهم حل ولا عـقد رضى الله عنهم، ولا حـصل بهم مـقصـود الإمامـة. وفي الصحـيحين عن ابن عبـاس عن النبى ﷺ قال: **«من رأى من أميـره شيـئا يكرهه فليصـبر عليـه، فانه من خرج عن السلطان شـبرا فـمات إلا مات مـيتة جـاهلية»**. ولمسلم عن أبى هـريرة عن النبى ﷺ: **«من خرج من الطاعـة وفارق الجمـاعة ثم مات مات ميتة جاهلية. ومن قتل تحت راية عميـة يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية فليس منى»**. وفى الصحيح عن ابن عمر عن النبى ﷺ: **«من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيـامة ولا حـجـة له. ومن مـات وليس فى عنقـه بيعـة مـات مـيتـة جاهلـية»**. وقـال ﷺ **«لا طاعة لأحد فى معصـية الله، إنما الطاعة فى المعروف»**. وفى الصحـيحين عن ابن عمر مـرفوعا **«على المسلم السـمع والطاعة فيـما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**.

=لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعـصوم فيما جنح إليه ، وأراد أن يلقى الله به ، ويتواصون بهذا الخروج علي الدين جيلا بعـد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم على مخـالفة الإمام المعصوم عن إصرار وعناد ومكابرة وكفر. ولا ندرى أى الوجهين يطوح بهم فى مهاوى الهلكة أكثر مما يطرح بهم الوجه الآخر. ولا ثالث لهما».

(١) من شيعة بغـداد ، نقل المامقانى فى تنقيح المقال (٢ : ٣٠٩) أنه من رجل الهـادى على بن محمد والد الحسن العسكرى ، فهو من عصر المأمون والمعتصم.

الفصل الثانى
فى المذهب الواجب الاتباع

قال: الفصل الثانى، إن مذهب الإمامية واجب الاتباع، لأنه أحق المذاهب وأصدقها، ولأنهم باينوا جميع الفرق فى أصول العقائد، ولأنهم جازمون بالنجاة، أخذوا دينهم عن المعصومين. وغيرهم اختلفوا وتعددت آراؤهم وأهواؤهم: فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق وتابعه أكثر الناس طلبا للدنيا.

وبعضهم اشتبه عليه الأمر [ورأى] طالب الدنيا فقلده، وقصر فى النظر فخفى عليه الحق فاستحق المؤاخذة من الله تعالى. وبعضهم قلد لقصور فطنته، ورأى الجم الغفير فبايعهم وتوهم أن الكثرة تستلزم الصواب وغفل عن قوله تعالى: **﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾** (ص ٢٤) وبعضهم طلب الأمر لنفسه بحق وبايعه الأقلون الذين أعرضوا عن زينة الدنيا وأخلصوا واتبعوا ما أمروا به من طاعة من يستحق التقديم فوجب النظر فى الحق واعتماد الإنصاف وأن يقر الحق بمستقره فقد قال تعالى: **﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** (هود ١٨).

فجعل المصنف الناس بعد نبيهم ﷺ أربعة أصناف، فكذب، فإنه لم يكن فى الصحابة المعروفين أحد من هذه الأصناف. أما طالب الأمر بغير حق كأبى بكر فى زعمه، وأما طالب الأمر بحق كعلى فى زعمه، فهذا كذب عليهما، فلا على طلب الأمر لنفسه ولا أبو بكر. وجعل القسمين الآخرين إما مقلداً للدنيا وإما مقلداً لقصوره فى النظر. فالإنسان يجب عليه أن يعرف الحق ويتبعه، فإن اليهود عرفوا الحق وما تبعوه فهم مغضوب عليهم وأما النصارى فجهلوا الحق وضلوا. **وهذه الأمة خير الأمم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾** (آل عمران ١١٠) **فخيرها القرن الأول ثم الذى يليه بقوله عليه السلام «خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم» وهؤلاء الرافضة يقولون فيهم ما قد علمتم، ويجعلونهم أقل الناس علما وأتبعهم للهوى، فلزم من قولهم أن الأمة ضلت بعد نبيها ﷺ**، فإذا كان فى هذا حكايتك

لما جرى عقيب نبيك ﷺ فكيف سائر ما تنقله وتحتج به !

وقولك «تعـددت آراؤهم بعدد أهوائهم» فحـاشاهم من ذلك أتدرى من تعنى ياجويهل ؟ عنيت الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة ١٠٠)، وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفـتح ٢٩)، والـثناء على المهاجرين والأنصار فى غير آية وعلى الذين يجـيئون من بعدهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ (الحشر ١٠) ويسـألونه أن لا يجعل فى قلوبهم غلا لهم. والرافـضة لم يستغـفروا لهم، وفى قلوبهم الغل لهم[1]. وروى الحسن عن عمـارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عبـاس قال: أمر الله بالاستـغفار

(١) وفى كتبـهم العلمية التى كان ينبـغى لهم أن يترفعوا فـيها عن الحمـاقة والمهاترات يسمون أبـا بكر وعمر (الجبت) و (الطاغوت) ! مع أنه ثبت فى التاريخ الممـحص أن عليا رضى الله عنه أعلن على منبر الكوفة غير مرة وسمـعه الألوف وروى عنه من وجوه تبلغ حد التواتر أنه قال «خير هذه الأمـة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر». نقل المامقانى (فى ١ : ٢٠٧ المقدمة) من كتابه تنقيح المقال فى الحديث العاشر من الأحاديث الشيعية التى أوردها استدلالا على تضليل غير الإماميين وتأثيمهم بل على كفرهم قال : (العاشر) ما نقله محمد بن إدريس الحلى فى آخـر (السرائر) عن كتاب (مسائل الرجال ومكـاتباتهم إلى مولانا أبى الحسن على بن محمد بن على بن موسـى) فى جملة مسائل محمد بن على بن عيسى قـال : كتبت إليه أسأله عن (الناصب) هل أحتـاج فى امتحانه إلى أكـثر من تقديمه (الجـبت) و (الطاغوت) واعتقـاد إمامتهـما ؟ فرجع الجـواب : من كان على هذا فـهو (ناصب). ومن تلك الأحاديث مـا رواه سليمـان ابن خالد فى (الحديث الثـانى) عن أبى عبد الله (يـعنى جعفـرا الصادق) قال «أهل الشـام شر من أهل الروم ، وأهل المدينة شر من أهل مكة ،وأهل مكة يكفـرون بالله جهرة». ولا شك أن أبا عبـد الله برىء من وصم أمة محمـد صلى الله عليه وسلم بجملتها بأنـها كافرة وسليمان بن خـالد يكذب عليه لأنهم هكذا أرادوا أن تكون نحلتهم. وفى (الحـديث الحادى عشـر) عن أبى حمزة الثـمالى قال «قـال لنا على بن الحسين : أى البقاع أفضل ؟ قلت : الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وابن رسوله صلى الله عليه وسلم أعلم. قال: إن أفضل البقاع ما بين الـركن والمقام ، ولو أن رجلا عمر عمر نوح فى قومه ألـف سنة إلا خمسين عاما يصـوم النهار وقـوم الليل فى ذلك المكان ثم لقى الله بغـير ولايتنا لم ينتـفع بذلك شـيئا». ومـن شروط ولايتهم عند الشـيعة تسمـية أبى بكر وعمر (الجـبت) و (الطاغوت) ، وتكفير من لا يـكفر بإمامتـهما. **وحكمة الله فى ذلك هى – كما فـهمته أم المؤمنين عائشة عن ربها – أن أبا بكر وعمـر والصحابة لما ماتوا وانقطعت حـسناتهم قيض الله لهم من ذرية المجـوس من يقف منهم هذا الموقف لئلا ينقطـع عنهم الأجر ومما يذكر لهذه المناسـبة دعاء الشيعة الذى يسمـونه (دعاء صنمى قريش)** ، ولعل فرصـة أخرى فى هذا الكتاب تتسع للحديث عن هذا الدعاء الفاجر.

لأصحاب محمد ﷺ وهو يعلم أنهم يقتتلون. وقال عروة عن عائشة: أمروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ، فسبوهم. وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**. وفى مسلم عن أبى هريرة نحوه مرفوعا. وفى مسلم عن جابر قال: قيل لعائشة رضى الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا ؟ انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر.

وروى الثورى عن نسير بن ذعلوق[1] سمعت ابن عمر يقول: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعنى مع رسول الله ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة وقال تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** (الفتح ١٨). أخبر سبحانه برضاه عنهم وبأنه علم ما فى قلوبهم وكانوا ألفا وأربعمائة، فهم أعيان من بايع أبا بكر، وقال عليه السلام [فيما ثبت عنه فى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله[2]]: **«لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار[3]»** وقال

(١) فى المختصر «بشر بن دغلوق» والتصحيح من الأصل (١ : ١٥٤) وكتب التراجم.

(٢) الزيادة من الأصل (١ : ١٥٥).

(٣) وهذا الحديث من أعلام النبوة ، فقد مضت ثمان وستون سنة وثلاثمائة وألف والمسلمون مكتفون فى أمر الذين بايعوا تحت الشجرة بشهادة الله عز وجل لهم فى قوله : **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** (الفتح ١٨) ثم نجم فى عصرنا جاهل أحمق أعمى لم يخجل من أن يشكك فى إيمان صاحبى رسول الله ﷺ ورفيقيه فى الدنيا والآخرة فقال عنهما فى ص ٦٣ - ٦٤ من الجزء الأول من كتابه (إحياء الشريعة فى مذهب الشيعة) ما نصه بالحرف الواحد : «وإن قالوا إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم القرآن فى قوله فى هذه السورة **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** قلنا : لو أنه قال «لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة» أو «عن الذين بايعوك» لكان فى الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع ، ولكن ما قال **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** فلا دلالة فيها إلا على الرضا عمن محض الإيمان ». فقول الرسول الأعظم ﷺ فيما ثبت عنه بصحيح مسلم **«لا يدخل أحد ممن بايع تحت الشجرة النار»** هو كالحجر فى فم هذا الأعمى الذى بلغ من دينه وفهمه وأدبه أن زعم أن آية الغار لم تنزل مدحا فى أبى بكر بل ذما فيه ! وهذا الرجل من مجتهدى الشيعة ، فكيف بالذين لم يبلغوا منهم دركة الاجتهاد !

تعالى: ﴿لَقَدْ تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة ١١٧) يعنى غزوة تبوك، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة ٥٥)، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة ٧١) فأمر بموالاتهم، والرافضة تبرأ منهم. وقد قال بعض الجهلة: إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة ٥٥) نزلت فى على رضى الله عنه، وذكر فى ذلك خبراً موضوعا، وأنه تصدق بخاتمه فى الصلاة فنزلت. قيل: لا، لأن الآية صيغة جمع وعلى واحد. ومن ذلك أن الواو ليست فى ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ واو الحال، إذ لو كان كذلك لتعين بالبدء إعطاء الزكاة فى الصلاة حال الركوع. ومنها أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب، وإيتاء الزكاة فى نفس الصلاة ليس كذلك بالاتفاق، وإن فى الصلاة شغلا. ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة زمن النبى ﷺ ولا كان له خاتم، أو كان له فالخاتم زكاة ماذا ؟ لأن أكثر الفقهاء لا يجوزون إخراج الخاتم فى الزكاة. وفى حديثهم أنه أعطاه سائلا، والمدح فى الزكاة أن يخرجها ابتداء وعلى الفور.

ومنها أن الكلام فى سياق النهى عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين، والرافضة يعادون المؤمنين ويوالون المنافقين مشركى التتار كما شاهدنا، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (الأنفال ٦٢ - ٦٣) والرافضة تريد أن تفرق بين قلوب خيار الأمة بالأكاذيب. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا﴾ (الزمر ٣٣ - ٣٥) فهذا الصنف هم أشرف الأمة، وقد وعدهم بأنه يكفر عنهم أسوأ أعمالهم، وعلى فعندهم معصوم فقولوا لم يدخل فى الآية ؟ وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ﴾ (النور ٥٥) الآية، فوعدهم الاستخلاف وأخبر برضاه عنهم وبأنهم متقون وبأنه أنزل السكينة عليهم، وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فإنه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف وتمكين الدين والأمن بعد الخوف، إلى أن قهروا فارس والروم، وافتتحوا الشام والعراق

ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك. فلما قُتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئا، بل طمع فيهم الروم وغيرهم، وحدثت البدع من الخوارج والروافض والنواصب وأريقت الدماء، فأين ما بعد قتله مما قبله ؟ فإن قيل فالمنافقون كانوا مسلمين فى الظاهر، قلنا: ما كانوا متصفين بخير، ولا كانوا مع الرسول ﷺ، ولا كانوا مع المؤمنين، قال الله فيهم: **﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ⑩ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾** (العنكبوت ١٠ - ١١) وقال: **﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾** (التوبة ٥٦) وقال: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** (النساء ١٤٥) أخبر تعالى أن المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بل مذبذبين، وكذا ترى الرافضة. وقال: **﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ⑥٠ مَلْعُونِينَ﴾** (الأحزاب ٦٠) فلما لم يغره الله بهم ولم يقتلهم تقتيلا دل على أنهم انتهوا، وما كان معه يوم الشجرة منهم إلا الجد بن قيس، فإنه اختبأ خلف بعيره.

فبالجملة كان المنافقون مغمورين مقهورين مع الصحابة، ولاسيما فى آخر أيام النبى ﷺ وبعد تبوك لأن الله تعالى قال فيهم: **﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾** (المنافقون ٨) [ثم] قال الله **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**. **فتبين أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت لأصحاب** محمد ﷺ، وأن المنافقين كانوا أذلة بينهم. قال تعالى: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾** (التوبة ٦٢) **﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾** (التوبة ٩٦)وقال: **﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾** (التوبة ٥٦). هذه صفات الذليل المقهور، **وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فما زالوا أعز الناس بعد نبيهم ﷺ وقبل موته، فلا يجوز أن يكون الأعزاء من خاصة أصحاب محمد ﷺ منافقين ولا أذلاء.**

بل هذه صفة الرافضة فشعارهم الذل، ودثارهم النفاق والتقية، ورأس مالهم الكذب والأيمان الفاجرة، إن لم يقعوا فى الغلو والزندقة يقولون بألسنتهم ما ليس

فى قلوبهم، ويكذبون على جعفر الصادق أنه قال «التقية دينى ودين آبائى» وقد نزه الله أهل البيت عن ذلك ولم يحوجهم اليه، فكانوا من أصدق الناس وأعظمهم إيماننا، فدينهم التقوى لا التقية. فأما قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران ٢٨) فهذا أمر بالاتقاء من الكفار، لا أمر بالكذب والتقية، والله قد أباح لمن أكره على الكفر التكلم به، فأهل البيت ما أكرههم أحد على شيء، حتى إن أبا بكر لم يكره أحدا منهم على بيعته، بل بايعوه لما أرادوا طوعاً منهم، ولا كان على ولا غيره يذكرون فضل الصحابة والثناء عليهم خوفا من أحد ولا أكرههم أحد باتفاق الناس. وقد كان فى زمن بنى أمية وبنى العباس خلق كثير دون على فى الإيمان والتقوى يكرهون من الخلفاء أشياء فلا يمدحونهم ولا يثنون عليهم ولا يحبونهم، ولا كان أولئك يكرهونهم. ثم إن الخلفاء الراشدين كانوا أبعد - عن قهر الناس وعقوبتهم على طاعتهم - من سائر الخلفاء، ثم هؤلاء أسرى المسلمين ملء أيدى النصارى وسائرهم يظهرون دينهم، فكيف يظن بعلى وبنيه أنهم كانوا أضعف دينا من الأسرى ومن رعية ملوك الجور، وقد علمنا بالتواتر أن عليا وبنيه ما أكرههم أحد على ذكر فضل الخلفاء الثلاثة، وقد كانوا يقولون ذلك ويترحمون عليهم ويتكلمون بذلك مع خاصتهم.

فقولك «فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق وبايعه أكثر الناس للدنيا» يشير إلى أبى بكر، **ومن المعلوم أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه**، بل قال: قد رضيتُ لكم إما عمر وإما عبد الرحمن وإما أبا عبيدة، قال عمر: فوالله لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أتامر على قوم فيهم أبو بكر» وإنما اختاره عمر وأبو عبيدة وسائر المسلمين وبايعوه، لعلمهم بأنه خيرهم، وقد قال النبى ﷺ: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**».

ثم هب أنه طلبها وبايعوه، فزعمك أنه طلبها وبايعوه للدنيا كذب ظاهر، فإنه ما أعطاهم دنيا، وقد كان أنفق فى حياة الرسول ﷺ وقل ما بيده، والذين بايعوه

فأزهد الناس فى الدنيا، قد علم القاصى والدانى زهد عمر وأبى عبيدة وأسيد بن حضير وأمثالهم. ثم لم يكن عند موت النبى ﷺ بيت مال يبذله لهم. ثم كانت سيرته ومذهبه التسوية فى قسم الفىء. وكذلك سيرة على فلو بايعوا عليا أعطاهم كعطاء أبى بكر مع كون قبيلته أشرف من بنى تيم، وله عشيرة وبنو عم هم أشرف الصحابة من حيث النسب كالعباس وأبى سفيان والزبير وعثمان - ابنى عمته - وأمثالهم. وقد كلم أبو سفيان علياً فى ذلك، فلم يجبه على لعلمه ودينه. فأى رياسة وأى فائدة دنيوية حصلت لجمهور الأمة بمبايعة أبى بكر، [لا] سيما وهو يسوى بين كبار السابقين وبين آحاد المسلمين فى العطاء ويقول: إنما أسلموا لله وأجورهم على الله، وإنما هذا المتاع بلاغ.

فأهل السنة مع الرافضة كالمسلمين مع النصارى : فإن المسلمين يؤمنون بنبوة عيسى ولا يغلون فيه ولا ينالون منه نيل اليهود، والنصارى تغلو فيه حتى تجعله إلهاً وتفضله على نبينا، ﷺ بل تفضل الحواريين على المرسلين. فكذا الروافض تفضل من قاتل مع على - كالأشتر ومحمد بن أبى بكر - على أبى بكر وعمر والسابقين. فالمسلم إذا ناظر النصرانى لا يمكنه أن يقول فى عيسى إلا الحق، بخلاف النصرانى . فدع اليهودى يناظره فإنه لا يقدر أن يجيب اليهودى عن شبهته إلا بما يجيب به المسلم وينقطع: فإنه إذا أمر بالإيمان بمحمد ﷺ ثم قدح فى نبوته بأمر لم يمكنه أن يقول شيئا إلا قال له اليهودى فى المسيح ما هو أعظم من ذلك فإن البينات لمحمد ﷺ أعظم من البينات لعيسى، وبعده عن الشبهة أعظم من بعد عيسى عن الشبهة. ومن هذا أمر السنى مع الرافضى فى أبى بكر وعلى ، فإن الرافضى لا يمكنه أن يثبت إيمان على وعدالته ودخوله الجنة إن لم يثبت ذلك لأبى بكر وعمر، وإلا فمتى أثبت ذلك لعلى وحده خذلته الأدلة، كما أن النصرانى إذا أراد إثبات نبوة المسيح دون محمد عليهما السلام لم تساعده الأدلة. فإذا قالت له الخوارج الذين يكفرون عليا، والنواصب الذين يفسقونه: إنه كان ظالماً طالبا للدنيا والخلافة[1] وقاتل بالسيف عليها وقتل فى ذلك ألوفا مؤلفة من المسلمين حتى عجز

(١) اعتمدنا فى هذه الجملة ما فى الأصل (١ : ١٦٢) لأنه وقع فى اختصارها خلل وفى نسخها تحريف.

عن انفراده بالخلافة وتفرق عليه أصحابه وكفروا به وقاتلوه يوم النهروان فهذا الكلام إن كان فاسداً ففساد كلام الرافضى فى أبى بكر أعظم فساداً فإن كان كلامكم فى أبى بكر وعمر متوجها فهذا مثله وأولى. ولما ذهب أبو بكر بن الباقلانى [فى السفارة[1]] بالقسطنطينية عرفوا قدره وخافوا أن يمتنع من السجود للملك، فأدخلوه من باب صغير ليدخل محنيا، ففطن لها فدخل مستدبرا بعجزه. ولما أراد بعضهم القدح فى المسلمين فقال: ما قيل فى امرأة نبيكم ﷺ ؟ يريد شأن الإفك، فقال: نعم، ثنتان رميتا بالزنا إفكاً وكذبا، مريم وعائشة، فأما مريم فجاءت بولد وهى عذراء، وأما عائشة فلم تأت بولد مع أنه كان لها زوج. فبهت النصرانى، وظهر أن براءة عائشة أظهرُ من براءة مريم.

فإذا قلت يا رافضى إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة مع كونه بويع باختيارهم بلا سيف ولا عصا، واستوسق له الأمر فلم يول أحدا من أقاربه ولا خلف لورثته مالا، وأنفق مالا كثيراً فى سبيل الله، وأوصى إلى بيت مالهم ما كان لهم عنده - وهو جرد قطيفة وأمة وبكر ونحو ذلك - حتى قيل: يرحمك الله أبا بكر، لقد أتعبت الأمراء بعدك. وما قتل مسلمًا على إمارته، بل قاتل بالمسلمين المرتدين والكفار، فلما احتضر استخلف على الأمة القوى الأمين العبقرى عمر[2]، لا لقرابة ولا لنسابة ولا لدنيا، بل اجتهد للمسلمين فحمدت فراسته وشكر نظره، بالذى افتتح الأمصار ونصب الديوان وملأ بيت المال وعم الناس بالعدل، مع ملازمته لهدى صاحبه وخشونة عيشه وعدم توليته أقاربه، ثم ختم الله له

(١) فى الأصل (١ : ١٦٢) : لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية وفى المختصر « فى الرسلية» .

(٢) وصف الفاروق الأعظم عمر بالقوى الأمين أطلقه عليه أخوه على بن أبى طالب لما كان قائما فى الشمس يباشر إبل الصدقة وعثمان وعلى ومن ورائه يساعدانه ، فقال على لعثمان متمثلا بالآية ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ وأشار إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنهم أجمعين. أما وصفه بالعبقرى فمأخوذ من الرؤيا النبوية التى تقدمت فى ص ٥٦ وفيها يقول ﷺ «ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه» وإن التاريخ إذ يسجل هاتين الشهادتين لرمز العدالة فى الإسلام - بل فى البشر - يقول لشانئيه : موتوا بغيظكم ، إنكم لا تشنأون أبا بكر وعمر ، بل تشنأون الإسلام الذى يمثله أبو بكر وعمر ، بل تشنأون الإنسانية التى تدعون الانتساب اليها.

بالشهادة. فإن ساغ للرافضى أن يقول: كل ذا طلبٌ للرياسة والدنيا، ساغ القاضى نظير قوله فى على[1]: إنه كان طلبًا للرياسة والدنيا، فقاتل على الإمرة، ولم يقاتل الكفّار، إلا من جنس الرافضة؟ بل الرافضة شرٌ منهم، قال أبو بكر أفضل من سعد، وعثمان أبعدَ عن استحقاق القتل من الحسين، وكلاهما مظلوم شهيد، رضى الله تعالى عنهما. ولهذا كان الفساد الذى حصل فى الأمة بقتل عثمان أعظم من الفساد الذى حصل فى الأمة بقتل الحسين. وعثمان من السابقين الأولين، وهو خليفة مظلوم طلب منه أن يعزل بغير حق فلم ينعزل، ولم يقاتل عن نفسه حتى قتل[2]. والحسين رضى الله عنه لم يكن متوليا، وإنما كان طالباً للولاية، حتى رأى أنها متعذرة، وطلب منه أن يستأسر ليحمل إلى يزيد مأسورا فلم يجب إلى ذلك وقاتل حتى قتل مظلوماً شهيدًا[3]. فظلم عثمان كان أعظم، وصبره وحلمه كان أكمل، وكلاهما مظلوم شهيد. ولو مثل ممثل طلب على والحسين الأمر بطلب الإسماعيلية - كالحاكم وأمثاله - وقال: إن عليا والحسين كانا ظالمين طالبين للرياسة بغير حق بمنزلة الحاكم وأمثاله من ملوك بنى عبيد أما كان يكون كاذبا مفتريا فى ذلك، لصحة إيمان على والحسين ودينهما، ولنفاق هؤلاء وإلحادهم[4]. وكذلك من شبه عليا والحسين ببعض من قام من الطالبيين أو غيرهم بالحجاز أو الشرق أو الغرب يطلب الولاية بغير حق ويظلم الناس فى أموالهم وأنفسهم، أما

(١) كما أن النصرانى الأحمق الذى عرض بعائشة لأبى بكر الباقلانى فى القسطنطينية كانت حماقته شؤما على أهل ملته، فإن حماقة هؤلاء الشيعة شؤم على المسلم الكامل رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين. بل هم بموقفهم من صفوة البشر أصحاب رسول الله ﷺ يحاولون أن يستفزوا عارفى أقدارهم على الخوض فى المقارنة والمفاضلة، وإن عليا وبنيه أكرم على أهل السنة من أن يستدرجهم المجوس إلى النزول فى هذا الميدان. ونحن كما نقول فى رسل الله ما أمرنا الله فيهم **﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾** نقول فى أصحاب رسول الله ﷺ ما وصفهم به جل ثناؤه فى قوله: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**.

(٢) انظر لقضية عثمان كتاب (العواصم من القواصم) بتعليقاتنا من ص ٥٢ إلى ص ١٤٧.

(٣) انظر لقضية الحسين مقالة لنا عنوانها «من هم قتلة الحسين السبط» فى جزء المحرم ١٢٦٧ من صحيفة (الفتح) العدد ٨٥١.

(٤) انظر لبنى عبيد وأصل مذهبهم وتاريخ نشأتهم مقالة لنا فى مجلة الأزهر (م ٢٥ ج ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣ ص ٦١٢ - ٦٣١) عنوانها «من هم العبيديون، ولماذا أحرقوا مدينة الفسطاط ؟ ».

كان يكون ظـالماً كاذبا ؟ فالمشـبه لأبى بكر وعـمر بعـمر بن سعـد أولى بالكذب والـظلـم[1]] ثم إن عمر بن سعـد - على بعده من الخير اعترف بكـبير ذنبه وباء بمعصيته، وهو خير من المختار الكذاب الذى ادعى أن جبريل يأتيه بالوحى، وأظهر الانتصار للحسين وتتبـع قاتليه، فهذا الشيعى شر من عمـر بن سعد ومن الحجاج الناصبى، لأن الشـيعى كذب على الله ورسولـه صلى الله عله وسلم، [وقد ثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال: «**سيكون فى ثقيف كذاب ومبير**» فكان الكذاب هو المختار بن أبى عبيد، وكان المبـير هو الحجاج بن يوسف الثقفى. ومن المعلوم أن عمـر بن سعد - أمـير السرية التى قـتلت الحسين - مع ظلمـه وتقديمه الدنيا علـى الدين لم يصل فى المعصية إلـى فعل المختاربن أبى عبيد أظهر الانتصار للحسين وقـتل قاتله، بل كـان هذا أكذب وأعظم ذنبـا من عمربن سـعد، فـهذا الشيـعى شر من ذلك الناصبى، بل والحـجاج بن يوسف خير من المخـتار بن أبى عبيد، فإن الحـجاج كان مبيرا - كما سماه النـبى ﷺ - يسفك الدماء بغير حق، والمختار كـان كذابا يدعى الوحى وإتيان جبريل إليـه، وهذا الذنب أعظم من قتل النفوس، فإن هذا كفر، وإن كان لم يتب منه كان مرتداً، والفتنة أعظم من القتل.

وهذا باب مطرد: لا تجد أحداً ممن تذمه الشيعة بحق أو باطل إلا وفيهم من هو شر منه، ولا تجد أحداً ممن تمدحـه الشيعة إلا وفيمن تمدحـه الخوارج من هو خير منه. فإن الروافض شـر من النواصب، والذين تكفرهم أو تفسـقهم الروافض هم أفضل من الذين تكفرهم أو تفـسقهم النواصب. **وأما أهل السنة فـيتولون جـميع المؤمنين، ويتـكلمـون بعلم وعـدل، ليـسـوا من أهـل الجـهل ولا من أهل الأهواء. ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعا، ويتولون السابقين الأولين كلهم، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التى شرعها الله لهم، ولا يرضـون بما فعلـه المختـار ونحوه من الكـذابين، ولا ما فـعل الحجـاج ونحوه من الظالمين، ويعلمـون مع هذا مراتب السابقين الأولين: فـيعلمون أن لأبى بكر وعمر من التقدم والفـضائل ما لم يشاركهما فيه أحد من الصـحابة، لا عثمان**

(١) عن الأصل (١ : ١٦٤ - ١٦٥).

ولا على ولا غيرهما. وهذا كان متفقا عليه فى الصدر الأول إلا أن يكون خلافًا شاذًا لا يعبأ به، حتى إن الشيعة الأُوَل أصحاب على لم يكونوا يرتابون فى تقديم أبى بكر وعمر عليه، كيف وقد ثبت عنه من وجوه متواترة أنه كان يقول «خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر وعمر». ولكن كانت طائفة من شيعة على تقدمه على عثمان، وهذه مسألة أخفى من تلك. **ولهذا كان أئمة أهل السنة متفقين على تقديم أبى بكر وعمر كما هو مذهب أبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد بن حنبل والثورى والأوزاعى والليث بن سعد وسائر أئمة المسلمين من أهل الفقه والحديث والزهد والتفسير من المتقدمين والمتأخرين**. وأما عثمان وعلى فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما، وهى إحدى الروايتين عن مالك. وكان طائفة من الكوفيين يقدمون عليا[1]، وهى إحدى الروايتين عن سفيان الثورى، ثم قيل إنه رجع عن ذلك لما اجتمع به أيوب السختيانى وقال «من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار». **وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار**. وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر أو تقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك فى أمور مخصوصة، لا تقديما عاماً، وكذلك ما ينقل عن بعضهم فى على.

وأما قوله[2] «وبعضهم اشتبه الأمر عليه، ورأى لطالب الدنيا مبايعا، فقلده وبايعه وقصر فى نظره فخفى عليه الحق فاستحق المؤاخذة من الله تعالى بإعطاء الحق لغير مستحقه» قال «وبعضهم قلد لقصور فطنته» ورأى الجم الغفير فتابعهم وتوهم أن الكثرة تستلزم الصواب وغفل عن قوله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**﴾ (ص ٢٤)، : ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سبأ ١٣)».

فيقال لهذا المفترى الذى جعل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثلاثة أصناف - أكثرهم طلبوا الدنيا، وصنف قصروا فى النظر، وصنف عجزوا عنه - لأن الشر إما أن يكون لفساد القصد، وإما أن يكون للجهل، والجهل إما أن يكون لتفريط

(١) أى على عثمان ، مع قولهم بقول على «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر».
(٢) أى قول الرافضى المردود عليه.

فى النظر، وإما أن يكون لعجز عنه. وذكر أنه كان فى الصحابة وغيرهم من قصر فى النظر حين بايع أبا بكر ولو نظر لعرف الحق، وهذا يؤاخذ على تفريطه بترك النظر الواجب. وفيهم من عجز عن النظر فقلد الجم الغفير - يشير بذلك إلى سبب مبايعة أبى بكر. فيقال له: هذا من الكذب الذى لا يعجز عنه أحد. والرافضة قوم بهت. فلو طلب من هذا المفترى دليل على ذلك لم يكن له على ذلك دليل. والله تعالى قد حرم القول بغير علم، فكيف إذا كان المعروف ضد ماقاله ! فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد والجهل بالمستحق، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ (الإسراء ٣٦) وقال تعالى: ﴿**هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ**﴾ (آل عمران ٦٦) فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلا وعلما ودينا ؟[1]] وقد قال ابن مسعود «إن الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه. ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيىء، وقد رأى أصحاب محمد ﷺ أن يستخلفوا أبا بكر». وعن ابن مسعود قال «من كان [منكم] مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم: وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» رواه ابن بطة بإسناد عن قتادة. وروى هو وغيره عن زر بن حبيش.

فهذا بضد ما ادعاه هذا الجاهل عليهم من طلب الدنيا والجهل والعجز والتفريط، بل لهم كما العلم وحسن القصد، وهم خير القرون، ولكن ياما فعل الجهل والرفض بأهله فنحمد الله على العافية، فإن **الرفض مأوى شر الطوائف**

(١) عن الأصل ١ : ١٦٥ - ١٦٦.

كالنصيرية والإسماعيلية والملاحدة الطرقية وأهل الجبل والبوادى والقرامطة الذين ما بينهم وبين العلم معاملة. قال ابن القاسم[1] سئل مالك عن أبى بكر وعمر[2]، فقال «ما رأيت أحداً ممن اهتدى به[3] يشك فى تقديمهما».

ثم قلت[4] «وبعضهم - تعنى علياً - طلب الأمر لنفسه بحق، وبايعه الأقلون» فهذا باطل بلا ريب، اتفقت السنة والشيعة على أن علياً لم يدع إلى مبايعته إلا بعد مقتل عثمان، ولا بايعه أحد إلا ذلك الوقت، أكثر ما يقال كان فيهم من يختار مبايعته.

قال[5] «وإنما كان مذهبنا واجب الاتباع لأنه أحق المذاهب وأصدقها وأخلصها عن شوائب الباطل وأعظمها تنزيها لله ولرسوله ﷺ وأوصيائه، اعتقدنا أن الله هو المخصوص بالقدم وأنه ليس بجسم، ولا فى مكان وإلا لكان محدثاً» إلى أن قال «وأنه غير مرئى بالحواس ولا فى جهة، وأن أمره ونهيه حادث لاستحالة أمر المعدوم ونهيه، وأن الأئمة معصومون - كالأنبياء - من الصغائر والكبائر، أخذوا الأحكام عن جدهم رسول الله ﷺ ولم يلتفتوا إلى الرأى والقياس والاستحسان».

فيقال: ما ذكرته لا تعلق له بالإمامة، بل نقول: فى مذهب الإمامية من ينكر هذا، فإن هذا طريقه العقل، وتعين الإمام طريقه السمع. ثم ما فى هذا من حق فأهل السنة يقولون به، وما فيه من باطل فمردود، **وغالبه قواعد الجهمية والمعتزلة، ومضمونه أن الله ليس له علم ولا قدرة ولا حياة، وأنه لا يتكلم ولا يرضى ولا يسخط ولا يحب ولا يبغض.**

---

(١) هو الإمام عبد الرحمن بن القاسم (١٣٢ - ١٩١) أحد أعلام الفسطاط، وتلميذ إمام دار الهجرة مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩) وناشر علمه فى الدنيا، وعنه تلقى المدونة أسد بن الفرات (١٤٣ - ٢١٣) ورحل بها إلى القيروان سنة ١٨١. انظر لذلك مقالتنا «مع الرعيل الأول» فى مجلة الأزهر (م ٣٥ ج ٩ ص ٩٩٦ - ٩٩٧ رمضان سنة ١٣٧٣).

(٢) من قوله «قال ابن القاسم» إلى هنا مخروم من نسخة منهاج السنة طبع بولاق ١٦٨ السطر ١٠ فليكمله من هذا المختصر من كان عنده نسخة الأصل.

(٣) فى الأصل ١ : ١٦٨ «أقتدى به».

(٤) الخطاب للرافضى المردود عليه.

(٥) أى صاحب الكتاب المردود عليه.

وأما أهل السنة فيثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى ١١) رداً على المشبهة (وهو السميع البصير) ردا على المعطلة، والله منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه.

والمقصود [أن(١)] إثبات الصفات والأسماء لله لا يستلزم أن يكون الخالق مماثلا لخلقه ولا مشبهاً لهم، فهو تعالى موصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته، وهى قديمة أزلية واجبة يقدم الموصوف ووجوبه. وهذا حق لا محذور فيه [فإثبات الأسماء دون الصفات سفسطة فى العقليات، وقرمطة فى السمعيات(٢)]. قال الجمهور: هذا خطأ وبدعة، أعنى هذا التقسيم فالذى عليه أهل الحق من السنة أنه تعالى لا يوصف بالجسمية أصلا، بل ولا فى فطرة العرب العرباء جاهليتها وإسلاميتها أن الله جسم أبدا (تعالى الله عن ذلك).

وقولك(٣) «ليس بجسم» فالجسم فيه إجمال: قد يراد به المركب الذى كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة وصورة. والله منزه عن ذلك كله. وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات، فالله يشار اليه فى الدعاء وبالقلوب والعيون، وير فى الآخرة عيانا، وتقوم به الصفات. فإن أردت «ليس بجسم» هذا المعنى، قيل لك: هذا المعنى الذى قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلا على نفيه . وأما اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، فما فى النصوص

---

(١) الزيادة من الأصل ١ : ١٧٧.

(٢) السفسطة مذهب فلسفى ظهر فى البيئة اليونانية ويسمى أهله «السوفسطائية» وهم يمارون فى حقائق الأمور ويسرفون فى المغالطة وسيأتى كلام لشيخ الإسلام فى هذا الكتاب عن السفسطة فى ص ٦٦ من الصورة الشمسية للمختصر. **والقرمطة مذهب باطنى ظهر فى البيئة الاسماعيلية المشتقة من نزعة التشيع ، ويسمى أهلها «القرامطة» وهم فى أصلهم الاسماعيلى والشيعى يمارون فى مدلولات النصوص ، ويزعمون أن لها معانى غير التى يفهمها الذين وردت النصوص بلغتهم.** والفقرة منقولة من الأصل ١ : ١٨٠.

(٣) أى قول ابن المطهر عن الله.

ولا فى قول السلف إطلاق لفظ «الجسم» على الله ولا نفيه[1]، وكذلك لفظ «الجوهر» و «المتحيز».

وكذلك قولك «لا فى مكان» قد يراد بالمكان ما يحوى الشيء ويحيط به ويحتاج إليه، وقد يراد به ما فوق العالم وإن يكن أمرا موجودا، فالأول الله [منزه[2]] عنه، والثانى فنعم، الله فوق خلقه. وإذا لم يكن إلا خالق أو مخلوق فالخالق بائن من المخلوق. فهو الظاهر ليس فوقه شيء، وهو فوق سماواته فوق عرشه بائن من خلقه، كما دل عليه الكتاب والسنة واتفقت عليه الأئمة.

ويقولون: لو قام به علم وحياة وقدرة وكلام لكان جسما، والجواب: إنه عندك حى عليم قدير، ومع هذا فليس بجسم، مع أنك لا تعقل حيا عالما قادرا إلا جسما. فإن كان قولك حقا أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وأن يكون مباينا للعالم عاليا عليه وليس بجسم فإن قلت لا أعقل مبايناً عاليا إلا جسما، قيل لك: ولا يعقل حى عليم قدير إلا جسم. وأيضا فإنه ليس إذا كان هذا الحادث ليس بدائم وهذا ليس بدائم باق يجب أن يكون نوع الحوادث ليس دائمة باقية[3]. وأيضاً فإن ذلك يستلزم حدوث الحوادث بلا سبب، وذلك ممتنع فى صريح العقل.

---

(١) **كل ما يتعلق بأمر الغيب يجب على المسلم أن لا يتحدث عنه - نفياً أو إثباتاً - إلا بالألفاظ الشرعية المنصوص عليها، وأن يلتزم فى ذلك ما كان يلتزمه سلف الأمة.** وفى المناظرة التى وقعت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء عصره فى مجلس نائب السلطنة الأفرم بدمشق سنة ٧٠٥ أخذ مناظروه يذكرون نفى التشبيه والتجسيم، فأشار شيخ الإسلام إلى رسالته (العقيدة الواسطية) وقال: قولى فيها «من غير تكييف ولا تمثيل» ينفى كل باطل، وإنما اخترت هذين الاسمين (أى التكييف والتمثيل، دون التشبيه والتجسيم) لأن «التكييف» مأثور نفيه عن السلف، كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول «الاستواء معلوم، و (الكيف) مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» فشيخ الإسلام يجتنب فى العقيدة الواسطية وفى سائر كتبه استعمال لفظ (التجسيم) فضلا عن (الجسم) فيقول فى تنزيه الله عز وجل «من غير تكييف ولا تمثيل» **التزاماً منه للاصطلاحات الشرعية الاولى واتباعاً للسلف فى طريقتهم، وكل ما لم يرد به النص من الألفاظ المتعلقة بأمور الغيب لا يستبيح استعمالها إثباتا ولا نفيا.**

(٢) سقطت من المختصر ونقلت عن الأصل ١ : ١٨٣.

(٣) زاد فى الأصل (١ : ١٨٦) : « كما قال تعالى (الرعد ٣٥) : ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ والمراد دوام نوعه لا دوام كل فرد فرد. وقال تعالى (التوبة ٢١) : ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ والمقيم هو نوعه».

ولكن على الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ ويصدقوه ويطيعوه، فهذا أصل السعادة كلها، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (ابراهيم ١) **فالله سبحانه بعث الرسل بما يقتضى الكمال من إثبات أسمائه وصفاته المقدسة على وجه التفصيل، والنفى على طريق الإجمال للنقص والتمثيل. فالرب تعالى موصوف بنعوت الكمال التى لا غاية فوقها، منزه عن النقص بكل وجه، ممتنع أن يكون له مثل فى شىء من صفات الكمال.**

وقد أخبر النبى ﷺ أن فى الجنة مالم يخطر على قلب بشر، فإذا كان هذا فى المخلوق فما الظن بالخالق ؟ وقال ابن عباس: ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء. فإذا كان هذان المخلوقان[١] متفقين فى الاسم مع أن بينهما - فى الحقيقة - تبايناً لا يعرف قدره فى الدنيا فمن المعلوم أن ما يتصف به الرب من صفات الكمال أعظم مباينة لما يتصف به العبد[٢].

إلى أن قال شيخنا: فما ثبت عن الرسول ﷺ وجب الإيمان به، وما لم يثبت عنه فلا يجب الحكم فيه بنفى ولا إثبات حتى يعلم مراد المتكلم وتعلم صحة نفيه وإثباته. فالكلام فى الألفاظ المجملة بالنفى والإثبات دون الاستفصال يوقع فى الجهل والضلال والقيل والقال. وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة الاشتراك فى الأسماء.

ومثبتو الجسم ونفاته موجودون فى الشيعة وفى السنة. وأول ما ظهر إطلاق لفظ الجسم من متكلم الرافضة هشام بن الحكم[٣] كذلك نقل ابن حزم وغيره. قال الأشعرى فى (مقالات الإسلاميين): اختلف الروافض فى التجسيم، وهم ست فرق: فالأولى الهشامية[٤] أصحاب هشام بن الحكم، يزعمون أن معبودهم جسم،

(١) أى الدنيا والآخرة. وكان فى المختصر «فاذا كان هذا المخلوقات» والتصحيح من الأصل ١ : ١٨٧.

(٢) وإن اتفقت عناوين الصفات.

(٣) الذى تقدم التعريف به فى هامش ص ٢٤.

(٤) فى المختصر «الهاشمية» والتصحيح من الأصل ١ : ٢٠٣ ومن مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ١٥ و ٢٧٥.

وله نهاية وحد[1] طوله كعرضه وعمقه، وأنه نور ساطع كالسبيكة، يتلألأ كاللؤلؤة المدورة، ذو لون وطعم وريح ومجسة. الفرقة الثانية زعموا أنه ليس بصورة ولا كالأجسام، وإنما يذهبون فى قولهم «إنه جسم» إلى أنه موجود، وينفون عنه الأجزاء والأبعاض، ويزعمون أنه على العرش بلا مماسة ولا كيف. الفرقة الثالثة من الرافضة يزعمون أنه على صورة الإنسان، ويمنعون أن يكون جسما. الفرقة الرابعة أصحاب هشام بن سالم الجواليقى[2] يزعمون أنه على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحما ودما ويقولون: هو نور يتلألأ، وأنه ذو حواس خمس، وله يد ورجل وأنف وفم وعين، وسائر حواسه متغايرة. وحكى أبو عيسى الوراق[3] أن هشام بن سالم كان يزعم أن لربه وفرة سوداء، وأن ذلك نور أسود. الفرقة الخامسة يزعمون أن له ضياء خالصا، ونورا كالمصباح من حيث ما جئته يلقاك بأمر واحد، وليس بذى صورة ولا اختلاف فى الأجزاء. الفرقة السادسة من الرافضة يزعمون أنه ليس بجسم ولا صورة ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس، وقالوا فى التوحيد بقول المعتزلة. قال الأشعرى وهؤلاء قوم من متأخريهم [فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون بما حكيناه عنهم من التشبيه[4]] **ولقد طول شيخنا هنا إلى الغاية وأطنب وأسهب واحتج بمسألة القدر والرؤية والكلام إلى أن قال:**

وأما قوله «إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الخطأ والسهو والصغائر من أول العمر إلى آخره» فيقال: الإمامية متنازعون فى هذا. قال الأشعرى فى (المقالات) اختلف الروافض فى الرسول ﷺ هل يجوز أن يعصى ؟

(١) وانظر مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٦٣ و ٦٩.

(٢) الذى تقدم التعريف به فى هامش ص ٢٤.

(٣) أسمه محمد بن هارون ، أحد متكلمى الشيعة ، ويرميه المعتزلة بما يرمون به ابن الراوندى. لم أقف على تحديد زمنه ، ولعله أدرك زمن الرشيد. وما حكاه عنه أبو الحسن الأشعرى فى إلحاد هشام بن سالم الجواليقى وكفره حجة لا يستطيع الروافض أن يماروا فيها لأن الشاهد والمشهود عليه منهم. ولعل أبا عيسى الوراق الرافضى يرمى بإشاعته الفاحشة عن هشام بن سالم أن يدعو الناس إلى القول بها، وحينئذ يكون المعتزلة على صواب فى رمى أبى عيسى الوراق بما يرمون به ابن الراوندى. وانظر لأبى عيسى الوراق كتاب (طريق الهجرتين) لابن القيم ص ١٩٨ الطبعة الأولى ، وص ١٥٧ من طبعة السلفية.

(٤) الزيادة من الأصل ١ : ٢٠٣.

ففرقة قالت: يجوز ذلك، وأن النبى ﷺ عصى فى أخذ الفداء يوم بدر[1]. قالوا: والأئمة لا يجوز عليهم ذلك[2]، فإن الرسول ﷺ إذا عصى جاءه الوحى ورجع، والأئمة لا يوحى إليهم فلا يجوز عليهم سهو ولا غلط، قال بهذا هشام بن الحكم، فنقول: اتفق المسلمون على أنهم[3] معصومون فيما يبلغونه، فلا يقرون على سهو فيه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة. أما وجوب كونه قبل النبوة لا يذنب ولا يخطئ فليس فى النبوة ما يستلزم هذا، فمن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله وتاب بعد ذنوبه فهو مخالف لما علم بالاضطرار من الدين. فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم الذين ولدوا فى الإسلام، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل ؟ وأين المنتقل بنفسه من الكفر إلى الإيمان ومن السيئات إلى الحسنات بنظره واستدلاله وصبره وتوبته ومفارقته عاداته ومعاداته لرفاقه، إلى من وجد أبويه وأقاربه وأهل بلده على دين الإسلام ونشأ فى العافية ؟ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إنما ينقض عرى الإسلام من لم يعرف الجاهلية». وقد وعد الله من تاب من الموبقات وآمن وعمل صالحا بأن يبدل سيئاتهم حسنات. وجمهور الأئمة ممن يقول بجواز الصغائر على الأنبياء عليهم السلام يقولون: هم معصومون من الإقرار عليها، فما يزدادون بالتوبة إلا كمالا. فالنصوص والآثار وإجماع السلف مع الجمهور. والمنكرون لذلك يقولون فى تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل

---

(١) هذه الجملة بنصها فى ١ : ١١٥ من (مقالات الإسلاميين) لأبى الحسن الأشعرى بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٢) أى أن عصمة الأئمة أكمل من عصمة النبى ﷺ. أما اعتذارهم بأن النبى يوحى إليه فيرجع عن المعصية فهو اعتذار للتمويه ، **وقد حفظ الناس عن صناديد الرفض أقوالا كثيرة فى دعوى الوحى للأئمة ، وفى بخاريهم الذى يسمونه الكافى للكلينى دعوى علم الأئمة بالغيب ، وما من شيعى اليوم إلا ويعتقد فى قبور الأئمة أنها مهابط الوحى مع أن الذى فيها رمم أموات وبعضها لم يدفن فيه أحد من الأئمة. فإذا كانت هذه القبور مهابط الوحى وليس فيها إلا رمم قد تكون لغير الأئمة - كما يقال عن القبر المنسوب للإمام على أنه للمغيرة بن شعبة رضى الله عن الجميع -** فكيف تنتظر من عبادها أن يميزوا بين النبى والأئمة فى أمر الوحى ؟ إن الاعتذار للتمويه كما قلنا. ثم إنهم يزعمون أن العصمة للأنبياء من أول العمر إلى آخره. أى من قبل بعثتهم ، فأين هو الوحى حينئذ ؟

(٣) أى الأنبياء.

البهتان، كقولهم فى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾ (الفتح ٢) أى ذنب آدم ! ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنب أمتك ! فأما آدم فنبى كريم، فوقعوا فيما فروا منه، فنفوا الذنب عن نبينا ﷺ وألصقوه بآدم. ثم إن آدم تاب الله عليه قبل أن يهبط إلى الأرض، وقبل أن يولد نوح وإبراهيم، والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام ١٦٤، الإسراء ١٥، فاطر ١٨، الزمر ٧، النجم ٣٨) فكيف يضاف ذنب هذا إلى ذنب هذا ؟ ثم إن هذه الآية[1] لما نزلت قال أصحابه: يا رسول الله، هذا لك، فما لنا ؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح ٤) ثم كيف يقول من له مسكة عقل: إن الله غفر ذنوب أمته جميعها[2]. وقد علم أن منهم من يدخل النار بذنوبه. فأين المغفرة ؟

وأما قولك «إن هذا ينفى الوثوق بهم[3] ويوجب التنفير» فليس بصحيح، بل إذا اعترف الكبير بما هو عليه من الحاجة إلى توبته. ومغفرة الله ورحمته. دل ذلك على صدقه وتواضعه وبعده من الكبر والكذب. بخلاف من يقول: مالى حاجة إلى شيء من هذا فما صدر منى ما يحوجنى إلى مغفرة ولا توبة. فإن مثل هذا إذا عرف من رجل نسبه الناس إلى الكبر والجهل والكذب. وثبت أن النبى ﷺ قال «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**». وثبت عنه ﷺ أنه قال ﷺ: «**اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى** [وما أنت أعلم به منى[4]] **اللهم اغفر لى هزلى وجدى. وخطأى وعمدى. وكل ذلك عندى**» متفق عليه. وقال عليه السلام «كل بنى آدم خطاء. وخير الخطائين التوابون».

وما ذكرته من عدم الوثوق والتنفير يحصل مع الإصرار والإكثار . لا مع ندور الذنوب المتبوعة بكثرة الاستغفار والتوبة . أما من ادعى البراءة والسلامة .

---

(١) آية ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ﴾.

(٢) هذا تبكيت للذين فسروا آية ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بأن الله غفر لمحمد ﷺ ذنب آدم وذنوب أمة محمد ﷺ.

(٣) أى بالأنبياء .

(٤) الزيادة من الأصل ١ : ٣٢٨.

فما أحوجه إلى الرجوع إلى الله والتوبة والإنابة. وما علمنا أن بنى إسرائيل ولا غيرهم قدحوا فى نبى من الأنبياء بتوبته فى أمر من الأمور.

إلى أن قال[1]: فأما ما تقوله الرافضة من أن النبى قبل النبوه وبعدها لا يقع منه خطأ ولا ذنب صغير. وكذلك الإثنى عشر، فهذا مما انفردوا به عن الأمة كلها، وقد كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة. وقال بعض المشايخ: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه. ولهذا تجد التائب الصادق أثبت على الطاعة وأشد حذراً من الذنوب من كثير ممن لم يبتل بذنب، فمن جعل التائب - الذى اجتباه الله وهداه - منقوصا فهو جاهل.

وقولك «والأئمة معصومون كالأنبياء» فهذه خاصة الرافضة الإمامية التى ما شركهم فيها أحد، إلا من هو شر منهم كالإسماعيلية القائلين بعصمة بنى عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر[2]، قالوا بأن الإمامة بعد جعفر فى محمد بن إسماعيل دون موسى بن جعفر، وهم ملاحدة وزنادقة.

وأما قولك «لا يجوز على الأنبياء سهو» فما علمت أحداً قاله.

وأما أخذ المعصومين عن جدهم، فيقال أولا: القوم إنما تعلموا حديث جدهم من العلماء، وهذا متواتر، فعلى بن الحسين يروى عن أبان بن عثمان عن أسامة ابن زيد، ومحمد بن على يروى عن جابر وغيره. وثانيا فما فيهم من أدرك النبى ﷺ إلا على وولداه. وهذا على يقول «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أكذب عليه. وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة» ولهذا كان يقول القول ويرجع عنه. وكتب الشيعة مملوءة بالروايات المختلفة عن الأئمة.

وقولك أنكم تتناقلون ذلك خلفاً عن سلف إلى أن تتصل الرواية بأحد

---

(١) أى شيخ الإسلام.

(٢) انظر لحقيقة هذه النسبة مقالتنا (من هم العبيديون ؟) فى مجلة الأزهر م ٢٥ ج ٥ جمادى الأولى ١٣٧٣ ص ٦١٣ - ٦١٦.

المعصومين، فإن كان مـا تقول حقا فالنقل عن المعصوم الواحـد كاف، فأى حاجة فى كل زمان إلى مـعصوم ؟ وإذا كـان النقل كافيـا موجوداً فـأى فائدة فى المنتظر الذى لا ينقل عنه كلمـة ؟ وإن لم يكن النقل كافـيا فـأنتم فى نقصـان وجهل من أربعمائة وستين سنة. ثم الكذب من الرافـضة على هؤلاء يتجاوزون [به] الحد. لاسيمـا على جعفر الصـادق، حتى كذبوا عليه كـتاب الجفر، والبطاقـة، وكتاب اختلاج الأعضاء، وأحكام الرعود والبـروق، ومنافع القرآن، وصارت هذه معايش للطرقيـة، فكيف يثق القلب بنقل [من كثـر منهم الكذب[1]] إن لم يعلـم صـدق الناقل واتصال السند [وقد تعدى شرهـم إلى غيرهم من أهل الكوفة وأهل العراق حتى كـان أهل المدينة يتوقـون أحاديثهم. وكـان مالك يقـول «نزلوا أحاديث أهل العـراق منزلة أحـاديث أهل الكتـاب: لا تصدقـوهم، ولا تكذبوهم». وقـال له عبدالرحمن بن مهدى[2] «يا أبا عبد الله، سمعنا فى بلدكم[3] أربعمائة حديث فى أربعين يومـاً، ونحن[4] فى يوم واحد نسمع هذا كله» فقـال له «يا عبد الرحمن، من أين لنا دار الـضـرب التى عندكم ؟ دار الضـرب تضـربون بالـليل وتنفـقـون بالنهار». ومع هذا أنه كان فى الكوفة وغـيرها من الثقات الأكابر[5] كثـير. ومن كثرة الكذب - الذى كان أكثره فى الشيعة - صار الأمر يشتبه على من لا يميز بين هذا وهذا، بمنزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون فإنه يحتـرس منهم حتى يعرف الصـدوق الثقة: وبمنزلة الدراهم التى كـثر فيـها الغش يحـترس عن المعـاملة بهـا من لا يكون نقـادا. ولهذا كـره -لمن لا يكون له نقـد وتمييز- النظر فى الكتب التى يكثر فـيها الكذب فى الرواية. والضلال فى الآراء،

(١) عن الأصل ١ : ٢٣١.

(٢) هو أبو سعـيد اللؤلؤى البـصرى (١٣٥ - ١٩٨) الحـافظ الإمام العلم ، من تلامـيذ شعـبة بن الحـجاج وسفيان الثـورى ومالك ، وأخذ عنه ابن المبارك وأحمد ، وكـان من أعلم الناس بالحديث ، وكان يحج كل سنة ، ويختم القرآن فى كل ليلتين.

(٣) أى فى المدينة.

(٤) أى فى العراق.

(٥) ومنهم عبد الرحمن بن مهدى.

ككتب البدع. وكره تلقى العلم من القصاص وأمثالهم الذين يكثر الكذب فى كلامهم وإن كانوا يقولون صدقا كثيرا. فالرافضة أكذب من كل طائفة باتفاق أهل المعرفة بأحوال الرجال[1]].

وقولك «فلم يلتفتوا إلى القول بالرأى والاجتهاد وحرموا القياس» فالشيعة فى ذا كالسنة: فيهم أهل رأى وأهل قياس، وفى السنة من لا يرى ذلك. والمعتزلة البغداديون لا يقولون بالقياس، وخلق من المحدثين يذمون القياس. وأيضا فالقول بالرأى والقياس خير من الأخذ بما ينقله من عرف بالكذب نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم. ولا ريب أن الاجتهاد فى تحقيق الأئمة الكبار لمناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها خير من التمسك بنقل الرافضة عن العسكريين[2] فإن مالكاً والليث والأوزاعى والثورى وأبا حنيفة والشافعى وأحمد وأمثالهم رضى الله عنهم أعلم من العسكريين بدين الله [والواجب على مثل العسكريين أن يتعلموا من الواحد من هؤلاء. ومن المعلوم أن على بن الحسين وأبا جعفر وجعفر بن محمد كانوا هم العلماء الفضلاء، وأن من بعدهم لم يعرف عنه من العلم ما عرف عن هؤلاء، ومع هذا فكانوا يتعلمون من علماء زمانهم ويرجعون إليهم[3]].

قال[4] «أما باقى المسلمين فقد ذهبوا كل مذهب، فقال [بعضهم - وهم جماعة من[5]] الأشاعرة - إن القدماء[6] [كثيرون[5]] مع الله، وهى المعانى التى يثبتونها موجودة فى الخارج، كالقدرة والعلم وغير ذلك، فجعلوه مفتقراً فى كونه «عالما» إلى ثبوت معنى هو العلم وفى كونه «قادراً» إلى ثبوت معنى هو القدرة، وغير ذلك. ولم يجعلوه قادراً لذاته. ولا عالما لذاته ولا حياً لذاته، بل لمعان قديمة

---

(١) عن الأصل ١ : ٢٣١. وانظر لكذب الرافضة أقوال الأئمة التى تقدمت فى ص ٢١ - ٢٢.

(٢) **الحسن العسكرى وابنه الموهوم**، ويروون عن الموهوم فتاوى الرقاع انظر مجلة (الفتح) ٨٤٤ جمادى الآخرة ١٣٦٦، ومختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٤٨.

(٣) من الأصل ١ : ٢٣٣.

(٤) أى الرافضى المردود عليه.

(٥) عن الأصل ١ : ٢٣٣.

(٦) أى الموصوفين بالقدم.

يفتقر فى هذه الصفات اليها. واعترض شيخهم فخر الدين الرازى عليهم بأن قال: النصارى كفروا بأن قالوا القدماء ثلاثة، والأشاعرة أثبتوا قدماء تسعة».

فيقال[1]: الكلام على هذا من وجوه. (أحدها) أن هذا كذب على الأشعرية ليس فيهم من يقول إن الله كامل بغيره، ولا قال الرازى ما ذكرته، بل ذكره الرازى عمن اعترض به واستهجن الرازى ذكره. وهو اعتراض قديم من اعتراضات نفاة الصفات الجهمية **ذكره الإمام أحمد فى الرد على الجهمية** ثم قال «لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره. بل نقول: لم يزل الله بقدرته ونوره، لا متى قدر ولا كيف قدر. فقالوا: لا تكونون موحدين حتى تقولوا كان الله ولا شىء. **فقلنا**: نحن نقول **قد كان الله ولا شىء**. ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها **أليس إنما تصف إلهـا واحدا** بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم فى ذلك مثلا فقلنا: **أخبرونا عن هذا النخلة: أليس** لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار **واسمها اسم واحد، وسميت** «نخلة» بجميع صفاتها، **فكذلك الله** - وله المثل **الأعلى - بجميع صفاته إله واحد**، ولا نقول إنه كان فى وقت من الأوقات ولا **يقدر حتى خلق قدرة، ولا كان** ولا يعلم حتى خلق لنفسه علما، والذى لا يقدر ولا يعلم عاجز جاهل، ولكن نقول لم يزل الله قادراً مالكاً، لا متى ولا كيف.

وأصل ضلال هؤلاء أن لفظ التشبيه فيه إجمال، فما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يتفق فيه الشيئان فى الذهن ولا يجب تماثلهما فيه، بل الغالب تفاضل الأشياء فى ذلك القدر المشترك، فإذا قيل فى المخلوقات حى وحى، وعليم وعليم، لم يلزم تماثلهما فى الحياة والعلم، ولا أن يكون نفس حياة هذا وعلمه حياة الآخر وعلمه، ولا يكونا مشتركين فى موجود فى الخارج عن الذهن. وكان جهمٌ لا يسمى الله باسم يتسمى به الخلق إلا بالقادر والخالق، لأنه كان جبرياً يرى أن العبد لا قدرة له. وربما قالوا «ليس بشىء كالأشياء» فقصدوا أن حقيقة التشبيه منتفية عنه.

(١) أى فى الرد على هذه السفسطة والبهتان.

[وتحقيق هذا الموضع بالكلام فى معنى التشبيه والتمثيل[1]]: و «التمثيل» قد نطق الكتاب بنفيه فى غير موضع كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى ١١)، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم ٦٥)، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص ٤)، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ (البقرة ٢٢)، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ (النحل ٧٤). وأما «الجسم» و «الجوهر» و «التحيز» و «الجهة» فلا نطق بها كتابٌ ولا سنة نفياً ولا إثباتا، ولا الصحابة والتابعون. **فأول من تكلم بذلك نفياً وثباتاً الجهمية والمعتزلة ومجسمة الرافضة والمبتدعة**. فالنفاةُ نفوا هذه الأسماء وأدخلوا فى النفى ما أثبته الله ورسوله ﷺ من صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته ومحبته ورضاه وغضبه وعلوه وقالوا: إنه لا يرى. ولا يتكلم بالقرآن ولا غيره. والمثبتة أدخلوا فى ذلك ما نفاه الله ورسوله ﷺ حتى أثبتوا رؤيته فى الدنيا بالأبصار وأنه يصافح ويعانق وينزل عشية عرفة على جمل، وقال بعضهم إنه يندم ويبكى ويحزن، وذلك وصف للرب بصفات يختص بها الآدميون، فكل ما اختص به المخلوق فهو صفة نقص - تعالى الله عن النقص - أحد صمد، فالأحد يتضمن نفى المثل، والصمد يتضمن جميع صفات الكمال. فالجسم فى اللغة: الجسد كما ذكره الأصمعى وأبو زيد وغيرهما، وهو البدن. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون ٤) وقال: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة ٢٤٧)، وقال: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ (الأعراف ١٤٨). وقد يرد به الكثافة، تقول: هذا أجسم من هذا، ثم صار «الجسم» فى اصطلاح أهل الكلام أعم من ذلك، فسموا الهواء جسماً، وإن كانت العرب لا تسمى ذلك جسما. ثم بينهم نزاع فيما يسمى جسما: وهو مركب من جواهر منفردة متناهية كما يقوله أكثر القائلين بالجوهر الفرد، وإما متناهية كما يقوله النظام، والتزم «الطفرة» المعروفة به[2]، أو هو مركب من مادة وصورة كقول بعض المتفلسفة، أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا كما يقوله الهشامية والكلابية والنجارية والضرارية وكثير من الكرامية، وكثير من الكتب ليس فيها هذا

(١) من الأصل ١ : ٢٤٢.

(٢) وتقدمت الإشارة اليها فى ص ٤٨.

القول الثالث. والصواب [أنه ليس مـركبا من هذا ولا من هذا. وينبنى على هذا أن ما[1]] يحدثه الله من الحيوان والنبات والمعادن فهى أعيان مخلوقة على قول نفاة الجوهر الفرد، فأما على قول من يثبته فإنما يحدث أعراضا وصفات، وإلا فالجواهر باقية [ولكن] اختلف تركيبها. ويقولون: لا تستـحيل حقيقة إلى حقيقة أخرى، ولا تنقلب الأجناس، بل الجواهر يغير الله تركيبـها وهى باقية. والأكثرون يقولون باستحـالة بعض الأجسام إلى بعض وانقلاب جنس إلى جنس كـما تنقلب النطفة إلى علقة والعلقة إلى مضغة ثم إلى عظـام. وهذا قـول الفقهاء والأطباء . فالنظار كلهم متفقون - فيما أعلم - على أن الجسـم يشار إليه وإن اختلفوا فى كونه مركباً من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة، أو لا من هذا ولا من هذا.

وأما «المتحيز» ففى اللغة: ما تحيز إلى غيره، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ (الأنفال ١٦) وهذا لابد أن يحيط به حَيِّز[2] وجودى، فالبارى تعالى لا يحيط به شىء من مخلوقاته فلا يكون متحيزا فى اللغة. وأما أهل الكلام فاصطلاحهم فى المتحـيز أعم من هذا، يجعلون كل جـسم متحيـزا، والجسم عندهم ما يشـار اليه فتكون الـسماوات والأرض ومـا فيـهما مـتحيـزاً على اصطلاحهم لا فـى اللغة. ويريدون بالحيز أوا معدوما والمكان أمرا موجـودا يخالف الحيز العدمى. فمجموع الأجسام ليسـت فى شىء موجود فليست فى مكن، والفخر الرازى يجـعل الحيز تارة موجـودا وتارة معدومـا، وقد علم بالعقل والنقل أن الله بـائن من خلقه لأنه كان قـبل خلق لسماوات والأرض، فلمـا خلقهم إمـا أن يكون قد دخل فيـها أو دخلت فـيه، وكلاهما ممتـنع، فتعين أنه بائن عهـا، والنفاة يدعـون أن [ليس مـبـاينا[3]] لخلة ولا مداخلا له، وهذا ممتنع فى العـقول، لكن يدعون أن القول بامتناع ذلك هو من حكم الوهم لا من حكم النقل. ثم إنهم تناقـضوا فقالوا: لو

---

(١) فى عبارة المختصر تصرف رأينا من الصواب العدول عنه إلى عبارة شـيخ الإسلام بنصها فى الأصل ١: ٢٤٣.

(٢) فى المختصر «خبر والتصحيح من الأصل ١ : ٣٤٩.

(٣) فى المختصر «لا مينا» ولا يستقيم فى العربية.

كان فوق العرش لكان جسما، لأنه لابد أن يتميز مما يلى هذا الجانب. فقيل لهم: معلوم بضرورة العقل أن إثبات موجود فوق العالم ليس بجسم أقرب إلى العقل من إثبات قائم بنفسه ليس بمباين للعالم ولا بمداخل له.

وكذلك لفظ «الجهة» يراد به أمر موجود كالفلك الأعلى، ويراد به أمر عدمى كما وراء العالم فإذا أريد به الثانى أمكن أن يقال كل جسم فى جهة، وإذا أريد الأول امتنع أن يكون كل جسم فى جسم آخر. فمن قال البارى فى جهة وأراد بها أمرا موجودا فكل ما سواه مخلوق له [فى جهة بهذا التفسير[1]] فهذا مخطئ، **وإن أراد بالجهة أمرا عدميا - وهو ما فوق العالم - وقال إن الله فوق العالم فقد أصاب [وليس فوق العالم موجود غيره، فلا يكون سبحانه فى شىء من الموجودات].**

وإذا تبين هذا - فقول هذا المصنف وأشباهه (قول المشبهة) إن أراد بالمشبهة من أثبت من الأسماء ما يسمى به الرب والعبد فطائفته وجميع الناس مشبهة، وإن أراد به من جعل صفات الرب مثل صفات العبد فهؤلاء مبطلون ضالون، وهم فيهم[2] أكثر منهم فى غيرهم... وأنت تكلم بألفاظ لا تفهم معانيها[3] ولا موارد استعمالها، وإنما تقوم بنفسك صورة تبنى عليها، وكأنك - والله أعلم - عنيت بالحشوية المشبهة من ببغداد والعرق من الحنبلية. دون غيرهم، وهذا من جهلك، فإنه ليس للحنبلية قول انفردوا به عن غيرهم من أهل السنة والجماعة، بل كل ما يقولونه قد قاله غيرهم من طوائف أهل السنة.. **ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذى تلقوه عن نبيهم ﷺ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ومتنازعون فى إجماع من بعدهم. وأحمد بن حنبل إن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر فى**

(١) الزيادة من الأصل ١ : ٢٥٠.
(٢) أى فى الرافضة.
(٣) عن الأصل ١ : ٢٥٦.

المحنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قـولا؛ بل لأن السنة التى كانت موجودة معروفة قبله علما ودعـا إليها صبر على ما امتحن به ليفارقـها، وكان الأئمة قبل قد مـاتوا قـبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهميـة نفاة الصفات فى أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله - وهو المذهب الذى ذهب اليه متأخروا الرافضة - وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاة الأمر، فـلم يوافقهم أهل السـنة والجماعـة حتى هددوا بعـضهم بالقتل، وقيـدوا بعضهم وعاقـبوهم بالرهبة والرغبة، وثبت أحـمد بن حنبل على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة ثم طلبـوا أصحابهم لمناظرته فانقطعوا معه فى المناظرة يوما بعد يوم. ولما لم يأتوا بما يوجـب موافقته لهم، وبين خطأهم فيـما ذكروا من الأدلة، وكانوا قـد طلبوا أئمة الكلام من أهل البصـرة وغيرهم، مثل أبى عـيسى محـمد بن عيـسى برغوث صاحب حـسين النجار وأمثـاله، ولم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمـية من المعتزلة والنجارية والضرارية وأنواع المرجئة][1] فكل معتزلى جهمى وليس كل جهمى معتزليا، لكن جهم أشد تعطيلا لأنه ينفى الأسماء والصفات، والمعتزلة تنفى الصفات، وبشر المريسى كان من كبار الجهمـية وكان مرجئـا، لم يكن معتزليا، وبسـبب محنة الإمام أحمـد كثر الكلام والتدقـيق والبحث فى هذه الأشياء، ورفع الله قـدر الإمام أحمد وأتبـاعه. ولكن الرافضى أخذ ينكت على كل طائفة بما ظن أنه يخـرجها به من الأصول والفروع، وظن أن طائفته هى السليمة من القـدح، [وقد اتفق عقلاء المسلمين على أنه ليس فى طوائف أهل القبله أكثر جهلا وضـلالا وكذبا وبدعا وأقرب إلى كل شر وأبعد من كل خير من طائفـته. ولهذا لما صنف الأشعرى كتـابه فى (المقالات) ذكر أولا مقـالتهم وختم بمقالة أهل السـنة والحديث، وذكر أنه بكل ما ذكـر من أقوال أهل السنة والحديث يقول واليه يذهب[2]].

(١) من هنا أول ما أثبته الذهبى فى مختصره بعد الذى طواه ، وهو فى أواخ ص ٢٥٦ ج ١ من الأصل.

(٢) عن الأصل ١ : ٢٥٧. وقد اختصره الذهبى بقـوله «أنى ذلك وهم بيت الجهل والضلال والكذب والبعد عن الإنصاف».

فتسميتـه لأهل الآثار والإثبات «مشبهة»[1] كتسميـتهم لمن أثبت خلافة الثلاثة «ناصبيـا» بناء على اعتقادهم أنه لا ولاية لعلى إلا بالـبراءة من الثلاثة[2]، وإنمـا النصب هو بغض أهل البيت ومعاداتهم[3]. والتشبيه هو جـعل صفات الرب مثل صفات العبد، ومن أراد أن يمدح أو يذم فعليه أن يبين دخول الممدوح والمذموم فى تلك الأسماء التى علق الله ورسولـه ﷺ بها المدح والذم. أما إذا كان الاسم ليس له أصل فى الشـرع، ودخـول الداخل فـيـه مما ينازع فـيه المـدخل بطلت كل من المقدمتين.

والكتاب والسنة فيهما لفظة «ناصبة» ولا «مشـبهة» ولا «حشوية» بل ولا فيهما لفظ «رافضى ». فنحن إذا قلنا «رافـضة» نذكره للتعريف، لدخول أنواع مـذمومة بالنص فيه، فبقى علماً على هؤلاء الجهلة الذين عدموا الصدق والتوفيق.

وقولك «داود الطائى» فجهلٌ، وإنما هو الجواربى[4]، فقد قال الأشعرى: وقال داود الجواربـى ومقـاتل بن سليمـان أن الله جسم وأنه جثة وأعـضاء علـى صورة الإنسان لحم ودم وشـعر وعظم له جوارح وأعـضاء، وهو - مع هذا - لا يشبـهه

---

(١) أهل الآثار : هم المتمـسكون بالمأثور عن خاتم رسل الله من صحـيح السنة ،، لأنه ﷺ هو معلم الناس الخير ، وهو المبـعوث من ربه بالهدى ودين الحق. وأهل الإثبات هم الذين يثـبتون ما أثبـته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أمر الغيب. ومنه صفات الله عـز وجل ، فيؤمنون بذلك كما ورد، مقرونا بأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) فلا يؤولون ولا يغيرون ولا يبدلون ، لأنه ليس فى خلق الله من هو أعلم من الله ورسوله بأمر الغيب.

(٢) كما نقلنا ذلك فى ص ٦٤ عن تنقيح المقال للمقامقانى (١ : ٢٠٧ المقدمة).

(٣) وأعظم البغض لأهل البيت الـكذب عليهم ، واختراع مذهب فى الدين يخـالف رسالة جدهم ﷺ، ثم القذف الظالـم الفاجر فى خـيار أمة مـحمد وصـفوة أصـحابه الذين كانوا إخـوانا لعلى ومحل الحـرمة والإجلال من بنيـه. وهذا النوع من البغض الأثيم لأهل البـيت هو ما عليه الروافض من أقـدم الأزمان، وكلما امتد بهم الزمان ازدادوا ضلالا كما رأيت وسترى في هذا الكتاب. **ولذلك امتلأ نهـج البلاغة بذم أمير المؤمنين على لهم ، وما من أحد من بنيه الصالحين إلا وقد أثر عنه كلام فى ذم شيعتهم والبراءة منهم.**

(٤) الذى تقدم فى هامش ص ٩٣ التعريف به نقلا عن مقالات الإسـلاميين للأشعرى والأنساب للسمعانى : وقـد ورد «الجـواربى» فى المختـصـر على الـصـواب ، وتحـرف فى الأصل (١: ٢٥٩ و ٢٦٠) برسم «الجواهرى» فليصحح من كانت عنده نسخة الأصل.

شيء. وقال هشام بن سالم الجواليقى [1] أنه على صورة الإنسان. وأفكر أن يكون لحما ودما، وأنه نور يتلألأ وأنه ذو حواس خمس: سمعه غير بصره، وكذلك سائر حواسه، وله يد ورجل وعين وفم وأنف وأن له وفرة سوداء.

قلت[2]: الأشعرى ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة[3] وفيهم انحراف عن مقاتل فلعلهم زادوا عليه، وإلا أظنه يصل إلى هذا الحد، وقد قال الشافعى: من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبى حنيفة، وأما داود الطائى[4]، فكان فقيها زاهدا عابدا ما قال شيئا من هذا الباطل ولا دخل فيه.

قال[5] «وذهب الأكثر منهم[6] إلى أن الرب يفعل القبائح والكفر، وأن جميع ذلك واقع بقضاء الله وقدره، وأن العبد لا تأثير له فى ذلك، وأن الله يريد المعاصى من الكافر ولا يريد منه الطاعة». قلنا: قد تقدم أن مسائل القدر والتعديل والتجوير ليست ملزومة لمسائل الإمامة ولا لازمة لها، وأنت تعيدها وتبدئها. فإن خلقاً ممن يقر بإمامة أبى بكر وعمر قدرية، وخلقا من الرافضة بعكس ذلك، فليس أحد البابين مرتبطا بالآخر أصلا. والمنقول عن أهل البيت فى إثبات القدر والصفات لا ينحصر. ولكن متأخروا الرافضة جمعوا إلى رفضهم التجهم والقدر [كصاحب هذا الكتاب [7]].

وقولك عنهم[7] «إن العبد لا تأثير له فى الكفر والمعاصى» فنقل باطل، بل

(١) من أئمة الشيعة وأقطابهم تقدم التعريف به فى ص ٢٤.

(٢) القائل شيخ الإسلام مؤلف الكتاب.

(٣) بل إن من مصادره كتابا فى الطوائف والفرق لأبى عيسى الوراق الذى تقدم التعريف به فى ص ٨٣ وهو شيعى، والشيعة يتعبدون بافتراء الكذب على أمثال مقاتل بن سليمان.

(٤) أبو سليمان داود بن نصير (المتوفى سنة ١٦٠) أحد الفقهاء العباد الزهاد، عاصر أبا حنيفة والثورى وشريكا وابن أبى ليلى وأخذ عن كثيرين منهم، قيل فيه «لو كان فى الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خيره».

وما أجهل الرافضى المردود عليه إذ يلتبس عليه داود الطائى بداود الجواربى.

(٥) أى المردود عليه.

(٦) أى أهل السنة.

(٧) عن الأصل ١: ١٦٥.

جمهور من أثبت القدر يقول: إن العبد فاعل لفعله حقيقة. وإن له قدرة واستطاعة. ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح. وينزل الماء بالسحاب، وينبت النبات بالماء، والله خالق السبب والمسبب ومع أنه خالق السبب فلابد له من سبب آخر يشاركه، ولابد له من معارض يمانعه، فلا يتم أثره - مع خلق الله له - إلا بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع[1] ولكن ما قلته هو قول الأشعرى ومن وافقه، لا يثبتون فى المخلوقات قوى ولا طبائع، ويقولون إن الله فعل عندها لا بها، ويقولون: قدرة العبد لا تأثير لها فى الفعل. وأبلغ من ذلك قول الأشعرى: إن الله فعل العبد وإن فعل العبد ليس فعله بل كسب له[2] وإنما هو فعل الله فقط. وجمهور الناس والسنة على خلاف قوله وعلى أن العبد فاعلٌ لفعله حقيقةً.

وقولك «يريد المعاصى من الكافر» هو قول طائفة، وهم الذين يجعلون «الإرادة» نوعا واحدا، ويجعلون المحبة والرضا والغضب بمعنى الإرادة، وهو أشهر قولى الأشعرى وقول أكثر أصحابه. وأما جمهور السنة فيفرقون بين الإرادة والمحبة والرضا، ويقولون: إنه وإن كان يريد المعاصى فهو لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها، والمحققون يقولون: «الإرادة» فى القرآن نوعان. إرادة قدرية كونية، وإرادة شرعية دينية. فالشرعية هى المتضمنة للمحبة والرضا، والقدرية هى الشاملة لجميع الحوادث فماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال الله تعالى: **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾** (الأنعام ١٢٥) وقال: **﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾** (هود ٣٤) فهذه «الإرادة» تعلقت بالإضلال والإغواء. وأما الشرعية فكقوله: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾**(النساء ٢٦) وقوله: **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾**

---

(١) فى عبارة الأصل (١: ٢٦٦) تحريف، وما فى المختصر هو الصواب، ويحسن بمن عنده نسخة الأصل أن يصححها كما فى المختصر.

(٢) وهذا هو ما يسمونه «كسب الأشعرى» وقد تقدم فى ص ٤٨ قولهم «عجائب الكلام ثلاثة: طفرة النظام. وأحوال أبى هاشم، وكسب الأشعرى».

(المائدة ٦)، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الأحزاب ٣٤) فهذه غير تيك.

قال[١] «وهذا يستلزم أشياء شنيعة: منها أن يكون الله أظلم من كل ظالم، لأنه يعاقب الكافر على كفره وهو قدرة عليه ولم يخلق فيه قدرة على الإيمان. فكما أنه يلزم الظلم لو عذبه على كونه طوله وقصره يلزم أن يكون ظالما لو عذبه على المعصية التى جعلها فيه». فيقال[٢]. قد مر أن الجمهور فى تفسير «الظلم» على قولين: أحدهما أن الظلم ممتنع لذاته غير مقدور كما صرح به الأشعرى والقاضى أبو بكر وأبو المعالى والقاضى أبو يعلى وابن الزاغونى، ويقولون: إنه غير قادر على الكذب والظلم والقبيح. ولا يصح وصفه بشىء من ذلك. ودلالتهم على استحالة وقوع ذلك منه أن الظلم والقبيح ما شرع الله وجوب ذم فاعله، وذم الفاعل لما ليس له فعله، ولن يكون كذلك حتى يكون متصرفا فيما غيره أملك به وبالتصرف فيه منه، فوجب استحالة ذلك فى حقه من حيث لم يكن أمر الناس بذمه[٣]، ولا كان ممن يجوز دخول أفعاله تحت تكليف من نفسه لنفسه[٤]، ولا يكون فعله تصرفا فى شىء غيره أملك به، فثبت بذلك استحالة تصوره فى حقه. وحقيقة قول هؤلاء أن الذم إنما يكون لمن تصرف فى ملك غيره ومن عصى الأمر، والله يمتنع أن يأمره أحد، ويمتنع أن يتصرف فى ملك غيره، فإن الأشياء له. وهذا القول يروى عن إياس بن معاوية[٥] قال: «ما خاصمت بعقلى كله إلا القدرية، قلت أخبرونى ما الظلم ؟ قالوا: أن يتصرف الإنسان فيما ليس له. قلت: فلله

---

(١) أى الرافضى المردود عليه.

(٢) أى فى الرد عليه.

(٣) فى المختصر «أمرا لنا بذمه» واخترنا ما فى الأصل ١ : ٣٢٦٧.

(٤) كلمة «لنفسه» سقطت من الأصل (١ : ٢٦٨) وثبتت فى المختصر.

(٥) كذا فى المختصر، وفى الأصل ١ : ٢٦٨ «يرد على إياس من معاوية». والقاضى إياس بن معاوية المزنى (٤٤ - ١٢١) رأس أهل الفصاحة والرجاحة ويضرب به المثل فى الذكاء والفطنة. تولى قضاء البصرة لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. وفى المقامة السابعة من مقامات الحريرى «فإذا ألمعيتى ألمعية ابن عباس. وفراستى فراسة إياس».

كل شيء». ثم هؤلاء يجوزون التعذيب لا لجرم، فلا يرد عليه المعارضة بتعذيب القصير لقصره ولا الأسود للونه لأنهم يجوزون ذلك لمحض المشيئة.

القول الثانى أن الظلم مقدور لله منزهٌ عنه، كتعذيب الإنسان بذنب غيره، كما قال تعالى (طه ١١٢): **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾** وهؤلاء يقولون: الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختيارى وغير فعله الاختيارى مستقر فى فطر العقول. ويقولون: الاحتجاج بالقدر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل، فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضاً. فالاحتجاج على فعل المعاصى بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء، وإنما يحتج به من اتبع هواه كما قيل: أنت عند الطاعة قدرى، وعند المعصية جبرى، أى مذهب وافق هواك تمذهبت به ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلزم أحدٌ أحدا، ولا أن يعاقد أحد أحدا. **وقد يعرض ذلك لكثير من المدعين الحقيقة [من الفقراء والصوفية والعامة وغيرهم[1]] فيشهدون القدر[2]، ويعرضون عن الأمر والنهى. فلا عذر لأحد - فى ترك مأمور ولا فعل محظور - بكون ذلك مقدرا عليه، بل لله الحجة البالغة على خلقه. فالمحتجون بالقدر على المعاصى شر من القدرية المكذبين بالقدر**. ومن ثم اتهم بالقدر جماعة لم يكونوا قدرية لكن كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصى بالقدر، كما قيل للإمام أحمد: كان ابن أبى ذئب قدرياً ؟ فقال: الناسُ كل من شدد عليهم المعاصى قالوا هو قدرى[3]. ولهذا تجد الذين يشهدون القدر ينكرون على من أنكر المنكر ويقولون: هؤلاء قدر عليهم. فيقال لهذا: وإنكار المنكر أيضاً بقدر الله، فنقضت قولك بقولك. ومن جهلة مشايخهم من يقول: أنا كافرٌ برب يعصى، ولو قتلتُ سبعين [نبيا[4]] ما كنتُ مخطئا. ويقول آخر:

---

(١) عن الأصل ١: ٢٦٨.

(٢) أى يعتذرون به.

(٣) أى إذا تشدد فى النهى عن المعاصى اتهموه بأنه لا يؤمن بأن هذه المعاصى مقدرة على مرتكبيها.

(٤) عن الأصل ١: ٢٦٨.

أصبحت منفعلا لما يختاره منى، ففعلى كله طاعات !

ومن الناس من يظن أن احتجاج آدم على موسى بالقدر كان من هذا الباب، وهذا جهل، فإن الأنبياء من أعظم الناس أمراً بما أمر الله به ونهياً عما نهى عنه، فكيف يسوغ لأحد منهم أن يعصى الله بالقدر. وأيضاً فإن آدم كان قد تاب من الذنب وتيب عليه، ولو كان القدر حجة لكان حجة لإبليس وفرعون وغيرهما، ولكن كان ملام موسى لآدم لأجل المصيبة التى لحقتهم بسبب أكله، ولهذا قال له: لماذا أخرجتنا وبنيك من الجنة ؟ والعبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب[1] لا عند الذنوب والمعايب فيصبر على المصائب ويتوب من الذنوب. قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (غافر ٥٥) ومعلوم أن الأفعال الاختيارية تكسبُ نفس الإنسان صفات محمودة وصفات مذمومة، بخلاف لونه وقصره فإنها لا تكسبه ذلك. قال ابن عباس: إن للحسنة نوراً فى القلب، وضياء فى الوجه، وسعة فى الرزق، وقوة فى البدن، ومحبة فى قلوب الخلق فالله تعالى جعل أفعال العبد سببا لهذا وهذا، كما جعل أكل السم سببا للمرض والموت، لكن قد يدفع ذلك بالترياق، كما أن السيئات قد يدفع مقتضاها بالتوبة والأعمال الصالحة الماحية والمصائب المكفرة.

وإذا قيل: خلقُ الفعل مع حصول العقوبة عليه ظلم، كان بمنزلة قولك: خلق السم ثم حصول التلف به ظلم. وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه، وفعل العبد من جملة الحوادث، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإذا قيل: حدث الفعل بإرادة العبد. قلنا: الإرادة أيضا حادثة فلابد لها من سبب. وإن شئت قلت: الفعل ممكن. فلا ترجيح لوجوده على عدمه إلا بمرجح. وكون العبد فاعلا له [حادث[2]] ممكن. فلابد له من محدث مرجح. ولا فرق فى ذلك بين حادث وحادث. ومن المخلوقات ما قد يحصل به ضرر للبعض،

---

(١) كذا فى الأصل ١ : ٢٦٩ والذى فى المختصر «عند القدر إلى المصائب»

(٢) عن الأصل ١ : ٢٧٠.

كـالأمراض والآلام. وفى ذلك حكمـة لله. فإذا كـان العـقاب على فـعل العبـد الاختيارى لم يكن ظلـما، فالحادث بالنسبة إلى الرب له فيـه حكمة يحسن لأجل تلك الحكمة وذلك بالنسبة إلى العبد عدل لأنه عوقب لعد حاكما بالعدل. ولو قال له السارق: أنا قدر على لم يكن هذا حجـة له ولا مانعا لحكم الوالى. فإذا اقتص الله من الظالم يوم القـيامـة كان عـادلا ولا ينفع الظالم قوله: أنت قـدرت علي، وليس القدر بعذر له. وإذا كان الله هو الخالق لكل شيء فذاك لحكمة أخرى له فى الفعل، فخلقه حسن بالنسبة لما فيه من الحكمة.

ولقد أنكر الأئمة على من قـال «جبر الله العباد» كـالثورى والأوزاعى والزبيدى وأحمـد بن حنبل[1] وقالوا: الجبر لا يكون إلا من عاجـز، كما يجبر الأب ابنته على خلاف مرادها، والله تعالى خالق الإرادة والمراد، فيقال «جبل» الله العباد كما جاءت به السنة ولا يقال «جبر»، قال النبى ﷺ لأشج عبد القيس[2] : «**إن فيك لخلتين يحـبهـمـا الله: الحلم، والأناة**». فقـال: أخلقين تخلقت بهمـا، أم جبلتُ عليهـما ؟ قال: «**بل جبلتَ عليـهما**». فقال: الحـمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله».

فجهة خلق الله وتقديره وغـير جهة أمره وتشريعه، فإن أمره وتشـريعه مقصوده بيان ما يـنفع العباد إذا فعلوه، ومـا يضرهم. بمنزلة أمر الطبيب المريض بما يـنفعه وحميته مما يضره. فأخبر الله على ألسـن رسله بمصير السعداء والأشقياء، وأمر بما يوصل إلى السعادة، ونهى عما يوصل إلى الشقاوة. وأما خلقه وتقديره فيتعلق به وبجملة المخلوقات. فيفعل ما له فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وإن كان فى ضمن ذلك مضرة للبعض. كما أنه ينزل الغيث رحمة وحكمة، وإن كان فى ضمن ذلك

---

(١) الثورى والأوزاعى وأحـمد أعرف من أن نعرف بهم. أمـا الزبيدى فهـو أبو الهذيل محمـد بن الوليد بن عامـر (٧٩ - ١٤٩) الحجة المتـقن، عالم أهل الشـام ومن حفاظ الحـديث الثقـات، كانت إقامـته فى حمص، وهو معدود من أعلام المسلمين.

(٢) هو المنذر بن الحارث - أو المنـذر بن عمرو، أو المنذر بن عـائذ - بن عصر العـبدى من عبـد القيس، صحابى قدم على رسول الله ﷺ مع جماعة من قومه مسلمين فى سنة ثمان أو سنة عشر من الهجرة.

ضرر للبعض بسقوط منزله أو انقطاعه عن سفره أو تعطيل معيشته. ويرسل الرسل رحمة وحكمة، وإن كان فى ضمن ذلك أذى قوم وسقوط رياستهم. فإذا قدر على الكافر كفره قدره لما فى ذلك من الحكمة والمصلحة العامة، وعاقبه لاستحقاقه ذلك بفعله الاختيارى ولما فى عقوبته من الحكمة والمصلحة العامة. **وقياسُ أفعاله تعالى على أفعالنا خطأ ظاهر**، لأن السيد يأمر عبده بأمر لحاجته إليه ولغرضه فإذا أثابه على ذلك كان من باب المعاوضة، وليس هو الخالق لفعل المأمور. والله غنى عن العباد، إنما أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم أمر إرشاد وتعليم، فإن أعانهم على فعل المأمور فقد تمت نعمته، وإن خذل ولم يعن العبد حتى فعل الذنب كان له فى ذلك حكمة أخرى ، وإن كانت مستلزمة تألم هذا فإنما يألم بأفعاله التى من شأنها أن تورثه نعيما أو عذابا، وإن ذلك الإيراث بقضاء الله وقدره، فلا منافاة بين هذا وهذا.

بقى الكلام فى نفس تلك الحكمة الكلية، فهذه ليس على الناس معرفتها، ويكفيهم التسليم لمن قد عرفوا حكمته ورحمته وقدرته. فمن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس نصرهم علمه، فحكمته أكبر من العقول، قال تعالى: **﴿لا تَسْأَلُوا عنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** (المائدة ١٠١). **وهذه المسأله مسألة غايات أفعال الله تعالى ونهاية حكمته، و[لعلها[1]] أجل المسائل الإلهية، وما ضلَّت القَدرية إلا من جهة قياس الله بخلقه فى عدلهم وظلمهم، كما ضلت الجبرية الذين لا يجعلون لأفعال الله حكمة، ولا ينزهونه عن ظلم، ودينُ الله بين الغالى فيه والجافى عنه.**

وقولك عنهم[2] «ولم يخلق فيه قدرة على الإيمان» فهذا قاله من يقول. إن القدرة لا تكون إلا مع الفعل، فمن لم يفعل شيئا لم يكن قادرا عليه ولكن لا يكون عاجزا عنه. وليس ذا قول جمهور السنة، بل يثبتون للعبد قدرة هى مناط الأمر والنهى، غير القدرة المقارنة للفعل، وتلك القدرة تكون متقدمة على الفعل

(١) من الأصل ١: ٢٧٢ ، وكانت فى المختصر «وهى» .
(٢) أى قول الرافضى المردود عليه فيما ينسبه إلى جمهور أهل السنة افتراء عليهم.

بحيث تكون لمن [لم[1]] يطع كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران ٩٧) فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج إلا على من حج ولا عوقب أحدٌ على ترك الحج، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن ١٦) فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى. وأهلُ السنة متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمةً دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعانه على الطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (الحجرات ٧). وعند القدرية هذا التحبب والتزين عام في كل الخلق، والآية تقتضي أنه خاص بالمؤمنين. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ (الأنعام ١٢٥) الآية، وقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (الأنعام ١٢٢)، وقال: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ (الحجرات ١٧)، وقد أمرنا الله أن نقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والدعاء إنما يكون لمستقبل غير حاصل، وهذه الهداية غير الهدى الذي هو بيان الرسول ﷺ وتبليغه، قال الله: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (النور ٢١)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء ٧٣) وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (القصص ٤١) وهذا كثير جدا.

ومما ورد في الاستطاعة قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء ٢٥)، وقال: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (التوبة ٤٢) وقال: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ (المجادلة ٤) وقال عليه السلام [لعمران بن حصين[2]] **«صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»** فإنما نفى استطاعة لا فعل معها، فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة المعلومة بالعقل فإن الشارع ييسر على عباده ويريد بهم

(١) عن الأصل ١: ٢٧٣.
(٢) عن الأصل ١: ٢٧٤.

اليسر، فالمريض يستطيع القيام مع تأخر برئه فهذا فى الشرع غير مستطيع لأجل حصول الضرر عليه وإن كان قد تسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر فى الاستطاعة الشرعية إلى مجرد الإمكان بل يراعى لوازم ذلك.

قال المصنف «ومنها أنه لا يبقى فرق بين من أحسن غاية الإحسان عمره وبين من أساء غاية الإساءة عمره، ولم يحسن من شكر الأول وذم الثانى، لأن الفعلين صادران من الله تعالى».

فيقال: هذا باطل، فإن اشتراك الفعلين فى كون الرب خلقهما لا يستلزم اشتراكهما فى الحكم، فإن جميع ما سوى الله مشترك فى كون الله خلقه. قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾ (فاطر ١٩ - ٢٠) الآية والله خالق الجنة والنار وخالق العالم والجاهل وخالق العسل والسم واللذة والألم وخالق آدم وإبليس.

وإذا كان الشرع والعقل متطابقين على أن ما جعل الله منه منفعة ومصلحة يجب مدحه، وإن كان جماداً، فكيف لا يكون من جعله محسنا غاية الإحسان إلى الخلق. أحق بالمدح. وكذلك فى جانب الشر. والقدرى يقول: لا يكون العبد محموداً على إحسانه ولا مذموماً على إساءته إلا بشرط ألا يكون الله جعله محسناً إلينا، ولا من به علينا إذا فعل الخير، ولا ابتلانا به إذا فعل الشر. وحقيقة قولهم: إنه حيث يشكر العبد لا يشكر الرب وحيث يشكر الرب[1] لا يشكر العبد، وأنه لا منة لله علينا فى تعليم الرسول ﷺ وتبليغه إلينا، والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (آل عمران ١٦٤) الآية. ويقول[2]، لا تكون لله نعمة على عباده باستغفار الملائكة لهم وتعليم العلماء لهم وعدل الولاة عليهم، ويقولون: لا يقدر الله أن يجعل الملوك عادلين ولا جائرين، ولا يقدر أن يصير أحدا محسناً إلى أحد ولا مسيئاً إلى أحد، وعلى لازم قولهم

(١) فى المختصر «لا يشكر الرب» والتصحيح من الأصل ٢: ٢٣.
(٢) أى القدرى الذى ينكر أن أفعال الخلق هى أيضا خلق الله. والرافضة من هؤلاء.

لا يستحق الله أن يشكر بحال، لأن الشكر إنما يكون على النعم الدينية أو الدنيوية [أو الأروية[1]] فالدنيوية [عندهم[1]] واجبة على الله، والدينية فما فعلها بنا ولا يقدر أن يجعل أحداً مؤمنا ولا يهدى أحـداً ولا يجعل براً ولا تقياً ولا يقدره على خيـر أصلا. وأمـا النعم الأخروية فـالجزاء واجب عليـه. فالحمـد لله الذى هدانا للحق، وجنبنا هذه الضلالات، فـالمقرون بالقدر يمدحـون المحسن ويلعنون المسىء مع اتفاقهم على أن الله خالق الفعلين. فقوله «يلزمهم أن لا يفرقوا بين هذا وهذا» لزوم ما لا يلزم وغاية الأمر أن يكون الله جعل هذا مـستحقا المدح والثواب، وهذا مستحقا للذم والعقاب، فإذا كان كذلك لم يمتنع أن يمدح ذا ويذم ذا.

قال: «ومنها التـقسيم الذى ذكره مولاى الإمام مـوسى الكاظم - وقد سأله أبو حنيفـة (رحمه الله تعالي) ومـوسى صبى فقال: المعـصية ممن ؟ فقـال: - إما من العـبد أو من الله أو منهـما. فـإن كانت من الله فـالله أنصف من أن يظلم عـبده ويؤاخذه بما لا يفـعل. وإن كانت منهما فـهو شريكه والقوى أولى بإنصـاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعلـيه وقع الأمر وإليه يتوجه الذم. فقال أبو حنيفة: ذرية بعضها من بعض» . فيقال: ما ذكرت بسندها فنعلم صحتها، ولعلها كذب، فإن أبا حنيفـة مقر بالقدر، وقد رد على القدرية فى الفـقه الأكبر، فكيف يستصوب قول من يقول إن الله لم يخلق أفعال العباد ! ثم موسى بن جعفر وسائر علماء أهل البيت مثبتون القدر، وكـذلك قدماء الشيعة، وإنما قالوا بالقدر فى دولة بنى بويه[2] حين خالطوا المعتزلة. وأيضا فهذا الكلام المحكى عن موسى بن جعفر يقوله أصاغـر القدرية وصبيـانهم، وهو معروف من حين حدثت الـقدرية قبل أن يولد موسى بن جعـفر. . والقدرية حدثوا زمن ابن الزبيـر وعبد الملك[3] وقـول القائل «المعصية ممن ؟» لفظ مجمل، فإن المعصية والطاعة عمل وعرض قائم بغير،

(١) عن الأصل ٢: ٢٣.

(٢) وهم الذين دفعوا إيران وبعض بلاد المشـرق الدفعة الأولى نحو هاوية التشيع، ثم كـانت الثانية فى زمن خدا بنده الذى ألف له الحلى هذا الكتاب المردود عليه، وثالثة الأثافى كانت فى زمن الصفويين.

(٣) عن الأصل ٢: ٢٤.

فلابد له من محلل يقوم به، وهى قائمة بالعبد لا محالة، وليست قائمة بالله تبارك وتعالـى بلا ريب. ومعلوم أن كل مـخلوق يقال هو من الله بمعنى أنه خلقـه بائناً عنه، لا بمعنى أنه قام بـه واتصف به كما فى قـوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ**﴾ (الجاثية ١٣) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ (النحل ٥٣)[1]].

● عقيدة الفلاسفة:

وانتقل الى بيان عقيـدة الفلاسفة، فقا ل(فتبين أنهم فى الحقيـقة لا يثبتون الرب فعلاً أصـلا، فهم معطلة حقـا. وأرسطو وأتباعه إنما أثبتوا العـلة الأولى من جهة كونها علة غائية لحركة الفلك، فإن حركـة الفلك عندهم بالاختيار كحركة الإنسان فلابد لهـا من مراد فيكون هو مطلوبهـا... فتبين إن الفـلاسفة قدرية فى جـميع حوادث العالم وأنهم أصل الشر.

ولهذا يضيـفون الحوادث إلى الطبائع الـتى فى الأجسام كما تقـول القدرية فى الحيوان ولا يثـبتون محـدث الحوادث، وغايتهم أن جعلوا الـرب شرطاً فى وجود العالم، ومنهم من قال: الـفلك واجب الوجود، لكن أثبتوا علة، إما غـائية وإما فاعلية وعند التحقيق لا حقيقة لما أثبتوه فهم أجهل الناس بالله.

ومن دخل فـى أهل الملل مـنهم[2] - كالفـارابى، وابن سينا، وموسى بن ميـمون اليهودى، ويحـيى بن عدى النصرانى، ومتى - فهم مع إلحادهم أسـد عقلا ونظراً من أرسطو وأتباعه المشائين. ودخل بعض المتكلمة مـعهم فى الباطل وخرجوا عن الحق - كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسمـاء الله وصفاته - ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شىء وربه، وهذا توحيد أقر به المشركون، قال تعالى (الزخرف ٨٧): ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ (يوسف ١٠٦). وإنما التوحيد المطلوب توحـيد الإلهية

(١) عن الأصل ٢: ٢٥.

(٢) أى من انتسب من الفلاسفة إلى الإسلام أو اليهودية أو النصرانية.

المتضمن توحيد الربوبية، وإن توحـيد الله أن يعبد وحده فلا يخاف إلا هو، ولا يدعى إلا هو. والعبادة تجمع غـاية الحب والذل، والتوحيد يتضمن إثـبات نعوت الكمال لله والإخلاص له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة ٥).

[وأصل الشرك إمـا تعطيل - مثل تعطيل فرعون مـوسى، والذى حاج إبراهيم فى ربه - . . . وإما الإشراك، وهو كثير فى الأمم أكثر من التعطيل، وأهله خصوم جميع الأنبياء . وفى خصوم إبراهيم ومحـمد ﷺ معطلة ومشركة، لكن التعطيل المحض للذات قليل، وأما الكثيـر فهو تعطيل صفات الكمال وهو مـستلزم لتعطيل الذات، فإنهم يصفـون واجب الوجود بما يجب أن يكون ممتنع الوجود. ثم إن كل من كان إلى الرسـول ﷺ وأصحابه والتابـعين لهم بإحسان أقرب كـان أقرب إلى كمال التـوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كـان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد. فمتأخرو متكلمة الإثبات الذين خلطوا الكلام بالفلسفة - كالرازى والآمدى ونحوهما - هم دون أبى المعالى الجوينى وأمثاله فى تقـرير التوحيد وإثبات صفات الكمال[1]، وأبو المعالى وأمثاله دون القاضى أبى بكر بن الطيب وأمثاله فى ذلك، وهؤلاء دون أبى الحسن الأشـعرى فى ذلك، والأشعرى فى ذلك دون أبى مـحمد ابن كُـلاّب[2]، وابن كُلاّب دون السلف والأئمة فى ذلك. ومتكلمة أهل الإثبات الذين يقرون بالقدر هم خـير - فى التوحيد وإثبات صفـات الكمال - من القدرية

(١) الذى يراقب تطور علماء الكلام فى الإسلام يتوصل - فى الغالب - إلى حقيقتين رائعتين: **الأولى**: أنهم كانوا يعتبرون أساليب الفلسفة الكلامية ضرورة من الضرورات فى مقاومة المشككين بحقائق الإسلام ودفع ضلالات أهل الأهواء ، إلا أنهم لطول مـعاناتهم ذلك صارت هذه الأساليب مـألوفة لهم. **والحـقيـقـة الأخـرى**: أنهم إذا صاروا فى طور النضوج يتـبين لهم بنور من الله أن فائدة هذه الأساليب فى إقناع أهل الأهواء أقل من الضرر الذى ترتب على الالتـجاء إلى هذه الضرورة ، ولذلك كانوا يحتجـون إلى تركها ويرجعون إلى مذهب السلف فى أمر العقائد. وقـد تقدم فى هامش ص ١١٧ ما قاله أبو المعالى الجوينى فى كتـابه (الرسالة النظاميـة) فى رجوعه إلى مـذهب السلف ، بعد الذى كان عليـه لما ذاكره أبو جعـفر الهمدانى فى معنى العلو. وأبلغ من ذلك ما وقع قـبل للإمام أبى الحسن الأشعرى فى طوره الثالث الذى كان خـاتمه مطافه بما سـجله فى كتـاب الإبانة الذى ثبت أنه آخر كـتبه (انظـر شذرات الذهب ٢: ٣٠٢ ومقدمة كتاب الإبانة طبعة السلفية).

(٢) هذه شهادة عظيمة بمنزلة كريمة لابن كلاب ، ولو اطلعنا عليها عند كتابة ما كتبناه عنه فى هامش ص ٤١ لأشرنا اليها هناك.

من المعتزلة والشيعة وغيرهم، لأن أهل الإثبات يثبتون لله كمال القدرة، وكمال المشيئة، وكمال الخلق، وأنه منفرد بذلك، فيقولون: إنه وحده خالق كل شيء من الأعيان والأعراض، ولهذا جعلوا أخص صفات الرب تعالى القدرة على الاختراع. والتحقيق أن القدرة على الاختراع من جملة خصائصه، ليس هى وحدها أخص صفاته. وأولئك[1] يخرجون أحوال الحيوان عن أن تكون مخلوقة له، وحقيقة قولهم تعطيل هذه الحوادث عن خالق لها، وإثبات شركاء لله يفعلونها، وكثير من متأخرة القدرية يقولون إن العباد خالقون لها، ولكن سلفهم يحترزون عن ذلك[2]].

وطول الشيخ هنا[3] - بعبارات منطقية وبحوث دقيقة - إلى أن ذكر (دليل التمانع) فى قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء ٢٢) فقال: إن دليل التمانع أنه لو كان للعالم صانعان لكان أحدهما إذا أراد أمراً وأراد الآخر خلافه - مثل أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها ويريد الآخر إطلاعها من مغربها - امتنع أن يحصل مرادهما إذ ذلك جمع بين الضدين فيلزم أن لا يحصل مراد واحد منهما فلا يكون رباً. وكذا إذا أراد أحدهما تحريك شيء وأراد الآخر تسكينه. فإن قيل: يجوز أن تتفق الإرادتان، فنقول: إذا فرض ربان: فإما أن يكون كل منهما قادراً بنفسه، أو لا يكون قادراً إلا بالآخر. فإن لم يكن قادراً إلا بالآخر كان هذا ممتنعا لذاته مقتضيا للدور فى العلل والفاعلين، فإنه يستلزم أن يكون كل منهما جعل الآخر قادرا، ولا يكون أحدهما فاعلا حتى يكون قادرا. فإذا كان كل منهما جعل الآخر قادراً فقد جعله فاعلا، ويكون كل منهما جعل الآخر ربا، وهذا ممتنع من ربين واجبين بأنفسهما قديمين، لأن هذا لا يكون قادراً ربا فاعلا حتى يجعله الآخر كذلك، وكذلك الآخر، وهذا ممتنع ضرورة، فالدور

(١) أى القدرية من المعتزلة والشيعة.

(٢) هذه الجملة منقولة عن الأصل ٢: ٦٢ - ٦٣ وقد طواها الحافظ الذهبى، ورأينا لأهميتها أن لا يخلو منها هذا المختصر، مع تمييزها بالعلامتين [ ] ليبقى مختصر الذهبى متميزاً كما أراده رحمه الله وأعظم مثوبته.

(٣) أى شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه.

القبلى ممتنع لذاتـه كالدور فى الفاعلين والعلل، فـيمتنع أن يكون كل من الشـيئين علة للآخـر وفاعلا له أو جـزءاً من العلة، فإذا كـان كل منهمـا لا يكون قادرا أو فاعلا إلا بالآخر لزم أن يكون كل منهما علة فـاعلة وعلة لتمام ما به يصير الآخر قادرا فـاعلا، وذلك ممتنع ضرورة فلزم أن الـرب لابد أن يكون قادرا بنفسـه، فإن أمكنه إرادة خلاف ما يريد الآخـر أمكن اختلافهمـا، وإن لم يمكنه أن يريد إلا ما يريد الآخر لزم العجز، فمتى فرض لزوم اتفـاقهما أبدا كان ذلك ممتنعا لذاته، وقد يمكن هذا فى مخلوقين بأن يجعلهـما ثالث قادرين فيكونان متعـاونين كاليدين فإنه تحدث لهمـا قوة باجتماعهـما ويمتنع ذلك فى حالتين: فإنه إن كان أحـدهما قادراً على الاستـقلال والانفراد ولم يشـترط فى فعله مـعاونة الآخر أمكن أحـدهما أن يفعل مالا يريده الآخر أو ما يريد خلافه، وإن لم يكن قادرا على الانفراد امتنع أن يحصل لهـما عند الاجتـماع قوة، لما فى ذلك من الدور، لأن هذا لا يقـدر حتى يقدر ذاك، ولا يقدر ذاك حتى يقدر هذا. وإذا قيل: أحـدهما يقدر على ما يوافقه عليه الآخر لم يكن قادرا إلا بموافـقته. وإذا قيل: يقدر على ما يخالفـه الآخر فيه كان كل منهما مانعا الآخر من مقـدوره فلا يكون واحد منهما قادرا. وإذا كان كل منهما مانعا ممنوعا لزم منه الجمع بين النقـيضين. فيتبين امتناع ربين سواء . وامتنع وقوع مؤثرين تامين مسـتقلين يجتمعان على أثر واحـد بأن يقول كل منهما [إنه] خاط هذا الـثوب وحده. وهذا بـخلاف المشتـركين على عـمل فعل واحـد، قال تعـــالى: **﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾** (المؤمنين ٩١) فذكر سبحانه وجوب امتيـاز المفعولين ووجوب قهر أحدهما الآخر، ولو اختلط مـفعولهمـا لكانا كالحاملين خشـية كل منهما مـفتقر إلـى الآخر حال الاجتماع، فـإذا قدر أن إرادة هذا وفعله مقارن لإرادة الآخر وفعـله فالتقدير أنه لا يمكنه أن يريد وأن يفعل إلا مع الآخر، فتكون إرادته وفـعله مشروطا بإرادة الآخر وفعله، فـيكون بدون ذلك عاجـزا عن الإرادة والفعل، فيكون كـل منهما عـاجزا حال الانفراد.

قال الرافـضى: «وذهبت الأشاعـرة إلى أن الله يرى بالعين، مع أنه مـجرد عن

الجهات وقد قال تعالي: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ (الأنعام ١٠٣)، وخالفوا الضرورة من أن المدرك بالعين يكون مقابلا أو فى حكمه. وقالوا: يجوز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة مختلفة الألوان لا نراها، وأصوات هائلة لا نسمعها، وعساكر متحاربة بحيث تمسهم ويمسوننا ولا نشاهد صورهم وحركاتهم، ويجوز أن نشاهد أصغر شيء كالذرة فى المشرق ونحن فى المغرب. وهذه سفسطة».

قلنا: أما رؤيته[١] فى الآخرة بالأبصار فهو قول السلف والأئمة، وتواترت به الأحاديث. ثم جمهور القائلين بالرؤية يقولون: يرى عيانا مواجهة كما هو المعروف بالعقل قال عليه السلام: «**إنكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس، لا تضامون فى رؤيته**» وفى لفظ «**كما ترون الشمس والقمر صحوا**»، وفى لفظ: «**هل تضارون فى رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحاب؟**» قالوا لا. قال: «**فهل تضارون فى رؤية القمر صحوا ليس دونه سحاب؟**» قالوا لا. قال: «**فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**[٢]».

والذين قالوا يرى بلا مقابلة هم الذين يقولون إنه ليس فوق العالم، فلما كانوا مثبتين للرؤية نافين للعلو احتاجوا إلى الجمع بين هاتين المسألتين، وهو قول طائفة من الأشعرية، وأئمتهم[٣] يقولون بأن الله فوق العرش. والمعتزلة نفت الفوقية والرؤية. فإذا عرضنا وجود موجود لا يشار إليه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه أمر، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا ترفع الأيدى إليه، على أى الفطر والعقول، أنكرت ذلك جدا. وأما قول الأشعرية فقالوا إنه تعالى قادر على أن يخلق بحضرتنا مالا نراه ولا نسمعه [من الأجسام والأصوات[٤]]. وأن يرينا ما بعد منا من الذر، فلا يقولون هذا واقع، وتجويز وقوع الشيء غير الشك فى الوقوع.

---

(١) أى الله تبارك وتعالى.

(٢) اقتصر الحافظ الذهبى فى المختصر على لفظ واحد من ألفاظ الأحاديث، ورأينا أن نوردها كما فى الأصل ٢: ٧٥.

(٣) كالإمام الأشعرى نفسه فى (الإبانة) وإمام الحرمين فيما استقر عليه.

(٤) عن الأصل ٢: ٧٧.

قال[١]: «وذهبت الأشعرية إلى أن الله أمرنا ونهانا ف الأزل ولا مخلوق عنده قـائلا: [يا أيها الناس اتقـوا ربكم[٢]] يا أيها النبى اتق الله [يـا أيها الذين آمنوا اتقوا الله[٢]]. ولو جلس شخص وحده ولا غلام عنده فقال: يا غانم قم، يا نجاح كل. قيل: لمن تنادى فيقول: لعبيد أشتريهم بعد سنة، لنسب إلى الحمق والسفه».

قلنا: هذا قـول الـكلابيـة [وهم طائفـة من الذين يـقـولون القـرآن مـخلوق كالمعتزلة، لا من يقول هو كلام الله غير مخلوق كالكرامية والسالمية والسلف وأهل الحديث مـن أهل المذاهب الأربعة وغـيرهم، فليس فى ذكـر مثل هؤلاء حـصول مقصـود الرافضى][٣]. ثم كثير من الرافضـة يقول به، وهو الثابت عن أئمة أهل البـيت. ثم إن الكلابية والأشـعرية قـالوا هذا لموافقـتهم للمـعتـزلة فى الأصل، لاتفاقهم على صحة دليل حدوث الأجـسام فلزمهم القول بحدوث مالا يخلو عن الحوادث، ثم قالوا: وما تقوم به الحوادث لا يخلو منها فإذا قيل. الجسم لم يخل من الحـركة والسكون، قـالوا: والسكون الأزلى يمتنع زواله لأنه موجـود [أزلى، وكل موجود أزلى يمتنع زواله[٤]]. وكل جسم يجوز عليه الحركة، فإذا جاز عليه الحركة وهـو أزلى وجب أن تكون حركته أزليـة لامتناع زوال السكون الأزلى[٥]، ولو جاز عليه الحركة الأزلية لزم حوادث لا أول لها وذاك ممتنع، فلزم أنه تعالى لا تقـوم به الحوادث. وقد عـلموا قطعـا أن الكلام يقوم بالمتكلم، كـما يقـوم العلم بالعالم، والحركة بالمتحرك، وأن الكلام الـذى يخلقه الله فى غيره ليس كلاما له، بل لذلك المحل، فلما ثبت عندهم أن الكلام لابد أن يقوم بـالمتكلم - وقد وافقوا المعـتزلة على أن الحـوادث لا تقـوم بالقـديم - لزم من الأصلين أن يكون الكلام قديما، قالوا: وقـدم الأصوات ممتنع لأن الصوت لا يبقى زمـانين، فتعين أن يكون الكلام القديم مـعنى ليس بحرف ولا صوت، وإذا كـان كذلك كان مـعنى واحداً

(١) أى الرافضى المردود عليه.

(٢) عن الأصل ٢: ٧٨.

(٣) هذه الجملة اختصرت اختصاراً مخلا، فمآثرنا إثباتها عن الأصل ٢: ٧٤ كما هى.

(٤) عن الأصل ٢: ٧٨.

(٥) كذا فى المختصر وهو الصواب. والذى فى الأصل ٢: ٧٨ «السكون الأول».

لأنه لو زاد على واحد لم يكن له حد محدود، ويمتنع وجود معانى لا نهاية لها، فهم يقولون: نحن وافقناكم على امتناع أن يقوم بالرب ما هو مراد له مقدور وخالفناكم فى كون كلامه مخلوقا منفصلا عنه، فلزمت المناقضة فإن كان الجمع بين هذين ممكنا لم نتناقض، وإن تعذر لزم خطأنا فى إحدى المسألتين ولم يتعين الخطأ فيما خالفناكم فيه، بل قد نكون أخطأنا فيما وافقناكم عليه من كونه لا يتكلم - بمشيئته وقدرته - بكلام يقوم به، مع أن إثبات هذا القول هو قول جمهور أهل الحديث وطوائف من المتكلمين والكرامية والشيعة، بل لعله قول أكثر الطوائف.

وإذا اضطررنا إلى موافقة إحدى الطائفتين كانت موافقتنا لمن يقول إن الرب يتكلم إذا شاء، خير من موافقتنا لمن يقول إن كلامه إنما هو ما يخلقه فى غيره لظهور فساده عقلاً وشرعاً.

قال[1] «وهم يرون القول بالقياس والرأى. فأدخلوا فى دين الله ما ليس منه. وحرفوا أحكام الشريعة، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن فى زمن النبى ﷺ، وأهملوا أقاويل الصحابة». فالجواب: إن هذا وارد عليكم، فالزيدية تقول بالقياس. ثم القياس خير من تقليد من لم يبلغ فى العلم مبلغ المجتهدين كمالك والثورى والشافعى وأحمد وأبى عبيد، وهم أعلم وأفقه من العسكريين وأمثالهما[2]. ثم قوله «أدخلوا فى دين الله ما ليس منه وحرفوا» فهذا ليس فى طائفة أكثر من الرافضة، فإنهم كذبوا على الرسول ﷺ ما لم يكذبه غيرهم، وردوا من الصدق ما لا يحصى، وحرفوا حيث قالوا ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ على وفاطمة ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين ﴿فى إمام مبين﴾ على ﴿وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل أبى طالب، وسموا أبا طالب عمران. ﴿والشجرة الملعونة﴾ بنو أمية، ﴿أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ عائشة ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ لئن أشركت بين أبى بكر وعمر، ونحو ذلك مما وجدته فى كتبهم، ومن دخلت

(١) أى الرافضى المردود عليه.
(٢) المراد بهما الحسن وأبوه على بن محمد.

الإسماعيلية فى تأويلات الواجبات والمحرمات، فهم[1] أئمة التحريف.

وأما قوله «وأحدثوا مذاهب أربعة [وأهملوا أقاويل الصحابة]»، فيقال له: متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ! ومن الذى يخالف إجماع الصحابة نحن أو أنتم ؟ ! ومن الذى كفرهم وضللهم ؟ ! [**إن أهل السنة لا يتصور أن يتفقوا على مخالفة إجماع الصحابة. وأما الإمامية فلا ريب أنهم متفقون على مخالفة إجماع العترة النبوية مع مخالفة إجماع الصحابة، فانه لم يكن فى العترة النبوية - بنى هاشم - على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم من يقول بإمامة إثنى عشر ولا بعصمة أحد بعد النبى ﷺ[2]، ولا بكفر الخلفاء الثلاثة، بل ولا من يطعن فى إمامتهم، بل ولا من ينكر الصفات، ولا من يكذب بالقدر. فالإمامية بلا ريب متفقون على مخالفة العترة النبوية، مع مخالفتهم لإجماع الصحابة.** فكيف ينكرون على من لا يخالف إجماع الصحابة ولا إجماع العترة ؟ ![3]].

وأما المذاهب فإن أراد أنهم اتفقوا على إحداثها مع مخالفة الصحابة فهذا كذب عليهم فإن الأربعة لم يكونوا فى وقت واحد، ولا كان فيهم من يقلد الآخر، ولا من أمر الناس اتباعه، بل كل منهم يدعو إلى متابعة الكتاب والسنة ويرد على صاحبه وإن قلت إن الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاقى. وأما الشيعة فكل ما خالفوا فيه الجمهور فهم مخطئون فيه. والأربعة لم يخترعوا علما لم يكن، بل جمعوا العلم فأضيف ذلك إلى الواحد منهم كما تضاف كتب الحديث إلى من جمعها كالبخارى ومسلم وأبى داود، وكما تضاف القراءات إلى من اختارها كنافع وعاصم. ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة، ولا إن الحق

---

(١) أى الإمامية.

(٢) **وقد ثبت عن أئمة آل البيت فرداً فرداً أدعية مأثورة يتضرعون بها إلى الله أن يعفو عن ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم، وهذا إعلان منهم بينهم وبين الله بأنهم غير معصومين عن الذنوب ولا ينكرون ما يقعون فيه من سيئات. فهل نكذبهم ونصدق من لا خلاق لهم ؟.**

(٣) عن الأصل ٢ : ٩٠ وقد اختصره الذهبى بالمعنى.

منحصر فى قـولهم وإن ما خرج عنه باطل. والمجتهدون يتنازعـون ويختلفون فى فهم كلام الرسول ﷺ، ثم الصحابة قد ثبت عنهم القول بالرأى والقياس كما ثبت عنهم ذم ما ذمـوه من القياس. فـالمذموم منه مـا عارض النص، وكذلك القـياس الذى لا يكون فيه الفرع مشاركـا للأصل فى مناط الحكم. ولا شك أن القياس فيه فاسد[1] وليس ذلك يوجب بطلان جميعه، كما أن وجود الموضوعات فى المرويات لا يوجب بطلان جميع الحديث.

قال[2] «وذهبوا[3] بسبب ذلك إلى أمور شنيعة كإباحة البنت من الزنا. وسقوط الجمهور[4] فيقولون: الإقرار يؤكد حكم الشهادة. وأما اللواط بالعبيد فكذب، ما قاله وكـأنه قصد التشنيـع، فإن بعض الجهلة يرويه عن مـالك اشتبه عليـه بمسألة الحـشوش، ولا يخـتلف مذهب مـالك والأئمـة رضى الله عنهم أجمـعين أن من استحل المماليك يكفر[5].

قـال[6]: «الوجه الثانى فى الدلالة على وجوب اتباع مـذهب الإمامية ما قاله شيخنا الأعظم خـواجه نصير الدين محـمد بن حسن الطوسى[7] [قـــدس الله

---

(١) لشيخ الإسلام رسالة فى بيان القياس الصحيح والقـياس الفاسد، ولتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقـيق واسع فى ذلك، وسـبق لنا جمـعهمـا فى كتـاب عنوانه (القيـاس فى الشرع الاسـلامى، طبع السلفية).

(٢) أى الرافضى المردود عليه.

(٣) أى أهل السنة فى زعمه بسبب قولهم بالقياس.

(٤) أى جمهور فقهاء أهل السنة غير أبى حنيفة.

(٥) وهذه الخلة الشنيعة يتجاهر بها أمثال الشيعى ناظم القصـيدة التترية فى مملوكة (تتر). وأما كون مستحلها يكفر فهـؤلاء يعترفون بالكفر ويتبجحون بالإيمان. ورأينا أحد المعـاصرين منهم يشكك فى إيمان أبى بكر وعمر -كما نقلنا ذلك عنه فى هامش ص ٦٦- ويعلن مـع ذلك فى مجلة مطبوعة أن التشكيك فى إيمان أبى بكر وعمر كفر، وبعد هاتين المقدمتين الثابتتين عنه فى صحف مطبوعة لا تمحى يتبجح بأنه مؤمن - ولا ندرى بماذا - وبأنه إمام، ويا شقـاء من يأتم بمن يعترف على نفسه بالكفـر ويجبن عن إعلان البراءة الصريحة مما كان كافرا بسببه، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

(٦) أى الشيعى المردود عليه.

(٧) هو عـدو الله المسئـول بين يدى الله هو وابن العلـقمى وابن أبى الحـديد عن الذبح العـام الرهيب الذى ارتكبه هولاكـو فى أمة مـحمد سنة ٦٥٥ عند اسـتيـلائه على عاصمـة الإسلام بغـداد، وانظر لإلحاد=

روحه[1]] وقد سألته عن المذاهب فقال: بحثنا عنها وعن حديث «**ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**» فوجدنا الفرقة الناجية الإمامية لأنهم باينوا جميع المذاهب».

فيقال: لا تنس أنك قد كفرت[2] من قال إن الله موجب بالذات، وشيخك هذا ممن يقول بأن الله موجب بالذات. ويقول بقدم العالم، قرره فى شرح الإشارات له، وقد كان وزير الملاحدة الإسماعيلية بالألموت، ثم صار منجماً مسيراً لهولاكو فأشار عليه بقتل الخليفة والعلماء، إلى غير ذلك من الطامات. وأمر النصير وأتباعه أشهر عند المسلمين. وقد قيل إنه انصلح فى أواخر عمره وكان يحافظ على الصلوات ويشتغل بتفسير البغوى وبالفقه[3].

وأما قوله «باينوا جميع المذاهب» فهذيان، وكذا الخوارج باينوا جميع المذاهب، وكذا المعتزلة وغيرهم. وإن عنى أنهم اختصوا بجميع أقوالهم فليس كذلك، فقد وافقوا فى التوحيد المعتزلة، وفى القدر. ووافقوا الجهمية. ثم بينهم من الاختلاف مالا يوصف.

[ومن العجب أن هذا المصنف الرافضى الكذاب المفترى يذكر أبا بكر وعمر وعثمان وسائر السابقين والتابعين وسائر أئمة المسلمين من أهل العلم والدين بالعظائم التى يفتريها عليهم هو وإخوانه، ويجىء إلى من اشتهرت عند المسلمين محاربته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول عنه «قال شيخنا الأعظم» ويقول

=النصير الطوسى وخيانته للإسلام والمسلمين هامش ص ٢٠. ومن النصير الطوسى وأمثاله رضع ابن المطهر الحلى لبان البغض للمسلمين الأولين أصحاب رسول الله ﷺ وكل من سار على طريقتهم من أئمة المسلمين وعامتهم.

(١) عن الأصل ٢: ٩٩.

(٢) فى ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) وإذا صح عنه ذلك فكان ينبغى له أن يعلن رجوعه عن الطامات والكفريات التى ملأ بها صحائف حياته، أما الكفر والخيانة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين فى العلانية ثم الرجوع عن ذلك فى السر فليس من كمال التوبة. ولو لم يكن له من السيئات إلا إفساد قلوب أمثال ابن المطهر الحلى وملؤها بالغل على خير البشر بعد سيد البشر لكان من لوازم توبته إعلان رجوعه عن هذا الإثم الشنيع بحيث يعلم الناس جميعاً بتوبته، فتكون حجة على هذا الرافضى وأمثاله.

«قدس الله روحـه» مع شهادته لـه بالكفر[1]، ومع لعنه طائفـة خيـار المؤمنين من الأولين والآخـرين، وهؤلاء[2] داخلون فى معنى قـوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء ٥١)[3]].

[ويقال: مـباينتهم لجـميع المذاهب هو على فـساد قولهم أدل منه على صـحة قولهم، فـإن مجـرد انفراد طائفة عن جـميع الطوائف بقـول لا يدل على أنه هو الصواب، واشتراك أولئك فى قول لا يدل على أنه باطل[4]].

قال الرافضى: «الثالث أن الإمامية جازمون بحصول النجاة لهم [ولأئمتهم[5]] قـاطعـون [بذلك[5]]، وأهل السنة لا يجزمـون بذلك». وضرب لذلك مـثلا ثم قال: «فمتابعة هؤلاء أولى».

[والجواب أن يقال: إن كان أتباع أئمته الذين تدعى لهم الطاعة المطلقة [صوابا] وأن ذلك يوجب لهم النجـاة، كان أتباع خلـفاء بنى أميـة - الذين كانوا يوجـبون طاعة أئمتهم مطلقا، ويقولون: إن ذلك يوجب النجاة - مصيبين. . . لأنهم كانوا يعتقـدون أن طاعة الأئمة واجبة فى كـل شيء، وأن الإمام لا يؤاخذه الله بذنب، وأنهم لا ذنب لهم فيـما أطاعوا فيه الإمـام. بل أولئك أولى بالحجة من الشـيعة، لأنهم مطيعين أئمـةً أقامهم اللّه ونَصَّبَهم وأَيَّدَهم وملّكهم. فإذا كـان مِنْ مذهب القَـدرية[6] أن الله لا يفعل إلا ما هو الأصـلح لعباده كان تولية أولئـك مصلحةً لعـباده. ومعلـوم أن اللطف والمصلحة التى حـصلت بهم[7] أعظـم من اللـطف

(١) فيما قرره عمن قال «إن الله موجب بالذات» وهو يعلم أن شيخه النصير الطوسى يقول ذلك.

(٢) أى المؤلف وأمثاله فى موقفهم هذا من الصحابة ومن أمثال الطوسى.

(٣) عن الأصل ٢: ١٠٠.

(٤) عن الأصل ٢: ١٠٤.

(٥) عن الأصل ٢: ١٠٨.

(٦) أى منكرى القدر ، ومنهم الشيعة.

(٧) أى بخلفاء بنى أمية الذين فتحوا أقطار الأرض وأدخلوا الأمم فى دين الإسلام.

والمصلحة التى حصلت بإمـام معدوم(١) أو عاجز(٢). ولهذا حصل لأتـباع خلفاء بنى أمية من المصلحة فى دينهم ودنياهم أعظم مما حصل لأتباع المنتظر، فإن هؤلاء لم يحصل لهم إمام يأمرهم بشىء معروف، ولا ينهاهم عن شىء من المنكر، ولا يعينهم على شىء من مصلحة دينهم ولا دنياهم. بخلاف أولئك(٣) فإنهم انتفعوا بأئمتهم منافع كثيرة فى دينهم ودنياهم أعظم مما انتفع هؤلاء بأئمتهم. فتبين أنه إن كان حجة هؤلاء المنتسبين إلى مشايعة على رضى الله عنه صحيحة، فحجة أولئك المنتسبين إلى مشايعة عثـمان رضى الله عنه أولى بالصحة. وإن كانت باطلة، فهذا أبطل منها. فإذا كان هؤلاء الشيعة متفقين مع سائر أهل السنة على أن جزم أولئك بنجـاتهم - إذا ادعـوا لتلك الأئمـة طاعة مطـلقة - خطأ وضـلال فـخطأ هؤلاء وضلالهم - إذا جزموا بطاعتهم لمن يدعى أنه نائب المعصوم، **والمعصومُ لا عين له ولا أثر - أعظمُ وأعظم. فـإن الشـيعـة ليس لـهم أئمـة يبـاشـرونهم بالخطاب إلا شيوخهم الذين يأكلون أموالهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله(٤)**].

[ويقال: قوله «إنهم جازمون بحصول النجاة لهم دون أهل السنة» فإنه إن أراد بذلك أن كل واحد ممن اعـتقـد اعتقـادهم يدخل الجنة وإن ترك الواجبـات وفعل المحرمات، فليس هذا قول الإمامية ولا يقوله عاقل. وإن أراد أن حب على حسنةً لا يضر معهـا سيئة(٥) فلا يضره ترك الصلوات، ولا الفـجور بالعلويات، ولا نيل أغراضهم بسفك دم بنى هاشم إذا كان يحب عليا. فإن قالوا المحبة الصادقة تستلزم الموافـقة عاد الأمـر إلى أنه لابد من أداء الواجـبات وترك المحـرمات(٦). وإن أراد بذلـك **أنهم يعتقدون أن كل من اعتقد الاعـتقاد الصحيح، وأدى الواجبات وترك**

---

(١) لأنه لم يخلق ، ولم يقع نظر أحد عليه ، ولم يسمع أحد صوته بأمر أو نهى ولا بخير أو شر.

(٢) عن الحكم ، وعن أن يكون به اللـطف أو المصلحة. بل مـن الأئمة الأحـد عشـر من كـان ينهى بعض أصحابه وشيعته عن الكفر بالإسلام والإلحاد فى الدين فلا يطيعونه.

(٣) أى الذين جاهدوا فى جيوش خلفاء بنى أمية وحملوا دعوة الإسلام إلى الأمم.

(٤) سقط من المختصر، فبقى كلام الرافضى فيه بلا جواب. ولذلك أكملناه من الأصل ٢: ١٠٨-١٠٩.

(٥) انظر لهذه الدعوى مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠٤.

(٦) وحينئذ يكون أداء الواجبات وترك المحرمات هو سبب النجاة ، فبطل ادعاؤهم.

المحرمات دخل الجنة، فهذا اعتقاد أهل السنة فإنهم جزموا بالنجاة لكل من اتقى الله تعالى كما نطق به القرآن، وإنما توقفوا فى شخص معين لعدم العلم بدخوله فى المتقين، فإذا علم أنه مات على التقوى علم أنه من أهل الجنة، ولهذا يشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ[1]، ولهم[2] فيمن استفاض فى الناس حسن الثناء عليه قولان. فتبين أنه ليس فى الإمامية جزم محمود اختصوا به عن أهل السنة والجماعة. فإن قالوا: إنما نحزم لكل شخص رأيناه ملتزما للواجبات عندنا تاركا للمحرمات بأنه من أهل الجنة من غير أن يخبرنا بباطنه معصومٌ. قيل: هذه المسألة لا تتعلق بالإمامية، بل إن كان إلى هذا طريق صحيح فهو طريق أهل السنة، وهم بسلوكه أحذق. وإن لم يكن هناك طريق صحيح إلى ذلك كان ذلك قولا بلا علم، ولا فضيلة فيه، بل فى عدمه. ففى الجملة لا يدعون علماً صحيحاً إلا وأهل السنة أحق به، وما ادعوه من الجهل فهو نقص، وأهل السنة أبعد عنه. والقول يكون الرجل المعين من أهل الجنة قد يكون سببه إخبار المعصوم ﷺ[3]، وقد يكون سببه تواطؤ شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله فى الأرض كما فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال: «**وجبت، وجبت**» ومر عليه بجنازة فأثنوا شراً فقال: «**وجبت، وجبت**» فقالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت ؟ قال ﷺ: «**هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت: وجبت لها النار. أنتم شهداء الله فى الأرض**[4]»...

---

(١) كالعشرة المبشرين بالجنة ، والشيعة لا يبالون ببشرى النبى ﷺ ويزعمون أن هؤلاء العشرة - عدا عليا - كلهم من أهل النار ، ويقولون عن أفضلهم جميعاً - أبى بكر وعمر - إنهما « الجبت » و «الطاغوت » كما تقدم فى هامش ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) أى لأهل السنة.

(٣) وهو خاتم النبيين ﷺ ولا معصوم بعده. وقد أخبر المعصوم ﷺ بعشرة من أصحابه بأعيانهم أنهم من أهل الجنة رضوان الله وسلامه عليهم ، والشيعة لا يعبأون بذلك.

(٤) وهؤلاء الصحابة الذين شهد لهم النبى ﷺ بأنهم شهداء الله فى الأرض ، لو ورد فى التوراة أن نبياً من أنبياء بنى إسرائيل قال مثلها فى طائفة من بنى إسرائيل لأقاموا لها عيدا مخلداً ، ولتلقوا كلمة نبيهم بالرضا والإجلال والقبول ، إلا هؤلاء الشيعة فإنهم جاحدون بشهادات رسول الله لأصحابه الذين هم=

وإن أهل السنة يجزمون بحصول النجاة لأئمتهم أعظم من جزم الرافضة، وذلك أن أئمتهم بعد النبى ﷺ هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم جازمون بحصول النجاة لهؤلاء، فانهم يشهدون أن العشرة المبشرة فى الجنة، ويشهدون «**أن الله تعالى قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، بل يقولون: إنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما ثبت ذلك فى الصحيح عن النبى ﷺ[1] فهؤلاء أكثر من ألف وأربعمائة إمام لأهل السنة يشهدون أنه لا يدخل النار منهم أحد، وهى شهادة بعلم كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

وأهل السنة يشهدون بالنجاة - إما مطلقاً وإما معينا - شهادة مستندة إلى علم. وأما الرافضة فإنهم إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون، وشهدوا بالزور الذى يعلمون أنه كذب فهم كما قال الشافعى رحمه الله تعالى «ما رأيت قوماً أشهد بالزور من الرافضة[2]».

وإن الإمام الذى شهد له بالنجاة إما أن يكون هو المطاع فى كل شىء وإن نازعه غيره من المؤمنين، أو هو مطاع فيما يأمر به من طاعة الله ورسوله ﷺ، وفيما يقوله باجتهاد إذا لم يعلم أن غيره أولى منه ونحو ذلك. فإن كان الإمام هو الأول فلا إمام لأهل السنة بهذا الاعتبار إلا رسول الله ﷺ، فإنه ليس عندهم من يجب أن يطاع فى كل شىء إلا رسول الله ﷺ، وهم يقولون كما قال مجاهد والحكم ومالك وغيرهم: «كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ» ويشهدون

=أكمل من خلق الله من أهل الأرض. وإن شهادة رسول الله ﷺ لأصحابه بأنهم « شهداء الله فى الأرض» قبس من نور الله فى قوله سبحانه (البقرة ١٤٣): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. فيالعقاب الله ونقمته وسخطه على قوم يكابرون فى هذا القول الفصل، ويتواصون بالكفر به خلفا عن سلف، وأبا عن جد، وابناً عن أب إلى أن يصلوا نار الله الموقدة، التى تطلع على الأفئدة، فما كان فى الأفئدة من محبة ورحمة للذين أعانوا رسول الله ﷺ على إقامة صرح الإسلام، وحملوا بعده أمانة الدعوة إلى الحق والخير، كان سبيل أصحابها إلى الجنة مع أهل الخير، وما كان منها مشحونا بالغل والسخط والبغضاء للمؤمنين الأولين، الذين نصبهم الله شهداء على الناس، كانت وقوداً فى سجين، وبئس مثوى الجاحدين.

(١) انظر ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) انظر ص ٢١ - ٢٢.

لإمامهم أنه خير الخلائق، ويشهدون بأن كل من ائتم به ففعل ما أمر به وترك ما نهى عنه دخل الجنة، وهذه الشهادة - بهذا وهذا - هى أتم من شهادة الرافضة للعسكريين وأمثالهما وأن من أطاعهما دخل الجنة[1]. فثبت أن إمام أهل السنة[2] أكملُ، وشهاداتهم له - إذا أطاعوه - أكملُ، ولا سواء... وإن أرادوا بالإمام الإمام المقيد فذاك لا يوجب أهلُ السنة طاعته إن لم يكن ما أمر به موافقا لأمر الإمام المطلق رسول الله ﷺ، وهم إذا أطاعوه فيما أمر الله بطاعته فيه فإنما هم مطيعون لله ورسوله ﷺ، فلا يضرهم توقفهم فى الإمام المقيد هل هو فى الجنة أم لا، كما لا يضر أتباع المعصوم إذا أطاعوا نوابه مع أن نوابه قد يكونون من أهل النار، لاسيما ونواب المعصوم عندهم لا يعلمون أنهم يأمرون بما يأمر به المعصوم، لعدم العلم بما يقوله معصوم[3]. وأما أقوال الرسول ﷺ فهى معلومة، فمن أمر بها فقد علم أنه وافقها، ومن أمر بخلافها علم أنه خالفها، وما اختُلف فيه منا فاجتهد فيه نائبه فهذا خيرٌ من طاعة نائب لمن يُدَّعى [أ] العصمة ولا أحد يعلم بشىء مما أمر به هذا الغائب المنتظر، فضلا عن العلم بكون نائبه موافقا أو مخالفا. فإن ادعوا أن النوّاب عاملون بأمر من قبلهم فعلمُ علماء الأمة بأمر رسول الله ﷺ أتم وأكمل من علم هؤلاء بقول من يدعون عصمته. ولو طولب أحدهم بنقل صحيح ثابت بما يقولونه عن على أو عن غيره لما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وليس

(١) محمد بن نصير النميرى كان من أصحاب الحسن العسكرى، وادعى طاعته إلى أن مات إمامه، وكان عند موت إمامه من أبرز شيعة الإمام الميت، وهو أحد الذين فكروا فى اختراع وارث له فى الإمامة، وطمع أن يكون (بابَ) هذا الوارث المخترَع فاختلف مع زملائه على هذا المنصب وفارقوه بسبب ذلك. فهل صحبته للحسن العسكرى إلى أن مات وطاعته له فى تلك المدة تنجيه عند الشيعة وتجعله من أهل الجنة؟ استنتاء نعرضه على أنظارهم. وليلاحظوا أنه فارق زملاءه ولم يفارق إمامه. وإن كان عندهم من أهل النار فهل سيدخل النار بمفارقته إمامه وهو لم يفارقه إلى أن مات، أم بمفارقته أصحابه وهم الذين فارقوه، أم يتآمره معهم على اختراع مولود للحسن العسكرى لم يخلقه الله؟ وإذا دخل النار بهذه المؤامرة فهل سيدخلها وحده أم مع زملائه المتآمرين معه؟ (وانظر لمحمد بن نصير النميرى هامش ص ٩٧ وما بعدها).

(٢) وهو رسول الله ﷺ.

(٣) من أحد عشر قرنا إلى الآن وإلى أن يستيقظوا.

لهم من الإسناد والعلم بالرجال الناقلين، ما لأهل السنة[1].].

قال الرافضى: «الرابع أنهم أخذوا مذهبهم عن المعصومين، وقد كان عليّ كرَّم الله وجهه يصلّى فى اليوم والليلة ألفَ ركعة مع شدَّة ابتلائه بالحروب. وكان زينُ العابدين وكان الباقرُ... وعدد لهم مناقب بعضُها مكذوب[2].

فيقال: **لا نسلِّم أنكم أخذتم مذهبكم عن أهل البيت، فإنكم تخالفون علياً وأئمةَ أهل بيته فى الأصول والفروع: فإنهم يثبتون الصفات، والقدَر، وخلافة الثلاثة وفضلهم[3] إى غير ذلك. وليس لكم أسانيد متصلة حتى ننظر فيها،** والكذبُ فمتوفرٌ عندكم، فإن ادعوا تواتر نص هذا على هذا، ونص هذا على هذا كان هذا معارضا بدعوى [غيرهم] مثل هذا التواتر، فإن سائر القائلين بالنص إذا ادَّعوا مثل هذه الدعوى لم يكن بين الدعويين فرق.

ثم هم محتاجون فى مذهبهم إلى مقدمتين: إحداهما عصمة من يضيفون المذهب إليه، والثانى ثبوت ذلك النقل عنه. وكلاهما لا دليل لهم عليهما.

- أى الرافضى المردود عليه - ثم قال «وجعفر بن محمد نشر فقه الإمامية والمعارف والعقائد» فهذا الكلام يستلزم إما أنه ابتدع ما لم يعلمه من قبله، وإما أن يكون من قبله قصر، **بل الآفه وقعت من الكذابين على جعفر ونسبوا إليه كتاب البطاقة وكتاب الجفر وكتاب الهفت واختلاج الأعضاء وفى النجوم وغير ذلك،**

---

(١) عن الأصل ٢: ١١١ - ١١٣. ولاشك عندنا أن هذه التحقيقات الذهبية العظيمة سقطت من قلم ناسخ المختصر ، وإلا فإن الحافظ الذهبى أحرص من أن يفوته إثباتها.

(٢) ومنها قصيدة نسبوها للفرزدق فى مدح زين العابدين ، والصحيح منها للفرزدق ستة أبيات. أما بقية القصيدة فبعضها للحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهى فى حماسة أبى تمام (٢: ٢٨٤) ، وبعضها فى نقد الشعرلقدامة بن جعفر (ص ١٩ و ٢٧) وبعضها فى مدح بعض بنى مروان أيضاً أوردها الجاحظ فى كتاب الحيوان (٣: ١٥٢ ساسى) وفى أول الجزء الثالث من البيان والتبين ، وانظر الأغانى (٤: ٧٦ - ٧٩ بولاق). وزين العابدين وآل البيت لا يحتاجون فى الصحيح من مناقبهم إلى الكذب فى ذلك ، ولكن الشيعة إذا لم يكذبوا لا يكونون شيعة ، بحسب ما عرف التاريخ من أحوالهم.

(٣) ولم يدَّع أحد منهم العصمة لنفسه ، بل كلهم كان يستغفر الله من ذنوبه.

حتى أن قوما زعموا أن رسائل إخوان الصفا مأخوذة عنه وهى معمولة بعده بنحو مائتى سنة عند ظهور دولة الباطنية الذين ملكوا مصر، فأظهروا اتباع الشريعة وأن لها باطنا مخالفا. وباطن أمرهم الفلسفة، وعلى هذا وضعت هذه الرسائل وضعها جماعة، وقد ذكروا فيها ما استولى عليه النصارى من الشام.

وأما موسى بن جعفر فقد قال فيه أبو حاتم: ثقة، إمام من أئمة المسلمين. وقال ابن سعد: ليس له كبير رواية.

وأما من بعده فلم يؤخذ عنهم من العلم ما يذكر فى أخبارهم، ولا لهم فتاوى، بل لهم من الفضائل والمحاسن ما هم له أهل. وذكر أن بشرا الحافى تاب على يد موسى، وهذا من كذب من لم يعرف الأمور، فإن موسى أقدمه الرشيد العراق وحبسه.

قال: «وكان على بن موسى أزهد الناس وأعلمهم». فيقال: من المصائب التى ابتلى بها ولد الحسين انتحال الرافضة إياهم وتعظيمهم لهم وإطراؤهم بالدعاوى والغلو. وكان علىٌّ كبير القدر، وقد كان فى زمانه الشافعى وغيره ممن هو أعلم منه، ومعروف [الكرخى] وأبو سليمان الدارائى ممن هو أزهد منه. وقد وضعوا عليه نسخاً عن آبائه.

ثم قال: «أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيرا». فهذا بهت، ما أخذ عنه إلا آحاد الناس كأبى الصلت الهروى.

ثم قال فى أثناء كلامه: «إن النبى ﷺ قال: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار». وهذا كذب، واللاتى أحصنَّ فروجهنَّ لا يحصيهنّ إلا الله تعالى ومن ذريتهن البر والفاجر. ففضل فاطمة ليس بمجرد إحصان فرجها. ثم الرافضة تشهد على كثير من أولادها بالكفر والفسوق وهم أهل السنة، كما رفضت الرافضة زيد بن على ونابذوه.

ثم ذكر المهدى، وأنه محمد المنتظر. قلنا: ذكر ابن جرير وابن قانع وغيرهما أن

الحسن بن على العسكرى لم يعقب[1]، والإماميةُ تزعم أنه كان له ولد دخل سرداب سامراً وهو صغير له سنتان أو ثلاث أو خمس، وهذا لو كان موجودا معلوما لكان الواجب فى حكم الله تعالى أن يكون فى حضانة أمه ونحوها من أهل الحضانة[2] وأن يكون ماله عند من يحفظه. فكيف يكون من يستحق الحجر والحضانة معصوما إماما للأمة ؟ ثم هذا - إن قدر وجوده أو عدمه - لا ينتفعون به فى دين ولا علم ولا دنيا، ولا حصل به لطف ولا مصلحة. فإن قيل بسبب

(١) انظر ص ٣١ و ٩٧. وابن قانع هو أبو الحسين عبد الباقى بن قانع بن مرزوق البغدادى الحافظ المتوفى فى شوال سنة ٣٥١ عن ٨٦ سنة. سمع الحارث بن أبى أسامة وإبراهيم بن الهيثم البلدى وطبقتهما وصنف التصانيف: وكانت وفاة الحسن العسكرى قريبة العهد من ولادته ، وشيوخه وذوو قرابته شهود عيان لزمن الحسن العسكرى.

(٢) وإن كان يومئذ ابن خمس سنين كما تزعم الإمامية فكان ينبغى أن يكون فى حضانة عمه جعفر ، وأن يفرز له حقه من التركة التى جردت فى ذلك الوقت بإشراف جعفر العسكرى أخى الحسن العسكرى . ومن احتياط جعفر العسكرى - لما يحتمل أن يكون فى بطون سرارى أخيه من حمل - حبس جوارى أخيه وحلائله ومنعهن من الاتصال بالرجال إلى أن مضت المدة الطبيعية لظهور الحمل فلم يظهر شىء ، ولا ادعى أحد منهن لا نرجس ولا غيرها أن لهن ولداً من الحسن العسكرى ، ولا كان هناك أى سبب سياسى يدعو إلى إخفاء المولود أو الطفل حتى عن نقيب العلويين الذى كان عظيم العناية بتسجيل أسماء مواليد هذه الأسرة فى سجل رسمى . ووالد الطفل المزعوم كان يعيش طول حياته فى أمان لا يتعرض له أحد من حاكم وغير حاكم ، لا فى حريته ولا فى كرامته ، **فأى موجب يدعو إلى إخفاء طفل لم يزاحم الخلفاء على خلافتهم ، ولا الحكام على كراسى حكمهم ، ولم يقم بثورة ، ولا قاد عصابة لقتال أو فتنة. ثم من عقيدتهم فيه أنه لا يموت حتى يجرد سيفه ويقتل الجميع إلا شيعته ، ففيم الخوف ولماذا يختبىء إن كان لا يموت ؟ والسرداب المزعوم لاشك أنه سراب موهوم** ، لأن البيت الذى زعموا أن السرداب كان فيه قد صار تحت تصرف جعفر العسكرى أخى الحسن العسكرى ، وصاحب الدار أدرى بالذى فيها. أما الذين اخترعوا خرافة أن للحسن العسكرى ولداً فى سرداب بيته فقد انقطعت صلتهم بالبيت ولم يكن يجوز لأحد منهم أن يدنو من البيت المعلوم فضلا عن السرداب الموهوم ، وابن الزيات أو السمان الذى كانت دكانه قريبة من البيت لم يدع هو ولا ادعى أحد عنه أنه اتصل بجعفر العسكرى بعد موت حسن العسكرى أو بقيت له أية وسيلة للاتصال بذلك البيت. غير أنه كانت توجد على مقربة من دكانه شجرة كان المستفتون من عامة الشيعة يكتبون استفتاءاتهم فى رقاع ويدسون الرقاع مساء فى ثقب بتلك الشجرة ، فإذا انصرف المستفتى جاء ابن الزيات إلى الشجرة وأخذ الرقعة من ثقبها وأعطاها لأحد أصحابه من المشتغلين بفقههم فيجيب عليها وتعاد إلى ثقب الشجرة **لإيهام المستفتى أن الغائب الثانى عشر الذى لم يخلق ولم يتعلم هو الذى أجاب عليها ! فهذه هى علاقتهم وعلاقة ابن الزيات بالسرداب أو الشجرة المزعوم أن السرداب قريب منها.**

ظلم الناس احتجب عنهم، قيل: كان الظلم فى زمن آبائه وما احتجبوا[1]. ثم المؤمنون به قد طبقوا الأرض، فهلا اجتمع بهم فى وقت، وكان يمكنه أن يأوى الى بقعة فيها شيعته، فما حصل بهذا المعلوم مصلحة أصلا غير الانتظار الطويل، ودوام الحسرة والألم، والدعاء بالمستحيل لأنهم يدعون له بالخروج والظهور من نحو أربعمائة وخمسين سنة ولا يجابون[2].

ثم ذكر[3] حديثَ ابن عمر «يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى . . . الحديث».

قلنا: ذا حجةٌ عليكم، فإن لفظه «يواطىء اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى» يعنى اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن). ثم قد رُوى عن علىٍّ رضى الله عنه أنه من ذرية الحسن لا الحسين[4].

المزعوم أن السرداب قريب منها.

(١) ولما تآمر صناديد الشيعة وعلى رأسهم نصير الدين الطوسى وابن العلقمى وابن أبى الحديد على قتل المسلمين - حكاما ومحكومين - وأزالوا بسيوف يأجوج ومأجوج دولةالإسلام ، وألقوا عشرات الملايين من الكتب الإسلامية المخطوطة فى نهر دجلة حتى كان ماؤه مجرى أسود أياماً ، فلماذا لم يظهر ساكن السرداب ويعلن نفسه ، وكان باعتقادهم لا يزال حيا ولا يزال يزعمهم إلى الآن حياً ويدعون له بأن يعجل الله فرجه ، فهل كانت تلك الفرصة غير صالحة لأن يعجل الله فرجه ؟ وما يمنعه الآن من الظهور وشيعته تملأ الأرض على ضفاف الرافدين وإيران ، فهل الظلم المزعوم موجود الآن أيضا ؟ **ثم إنه فى عقيدتهم مضمون الحياة من يوم ولد إلى أن يقوم فيقود شيعته إلى النصر ، فماذا يخاف من هو مضمون الحياة ، وماذا يحمله على أن يدفن نفسه فى ظلمات السرداب** ولا يتمتع بمشاهدة مياه دجلة والفرات وما بينهما من مغانى الجمال والجلال ؟ اللهم لك الحمد يا رب على نعمة العقل ، والسعادة بصحة العقيدة وسلامة التفكير ، لا إله إلا أنت.

(٢) وها قد مضى بعد ذلك ٦٦٤ سنة أخرى فزادت مدة غيبته على أحد عشر قرنا، ولا يزالون يجأرون بأدعيتهم: عجل الله فرجه ! ترى أليس فيهم طول هذه المدة ذو نفس طاهر يستجيب الله له دعاءه؟!

(٣) أى الرافضى المردود عليه.

(٤) وفى أواخر مدة بنى أمية كان بنو هاشم يرون أن المهدى هو صريح قريش محمد النفس الزكية ابن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، وقيل اجتمعوا مرة بالأبواء من طريق مكة وفيهم الحسنيون والحسينيون ومن العباسين إبراهيم الإمام والسفاح والمنصور وصالح بن على ، وعلى رأس الجميع عبد الله بن الحسن المثنى وابناه محمد وإبراهيم وبايعوا (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) باقتراح أبى جعفر المنصور العباسى ، وكان المنصور فى طليعة المبايعين. فلما صار الملك اليه فى صدر الدولة العباسية - وكانت فى عنقه بيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن - كان ذلك سبب حرصه على الخلاص

(-) واستجابة لمطلب الاستاذ محب الدين الخطيب فى تعليقه عن المهدى الذى رأى أن الأخبار عنه تحتاج الى دراسة وتحقيق وتمحيص، نورد فيما يلى ما جاء بكتاب (نظم المتناثر من الحديث المتواتر للعلامة ابى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى)، تحت عنوان:

أحاديث خروج المهدى الموعود المنتظر الفاطمى

وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوى، أنها متواترة، والسخاوى ذكر ذلك فى فتح المغيث ونقله عن أبى الحسين الأبرى، وقد تقدم نصه أول هذه الرسالة، وفى تأليف لأبى العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسينى العراقى فى المهدى، هذا أن أحاديثه متواترة ، أو كادت، قال: وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقاد أ هـ.

وفى شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصه:

ورد خبر المهدى فى أحاديث ذكر السخاوى، أنها وصلت إلى حد التواتر أ هـ.

وفى شرح المواهب نقلاً عن أبى الحسين الأبرى، فى مناقب الشافعى، قال: تواترت الأخبار أن المهدى من هذه الأمة، وأن عيسى يصلى خلفه، ذكر ذلك ردًا لحديث ابن ماجه عن أنس ولا مهدى إلا عيسى أهـ.

وفى مغانى الوفا بمعنى الاكتفا، قال الشيخ أبو الحسين الأبرى، قد تواترت الأخبارواستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدى وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً أ هـ.

منه ومن أخيه ابراهيم فيما زعمه الإخباريون ، والمهم من هذا الخبر أن بنى هاشم كانوا يرون أن= =المهدى من ذرية الحسن لا من ذرية الحسين ، فلما وافق محمد بن عبد الله بن الحسن مدلول الحديث - باسمه واسم أبيه وفى كونه من بنى الحسن كما روى عن على - بايعه بنو هاشم على أنه المهدى. وسواء أصابوا أو أخطأوا ، فإن الحديث لا يدل إلا على أن المهدى يواطىء اسمه اسم النبى ﷺ واسم أبيه اسم أبيه ﷺ. ولما اخترع الشيعة للحسن العسكرى ابنا لم يكونوا يملكون تغيير اسم الحسن بعبد الله ، فاكتفوا بأن يزعموا أن الثانى عشر المخترع اسمه محمد ، وخذلهم نص الحديث. وعلى كل حال فالأخبار عن المهدى تحتاج إلى دراسة وتحقيق وتمحيص.

وفى شرح عقيدة الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى ما نصه:

وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوى وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم، ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه عن جماعة من الصحابة، وقال بعدها، وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم مما يفيد مجموعة العلم القطعى، فالإيمان بخروج المهدى واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون فى عقائد أهل السنة والجماعة أ هـ.

وتتبع ابن خلدون فى مقدمته طرق أحاديث خروجه مستوعبًا لها على حسب وسعه فلم تسلم له من علة لكن ردوا عليه بأن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا، تبلغ حد التواتر ، وهى عند أحمد والترمذى، وأبى داود، وابن ماجه، والحاكم، والطبرانى، وأبى يعلى الموصلى، والبزار، وغيرهم من دواوين الإسلام من السنن والمعاجم والمسانيد وأسندوها إلى جماعة من الصحابة فإنكارها مع ذلك مما لا ينبغى والأحاديث يشد بعضها بعضًا، ويتقوى أمرها بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدى بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد فى آخر الزمان ظهور رجل من أهل البيت النبوى يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدى، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجَّال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدى فى بعض صلواته إلى غير ذلك.

وللقاضى العلامة محمد بن على الشوكانى اليمنى رحمه الله رسالة سماها «التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح». قال فيها: والأحاديث الواردة فى المهدى التى أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهى متواترة بلا شك، ولا شبهة بل يصدق وصف

التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة فى الأصول وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدى فهى كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فى مثل ذلك أ هـ.

وانظره فقد ذكر أحاديثه وتكلم عليها، وفى الصواعق لابن حجر الهيثمى ما نصه:

قال أبو الحسن الأبرى قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروج المهدى وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج من عيسى صلى الله على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه أ هـ.

ومثله له فى القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر إلا أنه عبر عن أبى الحسين المذكور ببعض الأئمة ونصه:

قال بعض الأئمة الحفاظ أن كونه أى المهدى من ذريته ﷺ قد تواتر عنه ﷺ أهـ.

(قلت) وأبو الحسين المذكور هو محمد بن الحسين بن إبراهيم الأبرى السجستانى، مصنف كتاب مناقب الشافعى وهو كتاب حافل رتبه على أربعة أو خمسة وسبعين بابًا، وآبر من قرى سجستان، توفى فى رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، راجع ترجمته فى الطبقات الكبرى للسبكى، ولولا مخافة التطويل لأوردت ها هنا ما وقفت عليه من أحاديثه، لأنى رأيت الكثير من الناس فى هذا الوقت يتشككون فى أمره ويقولون يا ترى هل أحاديثه قطعية أم لا، وكثير منهم يقف مع كلام ابن خلدون ويعتمده مع أنه ليس من أهل الميدان، والحق الرجوع فى كل فن لا ربابة والعلم لله تبارك وتعالى (انتهى كلام الكتانى) [1] .

وقد أورد السفارينى نص الحديث عن المهدى بقوله [فقد صح عن النبى ﷺ أنه

(-) من هنا تعليق بقلم د/ مصطفى حلمى، وهو غير مدون بأصل اكتاب.

(1) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للعلامة الفقيه المحدث أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى- ص ٢٢٦

قال: «يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى» رواه أبو نعيم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه - ولفظه أنه ﷺ وقال:

- لو لم يبقى من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم أبى، يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

وأما تسميته ووصفه بالمهدى ، فقد ثبت له هذه الصفة فى عدة أخبار، قال أبو عمرو الدانى «إنما سمى المهدى لأنه يهدى الى جبل من جبال الشام، يستخرج منها أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم، وأما لقبه: فالجابر لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ ولأنه يجبر - أى يقهر - الجبارين والظالمين ويقصمهم.[1]

ويتضح من ذلك أن عقيدة (المهدى) عند أهل السنة تخالف مخالفة تامة هذه العقيدة عند الشيعة الامامية، التى تزعم كما ورد فى رد ابن تيمية على الحلى ان الحسن العسكرى - الذى لم يعقب - كان له ولد دخل سرداب سامرا، وهو صغير له سنتان أو ثلاث أو خمس، ويعلق على ذلك ساخراً (وهذا لو كان موجودا معلوما لكان الواجب فى حكم الله تعالى أن يكون فى حضانة أمه ونحوها من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه، فكيف يكون من يستحق الحجر والحضانة معصوماً إماماً للأمة ؟)

ومن دواعى الاطمئنان على استيفاء موضوع المهدى حقه ما قام به الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم من إصداره سفر ضخم يقع فى نحو ٨٠٠ صفحة، تضمن عملاً علميًا لا يبارى من حيث مادته الغزيرة ومنهاجه الدقيق الموثق مضافًا إليه العرض المسهب طوال التاريخ الإسلامى وحتى عصرنا الحديث لفضح المدّعين للمهدية بغير حق بما فيهم رؤوس الشيعة الباطنية وغلاة الصوفية[-].

- ٢٢٨ ط ٢ دار الكتب السلفية - الطالبية - الهرم ١٩٨٣ م.

(١) ص ١٠١ من كتاب مختصر عقيدة الامام السفارينى ط دار الدعوة بالاسكندرية ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

(-) ينظر كتاب المهدى وفقه أشراط الساعة - الدار العالمية بالاسكندرية ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م، للدكتور/ محمد أحمد إسماعيل المقدم

الفصل الثالث

في إمامة على رضى الله عنه

قال الرافضى: «إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى، قد رواها الموافق والمخالف، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره مطاعن ولم ينقلوا فى على طعنا، اتبعوه وجعلوه إماماً لهم وتركوا غيره. فنذكر منها شيئا يسيرا مما هو صحيح عندهم! ليكون حجة عليهم يوم القيامة. فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الأندلسى فى الجمع بين الصحاح الستة عن أم سلمة أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ (الأحزاب ٣٣) نزلت في بيتها وهى جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله ألستُ من أهل البيت؟ فقال ﷺ: «**إنك إلى خير، إنك من أزواج النبى ﷺ**». قالت: وفى البيت عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلهم [بكساء[1]] وقال: «**اللهم هؤلاء أهلُ بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**».

فنقول: الأحاديث الثابتة في الفضائل لأبى بكر وعمر وأكثر وأعظم [من الفضائل الثابتة لعلى [1]]. ثم أكثر الأحاديث التى أوردها [وذكر أنها[1]] في معتمد قول الجمهور من أبين الكذب [على علماء الجمهور[1]]، وما صح منها ليس فيه ما يدل على فضل علي على أبى بكر وغير على فيها شارك. وأما فضائل الشيخين فخصائص [لهما، لاسيما فضائل أبى بكر فإن عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره[1]] وأما [ما ذكره من[2]] المطاعن فلا يمكنه أن يوجه على الثلاثة من مطعن إلا وجه الناصبى على علي مثله.

[وأما قوله: «إنهم جعلوه إماما لهم حيث نزهه المخالف والموافق، وتركوا غيره حيث يروى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته» فيقال: هذا كذب بين، فإن علياً رضى الله عنه لم ينزهه المخالفون بل القادحون فى على طوائف

(١) عن الأصل (٣: ٢). (٢) عن الأصل (٣: ٣).

متعددة، وهم أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر وعثمان. والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه. فإن الخوارج[1] متفقون على كفره، وهم - عند المسلمين كلهم - خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته. بل هم والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين خير - عند جماهير المسلمين - من الرافضة الإثنى عشرية الذين اعتقدوه إماما معصوما[2]. وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ليس فى الأمة من يقدح فيهما إلا الرافضة[3]. **والخوارج المكفرون لعلى يوالون أبا بكر وعمر ويترضون عنهما. والمروانية الذين ينسبون علياً إلى الظلم ويقولون إنه لم يكن خليفة يوالون أبا بكر وعمر مع أنهما ليسا من أقاربهما. فكيف يقال - مع هذا - إن علياً نزهه الموافق والمخالف بخلاف الخلفاء الثلاثة ؟** ومن المعلوم أن المنزهين لهؤلاء أعظم وأكثر وأفضل، وأن القادحين فى على حتى بالكفر والفسوق والعصيان طوائف معروفة، وهم أعلمُ من الرافضة وأدين، والرافضة عاجزون معهم علماً ويدا، فلا يمكن الرافضة أن تقيم عليهم حجة تقطعهم بها، ولا كانوا معهم فى القتال منصورين عليهم. والذين قدحوا فى على رضى الله عنه جعلوه كافرا وظالما ليس فيهم طائفة معروفة بالردة عن الإسلام. بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون فى الثلاثة، كالغالية الذين يدعون إلهيته من النصيرية وغيرهم[4] وكالاسماعيلية الملاحدة الذين هم شر من النصيرية[5] وكالغالية الذين يدعون

(١) وكانوا من جماعة على وأقوى جنده.

(٢) **وفضلا عن امتياز الخوارج على الشيعة بنزاهتهم عن ضلالة العصمة لغير الأنبياء فإن عقيدتهم فى أبى بكر وعمر لا تزال على ما كانوا عليه لما كانوا مع على كرم الله وجهه ، فهم قد ثبتوا على مذهبه في أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر** ، لكن مما ضلت به الخوارج ما تحمله من الميراث عن قتلة عثمان فيما يتعلق بعثمان ، ثم ما ضلت به بعد ذلك قولها بكفر على بعد التحكيم. وعلى كل حال فإن الذى يوازن بين مجموع ما ضلت به الخوارج ومجموع ما ضلت به الرافضة يرى الخوارج أقل ضلالا من الآخرين. ونحن نعتقد أن من أعظم الثواب الذى سيثيب الله عليا كرم الله وجهه ما تحمله من هاتين الطائفتين المسرفتين وصبره عليهما منذ خرج من المدينة قاصدا العراق إلى أن لقى ربه شهيدا كريما. رحمه الله ورضى عنه.

(٣) وتلاميذهم المنشقون عنهم من الإسماعيلية والنصيرية والشيخية والبابية والبهائية.

(٤) انظر النصيرية من هذا الكتاب.

(٥) انظر للإسماعيلية مقالتنا عن (العبيديين) فى مجلة الأزهر (المجلد ٢٥: ص ٦١٢ - ٦٣١).

نبوته[1]، فإن هؤلاء كفار مرتدون، كفرهم بالله ورسوله ﷺ ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام. فمن اعتقد فى بشر الإلهية، أو اعتقد بعد محمد ﷺ نبيا[2]. . . فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة، بخلاف من يكفر علياً ويلعنه من الخوارج، وممن قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبنى مروان وغيرهم، فإن هؤلاء كانوا مقرين بالإسلام وشرائعه، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت العتيق ويحرمون ما حرم الله ورسوله ﷺ، وليس فيهم كفر ظاهر، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم، وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام، فكيف يُدَّعى - مع هذا - أن جميع المخالفين نزهوه دون الثلاثة. بل إذا اعتبر الذين كانوا يبغضونه ويوالون عثمان، والذين كانوا يبغضون عثمان ويحبون عليا، وجد هؤلاء خيراً من

---

(١) يقرر علامتهم الثانى آية الرافض المامقانى أن ما كان يعد به الغلاة غلاة أيام أئمتهم هو الآن من ضروريات المذهب. فما من شيعى إذا صرح بعقيدته من غير تقية إلا وهو اليوم كما كان أسلافه من الغالية قديما. فإذا أخل بشىء من ذلك كان عندهم منحرفا عن ضروريات المذهب.

(٢) **وليست العبرة فى أن يسميه نبيا أو لا يسميه، ولكن يصفه بصفات الأنبياء، كقول بخاريهم الكلينى فى عناوين كتابهم الأعظم الذى يسمونه الكافي:** باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه، باب أن الأئمة هم أركان الأرض، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب يعرفونها علي اختلاف ألسنتها، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة -باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التى خرجت الى الملائكة والأنبياء والرسل، باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفي عليهم شيء، باب أن الله لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه فى العلم، باب أن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بماله وعليه، باب وقت ما يعلم الإمام جميع علم الإمام الذى قبله، باب أن الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده، **باب فى أن الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة (أى أنهم ينسخون الدين المحمدى ويرجعون الى دين اليهود)**، باب أنه ليس شيء من الحق فى أيدى الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، باب أن الأرض كلها للإمام. هذه بعض أبواب أعظم كتبهم المعتمدة فى الدين. وكانوا يعتقدون ذلك قبل أن يصير الغلو من ضروريات مذهبهم، أما هذا الغلو الذى صار من ضروريات المذهب فيمكن استقصاؤه من التراجم التى كتبوها بأقلامهم لأعداء الله الذين كانوا يعدون غلاة. وانظر فى مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ١٠٠ **اعتقادهم أن عليا أفضل من الأنبياء والرسل غير أولى العزم، وفى ص ١٠٢ قولهم إن الأئمة أزيد من الأنبياء علما فيكونون أفضل منهم رتبة**، وفى ص ١٠٣ إيرادهم أحاديث كاذبة بأن عليا خير الأولين والآخرين. وفى ص ١١٤ قول الإمامية: **كان على يوحى اليه فيسمع الصوت فقط.**

أولئك من وجوه متعددة. . . **ولو تخلى أهل السنة عن موالاة على رضى الله عنه.. لم يكن فى المتولين له من يقدر أن يقاوم المبغضين له من الخوارج والأموية والمروانية،** فإن هؤلاء طوائف كثيرة. ومعلوم أن شر الذين يبغضونه هم الخوارج الذين كفروه واعتقدوا أنه مرتد عن الإسلام واستحلوا قتله تقربا إلى الله تعالى، حتى قال شاعرهم عمران بن حطان:

يا ضربة من تقى ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه	أوفى البرية عند الله ميزانا

فعارضه شاعر أهل السنة فقال:

يا ضربة من شقى ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذى العرش خُسرانا
إنى لأذكره يوماً فألعنه	لعناً وألعن عمران بن حطانا

وهؤلاء الخوارج.. كانوا موجودين فى زمن الصحابة والتابعين يناظرونهم ويقاتلونهم والصحابة اتفقوا على وجوب قتالهم، ومع هذا فلم يكفروهم، ولا كفرهم على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وأما الغالية فى على رضى الله عنه فقد اتفق الصحابة وسائر المسلمين على كفرهم، وكفَّرهم على بن أبى طالب نفسه وحرَّقهم بالنار.. وأما الخوارج فلم يقاتلهم علىّ حتى قتلوا واحداً من المسلمين وأغاروا على أموال الناس فأخذوها. فأولئك[1] حكم فيهم علىّ وسائر الصحابة بحكم المرتدين، وهؤلاء[2] لم يحكموا فيهم المرتدين. وهذا مما يبين أن الذين زعموا أنهم والوه دون أبى بكر وعمر وعثمان يوجد فيهم من الشر والكفر - باتفاق على وجميع الصحابة - مالا يوجد فى الذين عادوه وكفروه، وتبين أن جنس المبغضين لأبى بكر وعمر شرٌ - عند علىّ وجميع الصحابة - من جنس المبغضين لعلى[3]].

(١) أى الذين غلوا فى على .
(٢) أى الخوارج.
(٣) عن الأصل ٣: ٣ -٤ .

وحديث الكساء صححه الترمذى. وأما مسلم فأخرجه من حديث عائشة قالت: «خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط [مرحَّل[1]] من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ (الأحزاب: ٣٣) الآية». [وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم، فليس هو من خصائصه. ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة، فعُلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة، بل يشركهم فيها غيرهم[1]]. ومضمونه الدعوة بأن يذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، والصدّيق قد أخبر الله عنه (فى سورة الليل ١٧ - ٢١) بأنه ﴿الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، وما دخل عليٌّ فى الأتقى حينئذ لأنه لم يكن له مال حينئذ، بل دخل فيها إذ فتحت خيبر وصار ذا مال.

قال «وفى قوله تعالى: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة ١٢) قال على: ما عمل بهذه الآية غيرى». فيقال: الأمر بالصدقة لم يكن واجبا على المسلمين حتى يكونوا عصاة بتركه، وإنما أمر بها من أراد النجوى، فاتفق أنه لم يُرد النجوى حينئذ إلا على فتصدّق لأجلها، وهذا كوجوب الهَدْى لمن أراد المتعة[2] ووجوبه على من أُحْصِر[3]، ووجوب الفدية على من به أذًى[4] ووجوب الكفارة على من حنث[5]. ثم لم تطل مدة الأمر بالصدقة عند النجوى، فما اتفق ذلك إلا لعلى رضى الله عنه فتصدق بدرهمين أو نحوهما. وهذا أبو بكر قد تصدق مرة بماله كله وأتى به النبى ﷺ فقال له: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: الله ورسوله ﷺ.

قال[6]: «وعن محمد بن كعب [القَرَظىّ [7]] قال: افتخر طلحة بن شيبة [من بنى عبد الدار[7]] والعباس وعلى، فقال طلحة: معى مفاتيح البيت، ولو أشاء بتٌّ

(١) عن الأصل ٣: ٤.
(٢) أى التمتع بالعمرة.
(٣) أى منعه مانع شرعى من إتمام الحج.
(٤) إذا اضطر إلي الحلق وهو محرم.
(٥) فى يمينه.
(٦) أى الرافضى المردود عليه.
(٧) عن الأصل ٣: ٥.

فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، ولو أشاء لبتُّ في المسجد. وقال علي: لقد صليتُ إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فنزلت: **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** (التوبة ١٩) فيقال: [هذا اللفظ لا يعرف فى شيء من كتب الحديث المعتمدة، بل دلالات الكذب عليه ظاهرة. منها أن طلحة بن شيبة لا وجود له، وإنما خادم الكعبة هو شيبة بن عثمان بن [أبى] طلحة[1]، وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يصح. ثم فيه قول العباس: لو أشاء بتُّ فى المسجد، فأى كبير أمر فى مبيته فى المسجد حتى يتبجح به ؟ ثم فيه قول علي: صليت ستة أشهر قبل الناس، فهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة، فإن بين إسلامه وإسلام زيد و أبى بكر وخديجة يوم أو نحوه، فكيف يصلى قبل الناس بستة أشهر ؟ وأيضا فلا يقول: أنا صاحب الجهاد وقد شاركه فيه عدد كثير جدا[2]] فهذا الحديث موضوع ويرد عليه ما فى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الإسلام، إلا أن أسقى الحاج. وقال آخر: ما أبالى أن لا أعمل عملا فى الإسلام إلا أن أَعْمُرَ المسجد الحرام[3]، وذكر آخر الجهاد وقال هو أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ - وهو يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلتُ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله تعالى **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، فهذا ليس من خصائص

---

(١) هو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة الذى جاء من مكة مع خالد فلقيا عمرو بن العاص فى موضع يقال له (الهدأة) بين مكة وعسفان ، فأسلموا جميعا كما تقدم فى ص ٢٥٨ وشيبة تأخر إسلامه إلى غزوة حنين ، وكان يريد اغتيال النبى ﷺ فى حنين فوضع ﷺ يده على صدر شيبة وقال له « **اخسأ عنك الشيطان**» فقذف الله الإيمان فى قلبه وقاتل مع النبى ﷺ وكان ممن صبر معه. فلما كان يوم الفتح دفع النبى ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وقال: «**خذوها يا بنى أبى طلحة خالدة تالدة ، ولا يأخذها منكم إلا ظالم**». وإن مفتاح الكعبة في هذه الأسرة من بني عبد الدار إلى اليوم ويسمون «الشيبيين».

(٢) عن الأصل ٣: ٥ - ٦.

(٣) أى ألبث فيه فيكون عاما بى .

علىّ، إذ الذين آمنوا وجاهدوا كثير، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ (التوبة ٢٠) ولا ريب أن جهاد أبى بكر بماله ونفسه أبلغُ من جهاد على [غيره كما[1]] قال النبى ﷺ [فى الحديث الصحيح[1]] «إن أمنَّ الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر» وقال عليه السلام «ما نفعنى مالٌ ما نفعنى مالُ أبى بكر» [وأبو بكر كان مجاهدا بلسانه ويده، وهو أولُ من دعا إلى الله، وأول من أوذى في الله بعد رسول الله ﷺ، وأول من دافع عن رسول الله ﷺ، وكان مشاركاً لرسول الله ﷺ فى هجرته وجهاده، حتى كان هو وحده معه فى العريش يوم بدر، وحتى إن أبا سفيان يوم أُحُد لم يسأل إلا عن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر لما قال: أفيكم محمد ؟ فقال النبى ﷺ: «لا تجيبوه». فقال: أفيكم ابن أبى قُحافة ؟ فقال النبى ﷺ: «لا تجيبوه». فقال: أفيكم ابن الخطاب ؟ فقال النبى ﷺ: «لا تجيبوه». فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبتَ يا عدو الله، إن الذى عددتَ أحياء، وقد أبقى الله لك ما يحزنك. ذكره البخارى وغيره[1]].

قال الرافضى: « ومنها ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسلمان: سَلِ النبى ﷺ من وصيته ؟ فسأله، فقال: يا سلمان من كان وصىَّ موسى ؟ قال: يوشع. قال: فإن وصيى ووراثى على[2]» قلنا: [هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل

(١) عن الأصل ٣: ٦.

(٢) نقل المامقانى فى كتابهم تنقيح المقال (٢: ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشى - رأس علمائهم فى الجرح والتعديل وأول من فتح لهم باب التأليف فيه - ما نصه: **«وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا، وكان يقول - وهو على يهوديته - فى يوشع بن نون • وصى موسى) فقال فى إسلامه في علي مثل ذلك». فهذا نص عنهم صريح صحيح بأن مخترع لقب (الوصى) لعلي هو عدو الله ابن سبأ**. وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوبا من أساسه كما سترى، فإن الخبر اليقين هو الذى نقله المامقانى عن الكشى عن علمائهم أن صاحب الحق فى هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودى، وهذه بضاعتهم ردت اليهم، وهم أحق بها وأهلها. فليكذبوا علماءهم إن شاءوا، أو ليكذبوا الكشى فى نقله عن علمائهم إن شاءوا، ونحن يكفينا أن يتسلسل الخبر من ابن سبأ إلى علمائهم إلى عالمهم الكشى حتى يستقر فى كتاب تنقيح المقال أكبر وأحدث كتبهم فى الجرح والتعديل. وبذلك برأ الله نبيه ﷺ من هذه التهمة، كما برأ صاحبيه أنساً وسلمان، بل برأ الله آخر رسالاته من أن توصم بهذا (الاحتكار) الذي تكون به الأمة يتيمة مسلوبة التصرف تحت أوصياء من البشر آخرهم لم يلد ولم يولد، وهى من بعد=

المعرفة بالحديث، ليس هو فى مسند الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد قد صنف كتابا فى فضائل الصحابة ذكر فيه فضل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجماعة من الصحابة، وذكر فيه ما روى فى ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك، وليس كل ما رواه يكون صحيحا. ثم إن فى هذا الكتاب زيادات من رواية ابنه عبد الله، وزيادات من رواية القطيعى عن شيوخه[١]. وهذه الزيادات التى زادها القطيعى غالبها كذب كما سيأتى ذكر بعضها. وشيوخ القَطِيعى يروون عمن فى طبقة أحمد. وهؤلاء الرافضة جهال، إذا رأوا فيه حديثا ظنوا أن القائل لذلك أحمد بن حنبل ويكون القائل لذلك هو القَطِيعى وشيوخ القطيعى الذين يروون عمن فى طبقة أحمد. وكذلك فى المسند زيادات زادها ابنه عبد الله لاسيما فى مسند على ابن أبى طالب رضى الله عنه فإنه زاد زيادات كثيرة[٢]] فالحديث من كذب الدجاجلة، ولا حدَّث به - والله - أحمدُ، فهذا مسنده، بل وهذا الكتاب الذى صنفه فى فضائل الصحابة.

قال[٣] «وعن يزيد بن أبى مريم عن على قال: انطلقت أنا ورسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة، فصعد رسول الله ﷺ علي منكبى، فذهبتُ لأنهض فرأى منى

=الذى لم يلد ولم يولد - بل من بعد أبيه - تائهة ضائعة راسفة فى قيودها بين الأمم، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها، وإطلاق العقول فى الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة ليس عليها قيم ولا وصى إلا هذا الشرع العالمى القويم.

(١) كان فى أطراف بغداد قطع أرض خالية أقطعها الخلفاء العباسيون وذروهم لبعض الناس، وتسمى كل قطعة منها «قطيعة» وينسب إلى كل منها رجال من أهل العلم أو الزهد عرف كل منهم بالقطيعي، ولعل صاحب الزيادات الواهية على كتاب أحمد في فضائل الصحابة هو أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى (٢٧٣ - ٢٦٨) أو غيره. وكان أحمد بن جعفر يسكن بقطيعة الدقيق من أطراف بغداد فنسب إليها.

(٢) عن الأصل ٢: ٦ - ٧. ويقول الحافظ ابن كثير فى اختصاره لمقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (ص ٦ - ٧): «وأما قول الحافظ أبى موسى محمد بن أبى بكر المدينى عن مسند الإمام أحمد «أنه صحيح» فقول ضعيف، فإن فيه أحاديث ضعيفة بل وموضوعة كأحاديث فضائل مرو وعسقلان والبرث الأحمر عند حمص وغير ذلك مما نبه عليه الحفاظ».

قلت: وأحاديث الفضائل إن لم تكن أسانيدها قوية كالتى في الصحيحين فإنها مما يتزيد به الناس ويتساهلون فى قبوله كما يتساهلون فى كتب الرقائق التى تكلمنا عليها فى هامش ص ٨: ٢ - ٣٨٩.

(٣) أى الرافضى المردود عليه.

ضعفا، فنزل وجلس لى، فصعدتُ على منكبه فنهض بى حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال نحاس، فجعلتُ أزاوله، ثم قذفتُ به فتكسر، وانطلقنا نستبق حتى توارينا» قلنا: إن صح هذا فما فيه شيء من خصائص الأئمة، فقد كان النبي ﷺ يصلى وهو حامل أمامة بنت أبى العاص[1] على منكبيه، وسجد مرة فجاء الحسن فارتحله [فإذا كان يحمل الطفلة والطفل لم يكن فى حمله لعلى ما يوجب أن يكون ذلك من خصائصه، وإنما حمله لعجز علىّ عن حمله، فهذا يدخل فى مناقب رسول الله ﷺ، وفضيلة من يحمل النبى ﷺ أعظم من فضيلة من يحمله النبى ﷺ، كما حمله يوم أحد من حمله من الصحابة مثل طلحة بن عبيد الله، فإن هذا نفع النبى ﷺ وذاك نفعه النبى ﷺ، ومعلوم أن نفعه بالنفس والمال أعظم من انتفاع الإنسان بنفس النبى ﷺ وماله[2]].

قال[3] «وعن ابن أبى ليلى قال: قال النبى ﷺ: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار ومؤمن آل فرعون، وعلىّ وهو أفضلهم». قلنا : وهذا كذب. وقد ثبت أن النبى ﷺ وصف أبا بكر بأنه «صديق»، وصح من حديث ابن مسعود مرفوعا «**لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا**» فالصديقون بهذا كثير، وقال تعالى فى مريم وهى امرأة: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة ٧٥).

قال[3] «وعن النبى ﷺ أنه قال لعلى: أنت منى وأنا منك». قلنا: نعم، أخرجاه فى الصحيحين من حديث البراء [لما تنازع على وجعفر وزيد فى ابنة حمزة فقضى بها لخالتها وكانت تحت جعفر وقال: أنت منى وأنا منك[2]] وقال لجعفر: أشبهتَ خَلقى وخُلقى، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا، [لكن هذا اللفظ قد قاله النبى ﷺ لطائفة من أصحابه[4]] وفي الصحيحين من حديث أبى موسى أن النبى ﷺ قال فى الأشعريين «**هم منى وأنا منهم**[5]».

---

(١) من زينب بنت رسول الله ﷺ. انظر ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) عن الأصل ٣: ٧ .　　(٣) أى الرافضى المردود عليه.

(٤) عن الأصل ٣: ٨.

(٥) تقدم تمام الحديث فى ص ١٧٠ ، مع قول النبى ﷺ عن جليبيب أيضا « **هذا منى وأنا منه** » .

قـال[1] «وعن عمرو بن ميمون قال: لعليّ عشـر فضائل ليست لغيره: قال له النبي ﷺ لأبعـثن رجلا لا يخزيـه الله أبدا، يحب الله ورسوله ﷺ [ويحـبه الله ورسوله ﷺ، فـاستشـرف لها من استـشرف، فقـال: أين على بن أبى طالب ؟ قالوا: هو أرمد فى الـرحى يطحن وما كان أحد يطحن، فـجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قـال فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثا وأعطاها إياه فجاء بصـفية بنت حُيَيّ. قال: ثم بعث أبا بكر بسورة براءة، فبـعث عليا خلفه وقال: لا يذهب بها إلا رجل هو منى وأنا منه. وقال لبنى عمه: أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة ؟ قال وعلى جالس معهم فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: أيكم يوالينى فى الدنيـا والآخرة ؟ فأبوا، فقال على: أنا أواليك فى الدنيـا والآخرة، فقـال: أنت ولى فى الدنيا والآخرة. قـال: وكان على أول من أسلم من النـاس بعد خـديجـة. قال: وأخـذ رسـول الله ﷺ ثوبه فوضعـه علي عليّ وفاطمة والحسن والحـسين فقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال : وشرى على نفـسه ولبس ثوب رسول الله ﷺ ثم نام مكانه، وكان المشـركون يرمونه بالحجـارة. وخرج رسول الله ﷺ بالناس في غزاة تبوك، فقال له على: أخرج مـعك، فقال: لا، فبكى على، فقال له: أمـا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من مـوسى ؟ إلا أنك لست بنبى، لا ينبـغى أن أذهب إلا وأنت خليـفتي وقـال له رسـول الله ﷺ: أنت ولى فى كل مؤمن بعدى. قـال: وسد أبواب المسجد إلا باب على. قال وكـان يدخل المسجد جنبا وهو طريقه ليس له طريق غيره. وقال له: من كنت مولاه فعلى مولاه. وعن النبى ﷺ مرفوعا أنه بعث أبا بكر فى براءة إلى مكة فسار لها ثلاثا ثم قال لعلى: الحقه فـرده وبلغها أنت، ففعل، فلما قـدم أبو بكر علي النبى ﷺ بكى وقال: يا رسول الله حـدث فى شيء ؟ قال: لا، ولكن أُمرتُ أن لا يبلغـها إلا أنا أو رجل منى[2]».

---

(١) أى الرافضى المردود عليه.

(٢) عن الأصل ٣: ٨.

قلنا: هذا [الخبر] مرسل[1] لو ثبت عن عمرو بن ميمون. ومنه ألفاظ منكرة منها: لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى، فإن النبى ﷺ استخلف غيره غير مرة.

وكذلك قوله[2] «سدوا الأبواب إلا باب علىّ» فإنه **من وضع الشيعة**. فإن فى الصحيحين من حديث أبى سعيد [الخُدْرى] أن النبى ﷺ قال فى مرضه الذى مات فيه «[**إنّ أمنَّ الناس على فى ماله وصحبته أبو بكر**، و[3]] **لو كنتُ متخذاً خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا، ولكن أخُوَّة الإسلام ومودَّته. لا يبقينَّ فى المسجد خوخة إلا سُدَّتْ إلا خوخة أبى بكر**». ورواه ابن عباس فى الصحيحين.

ومنه قال[2] «أنت ولى فى كل مؤمن بعدى» **فهذا موضوع** [باتفاق أهل المعرفة بالحديث[3]]. وباقى الحديث ليس هو من خصائصه، مثل كونه يحبُّ الله ورسوله ﷺ[4] واستخلافه على المدينة[5]، وكونه بمنزلة هارون من موسى[6]، ومثل كون براءة لا يبلغها إلا هاشمى إذا كانت العادة جارية بأنه لا ينقض العهود إلا رجل من قبيلة المطاع[7].

---

(١) لأن عمرو بن ميمون أسلم على يد معاذ بن جبل ولم يلق النبى ﷺ.

(٢) أى الرافضى المردود عليه.

(٣) عن الأصل ٣: ٩.

(٤) فإن مئات الملايين من أمة محمد ﷺ -فيما مضى وما سيأتى- يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله.

(٥) وقد تقدم للرافضى التبجح باستخلاف على رضى الله عنه على المدينة، وفي ص ٢١٢ - ٢١٣ الجواب على ذلك بأن عليا استخلف على المدينة مرة وغيره استخلفوا عليها مرات كثيرة كما هو ثابت بالأحاديث الصحيحة، فإن كان لا يستخلف عليها إلا الأفضل لزم أن يكون على مفضولا فى كل مرة استخلف فيها النبى ﷺ على المدينة غيره. ثم إن أولئك كانوا يستخلفون على المدينة وفيها جماهير من المؤمنين، ولما استخلف عليها على فى غزوة تبوك لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والعجزة حتى حزن على لذلك وعده منقصة له بتخلفه عن الجهاد مع إخوانه الصحابة، وكانت المدينة آمنة لا يخاف عليها ولا يحتاج المستخلف عليها إلى جهاد.

(٦) تقدم الكلام عليه فى هامش ٢١٣.

(٧) وأبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يخرج بسورة براءة ثم عزل بعلى كما يوهم كلام الرافضى المردود عليه بل خرج أبو بكر نائبا عن النبى ﷺ بإمارة الحج، وهو أهل لهذه النيابة عنه ﷺ حيا وميتا، ونزلت براءة بعد سفره فبعث النبى ﷺ بها مع على لسببين: **أحدهما** ما ذكره شيخ الإسلام من أن=

قال[1]: «ومنها ما رواه أخطب خوارزم أن النبي ﷺ قال: يا على لو أن عبداً عَبَد الله مثل ما قام نوح فى قومه وكان له مثل أُحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله وحج ألف مرة على قدميه ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوما ثم لم يوالك لم يشمَّ رائحة الجنة ولم يدخلها».

فيقال: أخطب خوارزم هذا له مصنف فى هذا الباب[2] فيه من المكذوبات مالا يوصف وهذا والله منها.

قال[1]: «وقال رجل لسلمان ما أشد حبَّك لعلى. قال: سمعت نبى الله ﷺ يقول من أحبه فقد أحبنى». وعن أنس مرفوعا: خلق الله من نور وجه علىّ سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبَّ عليا قبل الله منه صلاته وصيامه [وقيامه واستجاب دعاءه، ألا[3]] ومن أحب عليا أعطاه الله بكل عْرق من بدنه مدينة فى الجنة، ألا ومن أحب آل محمد ﷺ أمن الحساب والميزان والصراط، [ألا ومن مات على حب آل محمد - ﷺ - فأنا كفيله فى الجنة مع الأنبياء[4]]، ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله. وعن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل: بأى لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ قال:

=الإنذار بالقتال ينبغي أن يحمله عن الرئيس رجل من ذوى قرابته. **والسبب الثاني** أن في هذه السورة قول الله عز وجل (الآية ٤٠): ﴿إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وهو ثناء من الله عز وجل على أبى بكر الصديق خالد بخلود القرآن الحكيم. وكون على هو الذي حمل هذا الثناء الإلهى على الصديق الأعظم إلى الحجيج فى بيت الله الحرام والمشاعر العظام منقبة كبري له وخزى أبدى لكل من ناقض ذلك باختزان الإحنة والغلى لهذا الولى الكريم من أولياء الله الرحمن الرحيم.

(١) أى الرافضى المردود عليه.

(٢) أخطب حوارزم أديب متشيع من تلاميذ الزمخشرى ، اسمه الموفق بن أحمد بن إسحاق (٤٨٤ - ٥٦٨)، له ترجمة فى بغية الوعاة ٤٠١ وروضات الجنات (الطبعة الثانية) ٧١٢ وغيرهما، وكتابه الذى كذب فيه هذا الخبر على رسول الله ﷺ اسمه مناقب أهل البيت ، مساكين أهل البيت كم يحمل اسمهم من أكاذيب الذين لا يخافون الله.

(٣) عن الأصل ٣: ٩.

(٤) عن الأصل ٣: ٩.

خاطبنى بلغة على ! فألهمنى أن قلت: يا رب [أنت] خاطبتنى أم على ؟ فقال: يا محمد، أنا شيء ليس كالأشياء، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نورى وخلقت عليا من نورك، فاطلعت علـى سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من على، خاطبـتك بلسانه كى يطمئن قلبك. وعن ابن عبـاس: قال رسول الله ﷺ لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حُسّـاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علىّ. وقـال: إن الله جعل الأجر على فضائل علىّ لا يحـصى، فمن ذكر فضيـلة من فضائله فقـرأها غفر له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر والنظر إلـي وجهه عبادة، وذكـرُه عبادة، لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايتـه والبراءة من أعدائه. وعن حكيم بن حِزام مرفوعا: لُمـبارزةُ علىّ عمرَو بن ودّ [يوم الخندق[1]] أفـضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة».

قلنا: هذه الأحاديـث - والله العظيم - كذب يلعن الله من افـتراها، ولُعن من لا يحبُّ علـيـا. وأنت[2] قد قدمـتَ أنك لا تذكر إلا ما هو صحـيح عندنا، فمن أين جئت بهذه الخرافات ؟ ! ولكنّا تيـقنّا بأن الرافضة أجهلُ الطوائف وأكذبهم، وأنت زعيمهم وعالمهم وهذا حالك !

ونحن نذكر (قاعدة جامعة) فى هذا الباب لهم ولسائر الأمة فنقول:

لابدَّ أن يكون مع الإنسان **أصول كلية يردُّ اليها الجـزئيات ليتكلم بعلم وعدل،** ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيـبقى فى كذب وجهل بالجزئيات، وجهل وظلم فى الكليات، فيتولد فساد عظيم. والناس قد تكلموا فى تصويب المجتهدين وتخطئتـهم، وتأثيمهم وعدم تأثيـمهم فى مسائل الفروع والأصـول. ونحن نذكر أصولا جامعة نافعة:

(الأصـــل الأول) أنه هل يمكن كلَّ أحد أن يعرف - باجـتهاده - الحقَّ فى كل مسألة فيـها نزاع ؟ وإذا لم يمكنه فاجتهد واستـفرغ وسعه فلم يصل إلى الحق، بل

(١) عن الأصل ٣: ١٠.

(٢) الخطاب للرافضي المردود عليه.

قال ما اعتقد أنه هو الحق فى نفس الأمر - ولم يكن هو الحق فى نفس الأمر - هل يستحق أن يعاقَب أم لا ؟ هذا أصل هذه المسائل. وللناس فى هذا الأصل ثلاثة أقوال، كل قول عليه طائفة من النظار: **(الأول)** قول من يقول إن الله قد نصب على الحق فى كل مسألة دليلا يعرف به يمكن كلٌ من اجتهد واستفرغ وسعه أن يعرف الحق، وكلُ من لم يعرف الحق فى مسألة أصولية أو فروعية فإنما هو لتفريطه فيما يجب عليه، لا لعجزه. وهذا القول هو المشهور عن القَدَرية والمعتزلة، وهو قول طائفة من أهل الكلام غير هؤلاء... و **(القول الثانى)** فى أصل المسألة أن المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق، وقد يعجز عن ذلك. لكن إن عجز عن ذلك فقد يعاقبه الله وقد لا يعاقبه، وهذا قول الجهمية والأشعرية وكثير من الفقهاء أتباع المذاهب الأربعة... و **(القول الثالث)** فى هذا الأصل أنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق، ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأمورا أو فعل محظورا. وهذا هو قول الفقهاء والأئمة وهو القول المعروف عن سلف الأمة وقول جمهور المسلمين. وهذا القول يجمع الصواب من القولين.

(الأصل الثاني) قول من يقول: إن الله لا يعذب فى الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور... والأصل الذى عليه السلف والجمهور أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة.

وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع حكم الناس فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب، وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب[1]، فإذا كان هذا الحكم فى المجتهدين، وهذا الحكم فى المذنبين، حكما عاما فى جميع الأمة، فكيف فى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ وإذا كان المتأخرون من المجتهدين والمذنبين يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذكر من الأسباب فكيف بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟

(١) انظر ص ٢١٩ - ٢٢٠ وص ٣٢٠.

ونحن نبسط هذا وننبه بالأدنى على الأعلى فنقول: كلام الذام للخلفاء ولغيرهم من الصحابة - من رافضى وغيره - هو من باب الكلام فى الأعراض، وفيه حق لله تعالى لما يتعلق به من الولاية والعداوة والحب والبغض، وفيه حق للآدميين أيضا. ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة - مثل الملوك المختلفين على الملك، والعلماء والمشايخ المختلفين فى العلم والدين - وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، ولا بجهل وظلم. فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرَّم مطلقا لا يباح قُط بحال، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ (المائدة ٨)... فإذا كان البغض الذى أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من يبغضه، فكيف فى بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس، فهو أحقُّ أن لا يُظلَم، بل يُعَدل عليه.

وأصحابُ رسول الله ﷺ أحق من عُدَل عليهم فى القول والعمل، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم. والظلم مما اتفق على ذمه وتقبيحه وذم أهله وبغضهم... والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقا: فى كل زمان ومكان، على كل أحد، ولكل أحد. والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبى ﷺ وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر، وهذا واجب علي الأمة فى كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية، قال تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ (النساء ٥٩) فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك... وقد قال النبى ﷺ: «**القضاة ثلاثة قاضيان فى النار، وقاض فى الجنة. فمن علم الحق وقضى به فهو فى الجنة، ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار، ومن قضى للناس على جهل فهو فى النار. وإذا حكم بعلم وعدل فإذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن النبي ﷺ من وجهين. وإذا وجب - فما شَجَر بين المؤمنين - أن لا يُتَكلَّم إلا بعلم وعدل، ويُرَدُّ ذلك إلى الله والرسول ﷺ،

فذاك فى أمر الصحابة أظهر. . . والرافضة سلكوا فى الصحابة مسلك التفرُّق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه، وعادوا بعضهم وغلوا فى معاداته. . . وهذا كله من التفرق والتشيُّع الذى نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام ١٥٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٥ - ١٠٧) قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنَّة وتسود وجوه أهل البدعة. . . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولاه الله أموركم**». والله تعالي قد حرم ظلم المسلمين - أحيائهم وأمواتهم - وحرَّم دماءهم وأموالهم، وأعراضهم. وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا. ألا هل بلغتُ، ؟ ألا ليُبلِّغ الشاهِدُ الغائبَ فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع**» وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب ٥٨) فمن آذى مؤمنا - حياً أو ميتا - بغير ذنب يوجب ذلك فقد دخل فى هذه الآية. ومن كان مجتهداً لا إثمَ عليه فإذا آذاه مُؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب. ومن كان مذنبا وقد تاب من ذنبه أو غفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة فآذاه مُؤْذ فقد آذاه بغير ما اكتسب. . . وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات ١٢)، وثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**الغيبَة ذكرُكَ أخاك بما يكره**». قيل: أرأيتَ إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال: «**إن كانَ فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه**». فمن رمى أحدا بما ليس فيه فقد بهته، فكيف إذا كان ذلك فى الصحابة ! ومن قال عن مجتهد: إنه تعمد الظلم أو تعمد معصية الله ورسوله ﷺ ومخالفة الكتاب والسنة - ولم يكن

كذلك- فقد بهته. وإذا كان فيه ذلك فقد اغتابه.

لكن يباح من ذلك ما أباحه الله ورسوله ﷺ، وهو ما يكون على وجه القصاص والعدل وما يُحتاج اليه لمصلحة الدين، ونصيحة المسلمين. فالأول قول المشتكى المظلوم فلان ضربنى وأخذ مالى ومنعنى حقى ونحو ذلك، قال الله تعالى: **﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾** (النساء ١٤٨) وقد نزلت فيمن ضاف قوما فلم يقروه، لأن قرى الضيف واجب كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فلما منعوه حقَّه كان له ذكرُ ذلك... وأما الحاجة مثل استفتاء هند بنت عتبة كما ثبت فى الصحيح أنها قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني وبَنِّي ما يكفينى بالمعروف، فقال النبى ﷺ: «**خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف**» أخرجاه فى الصحيحين من حديث عائشة، فلم ينكر عليها قولها، وهو من جنس قول المظلوم. وأما النصيحة فمثل قوله ﷺ لفاطمة بنت قيس - لما استشارته فيمن خطبها فقالت: خطبنى أبو جهم ومعاوية - فقال ﷺ: «**أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**» وفى لفظ: «**يضرب النساء، انكحى أسامة**» فلما استشارته فيمن تتزوَّج ذكر ما تحتاج إليه. وكذلك من استشار رجلا فيمن يعامله. والنصيحة مأمور بها ولو لم يشاوره، فقد قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة**» (ثلاثا). قالوا: لمن يا رسول الله ؟ - ﷺ - قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**».

وكذلك بيان أهل العلم لمن غلط فى رواية عن النبى ﷺ، أو تعمد الكذب عليه، أو على من ينقل عنه العلم. وكذلك بيان من غلط فى رأى رآه فى أمر الدين من المسائل العلمية والعملية. فهذا إذا تكلم فيه الإنسان بعلم وعدل وقصد النصيحة فالله تعالى يثيبه على ذلك، لاسيما إذا كان المتكلِّم فيه داعياً إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإنَّ دفْعَ شره عنهم أعظمُ من دفع شر قاطع الطريق.

وحكُم المتكلم باجتهاده فى العلم والدين حكُم أمثاله من المجتهدين. ثم قد

يكون مجتهدا مخطئا أو مصيبا، وقد يكون كل من الرجلين المختلفين - باللسان أو اليد - مجتهدا يعتقد الصوابَ معه، وقد يكونان جميعاً مخطئين مغفوراً لهما، كما ذكرنا نظير ذلك مما كـان يجرى بين الصحابة. ولهذا يُنهى عمـا شَجَرَ بين هؤلاء، سواء كانوا من الصحـابة أو من بعدهم، فإذا تشاجر مسلمان فى قـضية ومضت، ولا تعلُّقَ للناس بها، ولا يعرفون حـقيقتها، كان كلامهم فـيها كلاما بلا علم ولا عدل، يتـضمن أذاهم بغير حق، ولو عـرفوا أنهمـا مذنبان أو مخطئـان لكان ذكر ذلك - من غير مصلحة راجحة - من باب الغيبة المذمومة. لكن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أعظمُ حرمةً وأجلُّ قـدراً وأنزه أعراضاً، وقد ثبت من فضائلهم - خصوصاً وعموماً - ما لم يثبت لغيرهم، فلهذا كان الكلام الذى فيه ذمهم على ما شجر بينهم أعظمَ إثما من الكلام فى غيرهم.

فان قيل: فأنتم - فى هذا المقام - تسبون الرافضة وتذمونهم وتذكرون عيوبهم.

قيل: ذكرُ الأنواع المذمومـة غيرُ ذكر الأشخاص المعـينة، فإنه قد ثبت عن النبى ﷺ لَعْنُ أنواع كثيـرة... وقال الله تعالى: ﴿**أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**﴾ (الأعراف ٤٤ - ٤٥) فالقرآن والسنَّة مملوءان من ذم الأنواع المذمومة وذم أهلها ولعنهم، تحذيرا من ذلك الفعل وإخباراً بما يلحق أهله من الوعيد. ثم المعاصى التى يعرف صاحبها أنه عاص يتوب منها، **والمبتدع الذى يظن أنه على حق - كـالخـوارج والنواصب الذين نصـبـوا العداوة والحـرب لجمـاعة المسلمـين - ابتدعوا بـدعة وكفّـروا من لم يوافقـهم عليـها، فصـار بذلك ضررُهم على المسلمين أعظمَ من ضرر الظلمـة الذين يعلمون أن الظلم مـحرَّم... والرافضة أشـدُّ بدعة من الخوارج، وهم يكفّرون من لم تكن الخـوارج تكفّره كأبى بكر وعمر، ويكْذبون على النبىّ ﷺ والصحابة كـذبا ما كذب أحدٌ مثله، والخوارج لا يكذبون، لكن الخوارج كـانوا أصدقَ وأشجعَ وأوفى بـالعهد منهم فكانوا أكـثر قـتالا منهم، وهـؤلاء أكذب وأجبنُ وأغـدرُ وأذلّ، وهم يسـتعـينون بالكفـار على المسلمين كـمـا جرى لجنكزَ خـان ملك التـرك الكفـار، فإن الرافـضـة أعانتـه على المسلمين**، وأما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا

أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد[1] فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره باطنا وظاهرا، وكان وزير الخليفة ببغداد الذى يقال له ابن العلقمى منهم[2]، فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى فى قطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفتهم،

(١) وقد وصف مورخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساری في ص ٥٧٨ من كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف المخزى فقال فى ترجمة شيخهم **النصير الطوسى** ما نصه: «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم فى محروسة إيران هلاكو خان ابن تولى خان ابن جنكز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول ومجيئه فى موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد لارشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغى والفساد ، وإخماد ثائرة الجور والإلباس ، **بإبادة دائرة ملك بنى العباس** ، وإيقاع **(القتل العام)** من أتباع أولئك الطغام ، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها فى الماء دجلة ومنها الى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار» . فهو يعد مجيء شيخ الرافضة النصير الطوسى للسفاح الوثنى هلاكو خان من إيران الى بغداد إرشاداً للعباد وإصلاحاً للبلاد ، ويعترف بأن هذا الإرشاد والإصلاح **إنما كان بإيقاع (القتل العام) في عاصمة الإسلام التى كانت أعظم عواصم الدنيا يومئذ ، ويفتخر ميرزا محمد باقر الخونسارى الرافضى بسفك جيوش السفاح الوثنى لدماء المسلمين كأمثال الأنهار** ، ويرى أن شهداء المسلمين فى تلك المجزرة الوحشية مصيرهم إلى جهنم دار البوار ، ومعني هذا أن مصير هلاكو الوثني ومرشده الرافضى إلى الجنة دار القرار.

وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام منقولا بحروفه من اعتراف الخونسارى الرافضى الذى يعد (القتل العام) فى المسلمين من أمانى الرافضة ورغائبهم ، عاملهم الله بما يستحقون.

وكنا قد ألمعنا إلى ذلك في هامش ص ٢٠ ، ومست الحاجة الآن إلى نقل كلام الخونسارى بنصه.

(٢) هو محمد بن أحمد البغدادى **عرف بابن العلقمى (٦٥٦)** كان فى شبابه من أدباء الشيعة ، وتسامح معه أهل السنة فمكنوه من أن يتولى المناصب إلى أن بلغ رتبة الوزارة فى دولة بنى العباس فوليها أربعة عشر عاماً ، ووثق به المستعصم آخر الخلفاء العباسيين فألقى إليه زمام أموره. ولما دخلت جيوش هلاكو الوثنى بلاد إيران أرسل إليه ابن العلقمى يحرضه على قصد بغداد ، **وكان ابن العلقمى يأمل إذا سقطت الدولة العباسية بمساعيه أن تكون له يد عند هلاكو فيجيبه إلى إقامة إمام أو خليفة من الشيعة** ، فزحف هلاكو على بغداد فى مائتي ألف من التتار والكرج وسائر يأجوج ومأجوج ، ومثل ابن العلقمى دوره فى مخادعة الخليفة المستعصم وهون عليه الأمر ، فلما نزلت جيوش هلاكو فى شرقى بغداد وغربيها استأذن ابن العلقمى خليفته الخروج اليهم للتوسط فى الصلح، وبعد أن توثق الخبيث لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازه اليهم وخيانته لدولته عاد فزعم للخليفة أن هلاكو يرغب فى تزويج ابنته بالأمير أبى بكر ابن الخليفة ، وأن يكون الخليفة مع هلاكو كما كان الخلفاء السابقون مع السلجوقية ، ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة إلى الخروج لزيارة هلاكو، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ، فلما صاروا فى معسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم وبقيت الرعية بلا راع ، ثم دخلت يأجوج ومأجوج بغداد فوضعت السيوف فى الرقاب ، **واستمر القتل والسبى والنهب أربعين يوما ، ويقال إن هلاكو أمر بعد ذلك بإحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف وثمانمائة=**

وينهى العامة عن قـتالهم ويكيد أنواعا من الكيد، حـتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يقـال إنه بضعـة عشـر ألف ألف إنسان أو أكـثر أو أقل، ولم يُرَ فـى الإسلام ملحمة مثل ملحمـة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشـميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين. فهل يكون موالياً لآل الرسول ﷺ من يسلط الكفار علي قتلهم وسبـيلهم وعلى سائر المسلمين ؟ وهم يكذبون عل الحَجّـاج وغيره أنه قتل الأشراف، ولم يقتل الحـجاج هاشمياً قط مع ظلمه وغشمـه، فإن عبد الملك نهـاه عن ذلك، وإنما قتل ناسـاً من أشـراف العرب غـير بنى هاشم، وقـد تزوج هاشمية - وهى بنت عبد الله بن جعفـر - فما مكنه بنو أمية من ذلك وفرقوا بينه وبينها وقالوا: ليس الحجّاجُ كفئا لشريفة هاشمية.

والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد. لكن ليسوا فى ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء: فالمعتزلة أعقل منهم وأعلـم وأدْيَن، والكذب والفجور فيهم أقل منه فى الرافـضة. والزيدية - من الشـيعـة - خيرٌ منهـم وأقرب إلى الصـدق والعدل

=ألف والذى لم يحـصـوه أضعـاف ذلك. وقد وصف تقى الدين بن أبى اليـسر هذه المجزرة الهمـجية بقصيدة منها:

يا زائرين إلى الـزوراء لا تفـدوا ... فما بذاك الحمى والـدار ديـار
تاج الخلافة والربع الذى شرفت ... به المعالم قد عفـاه إقفـار
فكم حريم سبته الترك غاصبه ... وكان من دون ذاك السـتر استار
وكم ذخائر أضحت وهى شائعة ... من النهاب وقد حـازته كفـار
وكم حدود أقيمت مـن سيوفهم ... على الرقاب وحطـت فـيه أوزار
ناديت والسبى مهـتوك تجـرهم ... إلى السفـاح من الأعداء دعـار:
يا نار قلبى من نار لحـرب وغى ... شبت عليه ووافـى الربع اعصار

أما عدو الله ابن العلقمى فخابت آماله كلها فى إقامة الملك أو الإمامة للروافض ، واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كمملوك من المماليك ، حتى أثر عنه أنه كان ينشد:

وجرى القضاء بعكس ما أملته

ثم مات كمدا لا رحمه الله. **وهذا البلاء الأعظم الذى وقع فى دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتـار الوثنيين هو الذى وصفـه مؤرخ الشيـعة الخونسـارى بلسان الشمـاتة والابتهاج مـعلنا أنه ومن على شاكلته من طائفته منحازون إلى صفوف الكفار ، ومـعادون لجماعة المسلمين كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.**

والعلم. وليس فى أهل الأهواء أصدقُ ولا أعْبَدُ من الخوارج، ومع هذا[١] فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقا كما تقدم. بل أهل السنة - لكل طائفة من هؤلاء - خير من بعضهم لبعض، بل هم الرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض. وهذا مما يعترفون هم به ويقولون: أنتم تنصفوننا مالا ينصف بعضنا بعضا.

وهذا لأن الأصل الذى اشتركوا فيه أصل فاسد مبنى على جهل وظلم. وهم مشتركون فى ظلم سائر المسلمين فصاروا بمنزلة قطاع الطريق المشتركين فى ظلم الناس. ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعْدَلُ عليهم وعلى بعضهم من بعض. والخوارج تكفّر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفّرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة. ومن لم يكفِّر فسّق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيا ويكفّرون من خالفهم فيه. وأهلُ السنة يتبعون الحق من ربهم الذى جاء به الرسول ﷺ، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق كما وصف الله به المسلمين بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١١٠) قال أبو هريرة: كنتم خير الناس للناس. وأهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس.

وقد عُلم أنه كان بساحل الشام جبل كبير[٢] فيه ألوف من الرافضة يسفكون

(١) أى ومع هذا الذى تقدم ذكره من نصبهم العداوة لجماعة المسلمين وتكفيرهم من لم يوافقهم.

(٢) هو جبل الجرد وكسروان ، فإن أهله مؤمن معهم من الرافضة انتهزوا فرصة هجوم غازان بالتتار على دمشق فى الحوادث التى سنلخصها فى التعليق الآتى ، فأعلنوا فساد نيتهم وعقائدهم وضلالهم ، وعاملوا من اجتاز ببلادهم من العساكر والأهالى لما كسرهم التتار كما يعامل العدو ، فوثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيرا منهم. فلما أنقذ الله الديار الشامية من بلاء التتار واستتبت الأمور خرج نائب السلطنة جمال الدين أقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان ، وخرج شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة (كما جاء فى البداية والنهاية ١٤: ١٢) فجاء رؤساؤهم إلى شيخ الإسلام فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير ، وردوا ما كانوا أخذوه من أموال الجيش والتزموا طاعة الدولة وأحكام الملة. وكان خروج الأفرم وشيخ الإسلام فى ٢٠ شوال ، وعادوا يوم الأحد ١٣ ذى القعدة سنة ٦٩٩.

دماء الناس ويأخذون أموالهم. ولما انكسر المسلمون سنة غازان[1] أخذوا الخيل

(١) سنة غازان هى سنة ٦٩٩. وغازان (٦٧٠ - ٧٠٣) هو أخو خدا بنده (٦٨٠ - ٧١٦) الذي ألف له الرافضى الكتاب المردود عليه، وقد تقدم التعريف به وبأسلافه فى التعليق علي خطبة هذا الكتاب (ص ١٨). والواقعة التى أشار اليها شيخ الإسلام هى أن دمشق كانت فى ذلك الحين تابعة للمملكة المصرية وكان ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون الذى عاد من منفاه بالكرك بعد قتل المنصور لاجين فى السنة الماضية (٦٩٨)، وكان نائب السلطان المصرى فى دمشق وبلاد الشام أقوش الأفرم بعد أن فر سلفه سيف الدين قبجق المنصورى إلى إيران والتحق بملكها غازان المذكور، فوردت الأخبار فى أواخر سنة ٦٩٨ بزحف غازان من إيران نحو حلب، وعلم بذلك الناصر محمد بن قلاوون فخرج من مصر إلى غزة فى محرم ٦٩٩ ولبث فيها شهرين يستعد ويراقب حركات غازان. وفى ربيع الأول ٦٩٩ وصل الناصر إلى دمشق وكان الوقت شتاء (ديسمبر ١٢١٩ م) فتمون من دمشق بالرجال والأمول والعتاد حتى افترضوا أموال الأيتام، وزحف إلى الشمال، فالتقى بالتتار فى وادى سلمية يوم ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩ وكانت ملحمة انكسرت فيها جيوش الناصر محمد بن قلاوون وواصل غازان زحفه فاستولى على بعلبك والبقاع، فنزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون الملك الناصر في انسحابه وبقيت دمشق بلا رعاة، والتف **الشاميون حول شيخ الإسلام ابن تيمية يطلبون منه الخروج لمقابلة غازان وطلب الأمان منه للشعب، فأجابهم شيخ الإسلام إلى ذلك**، ولأنه كان يتوقع الغدر من التتار أراد أن تبقى للأمة قوة احتياطية، فخلا بالأمير أرجواش ونصح له بإحكام الحصار في داخل القلعة، وأمره أن لا يمكن التتار منها إلا اذا تمكنوا من نقضها حجراً حجرا، ثم خرج مع الشاميين لملاقاة غازان يوم الإثنين ٣ ربيع الآخر ٦٩٩ فلقيه عند بلدة النبك، وكلمه شيخ الإسلام كلاما قويا شديدا أشار إليه الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية (١٤: ٧) ثم عاد (فى ١٤: ٨٩) ففصله كما سمعه من الشيخ الصالح العابد الناسك أبى عبد الله محمد بن عمر البالسى (٦٥٠ - ٧١٨) الذى كان مع القضاة والعلماء والصالحين فى صحبة شيخ الإسلام لمقابلة غازان. قال ابن كثير: فحكى (أى البالسى) أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال لغازان وترجمانه يترجم له كلام الشيخ: **«أنت تزعم أنك مسلم، ومعك مؤذنون، وقاض. وإمام، وشيخ - علي ما بلغنا - فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهد قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت»**. قال الشيخ أبو عبد الله البالسى: **وجرت لابن تيمية مع غازان وقطلوا شاه وبولاء أمور ونوب قام ابن تيمية فيها كلها الله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل**. قال: وقرب أمير التتار إلي الجماعة طعاماً فأكلوا منه، إلا ابن تيمية. فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ قال: ثم إن غازان طلب منه الدعاء، فقال ابن تيمية فى دعائه «اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك العليا وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد. وإن كان قد قام رياء وسمعة وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هى العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره» وغازان يؤمن على دعائه ويرفع يديه. قال عبد الله البالسى: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدم ابن تيمية إذا أمر بقتله. فلما خرجنا قال له قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا. فقال: وأنا والله لا أصحبكم. قال: فانطلقوا عصبة، وتأخر هو فى خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه. فتسامعت به الخواقين والأمراء أصحاب غازان، فأتوه يتبروكون=

والسلاح والأسارى وباعوهم للكفار والنصارى بقبرص وأخذوا من مرّ بهم من

=بدعائه وهو سائر الى دمشق ، ووالله ما وصل إلى دمشق إلا فى نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وكنت أنا فى جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه ، فخرج عليهم جماعة من التتار فشلحوهم (أى سلبوهم ثيابهم وما معهم) عن آخرهم. قال ابن كثير (١٤ : ٧) **وكان كلام شيخ الإسلام مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ، وحضر الفرمان إلى دمشق بالأمان. وفى ثانى يوم من المناداة** بالأمان أنشأ التتار ديوانا فى المدرسة القيمرية سموه (ديوان الاستخلاص) وبدأوا بطلب الخيول والسلاح والأموال المخبأة عند الناس من جهة الدولة ، ثم وصل سيف الدين قبجق المنصورى - الذى كان التحق بالتتار - فعينوه نائبا على الشام وحاول قبجق إقناع نائب القلعة بأن يسلمها ، فامتنع وصمم على الدفاع. وفي نصف ربيع الآخر شرع التتار ومن معهم من أرمن وكرج وغيرهم بالنهب فأحرقوا جامع التوبة ونهبوا الصالحية وبغوا على مدارسها وعلمائها وقتلوا من أهلها أربعمائة وأسروا نحو أربعة آلاف أسير منهم سبعون نسمة من ذرية الشيخ أبى عمر أخى الإمام الموفق صاحب المغنى والمقنع. وفى يوم الخميس ٢٠ من ربيع الآخر خرج شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ملك التتار لينصح له بالكف عن الظلم ، فحجبه عنه الوزير سعد الدين ومشير الدولة المسلمانى (وهو ابن يهودى) واستمر النهب والقتل والاغتصاب حتى بلغ ما أغتصبوه فوق عشرة آلاف فرس ، وفرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الأسواق ، ونصبوا المجانيق فى مسجد بنى أمية ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، ونزل التتار فى الجامع وغلقوا أبوابه وأخذوا ينهبون ما حوله من الأسواق. وفى ١٩ جمادى الأولى ترك قازان نوابه فى دمشق ومعهم ستون ألف مقاتل بولاى وعاد من طريق العراق. وأعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، بل تحول المرابطون فيها عن الدفاع إلى الهجوم فخرجوا بعد سفر غازان ونائبه قطلوا شاه فدخلوا مسجد بنى أمية وكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة فيه ، وعادوا إلى القلعة بعد أن صحبوا معهم بعض أنصار التتار وعلى رأسهم محمد بن محمد بن أحمد بن المرتضى أخى الرضى (أى ابن حفيد المرتضى) وكانوا يسمونه الشريف القمىء واستمر الفساد والنهب والاغتصاب ، فنقل علم الدين البرزالى عن ابن المنجا أن ما حمل إلى خزانة غازان من دمشق وضواحيها بلغ ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم سوى التراسيم والبراطيل، وأن شيخ مشايخهم حصل له نحو ستمائة ألف درهم ، والأصيل ابن عدو الله النصير الطوسى حصل له مائة ألف. وأبيحت الخمارات ومواخير الزنا فكان دخل سيف الدين قبجق من ذلك وحده ألف درهم فى كل يوم غير ما نهب من أوقاف المدارس. وكان فى مخيم القائد بولاى أسرى كثيرون **فخرج اليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أوائل رجب وخاطبه في فكاك هؤلاء الأسرى وتمكن من استنقاذ كثيرين منهم ، وأقام شيخ الإسلام عند بولاى ثلاثة أيام ثم عاد.** وفى هذه الحقبة وردت الأخبار بخروج العساكر المصرية قادمة إلى دمشق فرحل عنها بولاى بمن كان معه من جيوش غازان ، وبقيت دمشق بلا حكومة ، فخرج أرجواش من القلعة وتعاون مع شيخ الإسلام ابن تيمية ونظما حرساً أهليا يسهر بالأسلحة على الأسوار ، **وكان شيخ الإسلام يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط وأعيدت الخطبة لصاحب مصر بعد أن خطب لغازان مائة يوم كاملة. ثم خرج شيخ الإسلام فدار على الحانات والمواخير فأبطلها. وعاد من مصر نائب دمشق جمال الدين أقوش الأفرم ومعه الجيش الشامى ، ووصل بعده بقية الجيش ، وانتهت هذه المحنة فى أواسط شعبان سنة ٦٩٩.**

الجند وكـانوا أضرَّ على المسلمين من جـميع الأعـداء، وحمل بعض أمـرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيما خير، المسلمون أو النصارى ؟ فقال: بل النصارى . فقالوا له: مع من نحشر يوم القيامة ؟ فقال: مع النصـارى . وسلموا إليـهم بعض بلاد المسلمين. ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر فى غزوهم، وكتبتُ جواباً مبسوطا فى غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم، وحضر عندى جماعة منهم وجرت بينى وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم وتمكن المسلمون منهم نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم، وأنزلناهم فى بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا. فما أذكره فى هذا الكتاب فى ذم الرافضة وبيان كذبهم وجهلهم قليل من كثير مما أعرفه منهم، ولهم شرٌّ كثير لا أعرف تفصيله.

ومصنف هـذا الكتاب[1] وأمثاله من الرافضة إنما نقـابلهم ببعض ما فعلوه بأمة محمد ﷺ سلفها وخلفها، فإنهم عمدوا إلى خيار أهل الأرض من الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين، وإلى خير أمة أخرجت للناس، فافتروا عليهم العظائم، وجعلوا حسناتهم سيئات، وجاءوا إلى شرّ من انتسب إلى الإسلام من أهل الأهواء - وهم الرافضة بأصنافها غاليها، وإماميها، وزيديها - والله يعلم وكفى بالله عليما ليس فى جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شرٌّ منهم: لا أجهل، ولا أكذب، ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق الإيمان منهم، فزعموا أن هؤلاء هم صفوة الله من عباده ! فإن ما سوى أمة محمد ﷺ كفار، وهؤلاء كفَّروا الأمة كلها أو ضللوها، سوى طائفتهم التى يزعمون أنها الطائفة المحقة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، فجعلوهم صفوة بنى آدم ! فكان مثلهم كمن جاء إلى غنم كثيرة فقيل له: أعطنا خير هذه الغنم لنضحى بها، فعمد إلى شر تلك الغنم: إلى شاة عوراء، عجفاء، عرجاء، مهزولة لا نِقْيَ لها[2] فقال: هذه خيار هذه الغنم لا تجوز الأضحية إلا بها، وسائر هذه الغنم ليست غنما وإنما هى خنازير يجب قتلها ولا تجوز الأضحية

(١) يعنى ابن المطهر الرافضى المردود عليه.

(٢) النقى: مخ العظام. والمنقية: السمينة.

بها، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «**من حمى مؤمنا من منافق حمى الله لحمه من نار جهنم يوم القيامة**» . وهؤلاء الرافضة إما منافق وإما جاهل، فلا يكون رافضى ولا جهمى إلا منافقا أو جاهلا بما جاء به الرسول ﷺ، لا يكون فيهم أحد عالما بما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان به، فإن مخالفتهم لما جاء به الرسول ﷺ وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط فى الجهل والهوى. وشيوخهم المصنفون فيهم طوائف يعلمون أن كثيرا مما يقولونه كذب، ولكن يصنفون لهم لرياستهم عليهم. وهذا المصنف[1] يتهمه الناس بهذا، ولكنْ صنفً لأجل أتباعه. فإن كان أحدهم يعلم أن ما يقوله باطل، ويُظهره ويقول إنه حق من عند الله، فهو من جنس علماء اليهود الذين ﴿**يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾. (البقرة ٧٩). وإن كان يعتقد أنه حق دلّ ذلك على نهاية جهله وضلاله...

ولما قال السلف: إن الله أمر بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبَّهم الرافضة كان هذا كلاماً حقا. وكذلك قوله ﷺ فى الحديث الصحيح: «**لا تسبُّوا أصحابى**» يقتضى تحريمَ سبهم. مع أن الأمر بالاستغفار للمؤمنين والنهى عن سبهم عام[2]: ففى الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» وقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (الحجرات ١١).

---

(١) يعنى ابن المطهر الرافضى المردود عليه.

(٢) والرافضة إذا سهوا عن التقية ينكرون على الصحابة - بل على الصفوة منهم - أنهم مؤمنون، ولذلك لا يرون أنهم مأمورون بالاستغفار للصحابة. وانظر التعليق فى ص ٦٦ من هذا الكتاب على ما قاله أحدهم - بلا تقية - فى قول الله عز وجل (الفتح ١٨) ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ فلما فضحت مجلة الأزهر (م ٢٥ ص ٧٢٩ - ٧٣٢) هذا الموقف المخزى بكلمة عنوانها «التشكيك فى إيمان أبى بكر وعمر» لجأ الرجل إلى التقية ولكن عندما أدركه الغرق، وأعلن أن التشكيك فى إيمان أبى بكر وعمر كفر، ولم يستطع أن يبرئ نفسه من أنه ارتكب هذا الكفر بأكثر وأثقل مما تحتمله كلمة «التشكيك».

فقد نهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، واللمز: العيب والطعن، ومنه قوله تعالي: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة ٥٨) أى يعيبك ويطعن عليك... وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهُمزة ١)... وإذا قال المسلم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر ١٠) يقصد كلَّ من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ فى تأويلٍ تأوَّله فخالف السنة، أو أذنب ذنبا، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل فى العموم وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة. فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً، بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين. والنبى ﷺ لم يخرجهم من الإسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل أنهم يخلدون فى النار.

فهذا أصل عظيم ينبغى مراعاته، فإن كثيراً من المنتسبين إلى السنَّة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج. وأصحاب رسول الله ﷺ - عليٌّ بن أبى طالب وغيرُه - لم يكفِّروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحَرَوْراْء[1] وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم عليٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه: إن لكم علينا أن لا نمنعكم من مساجدنا ولا حقَّكم من الفىء. ثم أرسل اليهم ابنَ عباس فناظرهم فرجع نحوُ نصفهم ثم قاتل الباقى وغلبهم، ومع هذا لم يَسْبِ لهم ذرّية ولا غنم لهم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة فى المرتدين كمسيلمة وأمثاله... وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: كنت عند على حين فرغ من قتال أهل النَّهْرَوان[2] فقيل له: أمشركون هم ؟ قال: من الشرك فرّوا. فقيل: أمنافقون ؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم ؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم... فقد صرَّح على رضى الله عنه بأنهم مؤمنون ليسوا كفارا ولا منافقين، وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس - كأبى اسحاق الاسفراينى ومن اتبعه - يقولون: لا نكفّر إلا من يكفّرنا. فإن الكفر ليس حقا لهم، بل هو حق لله، وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه، ولا أن

(١) قرية فى ظاهر الكوفة على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليا فنسبوا إليها.

(٢) كورة واسعة بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى كان بها وقعة لأمير المؤمنين على مع الخوارج.

يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، لأن هذا حرام لحق الله، ولو سبَّ النصارى نبينا ﷺ لم يكن لنا أن نسبَّ المسيح. والرافضة إذا كفّروا أبا بكر وعمر فليس لنا أن نكفّر عليا... روى سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه [الباقر] قال: سمع على يوم الجمل - أو يوم صفين - رجلا يغلو فى القول، فقال: لا تقولوا إلا خيرا، إنما هم قوم زعموا أنّا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم... وعن مكحول أن أصحاب علىّ سألوه عمن قُتل من أصحاب معاوية ما هم ؟ قال: هم المؤمنون... وعن عبد الواحد بن أبى عون قال: مرَّ علىٌّ - وهو متكىء على الأشتر - على قتلى صفين، فإذا حابس اليمانى مقتول[1] فقال الأشتر: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حابس اليمانى معهم يا أمير المؤمنين، عليه علامة معاوية، أما والله لقد عهدته مؤمنًا. قال علىٌ: والآن هو مؤمن.

وكان السلف متفقين على تقديم أبى بكر وعمر حتى شيعة علىّ رضى الله عنه. وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال: قدم أبو اسحاق السُّبيعى الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا اليه، فتحدثوا. فقال أبو إسحاق: **خرجتُ من الكوفة وليس أحدٌ يشكّ فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما، وقدمتُ الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدرى ما يقولون**[2] ... وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال: سميت ليث بن أبى سليم

(١) هو حابس بن ربيعة اليمانى ، له صحبة ، وكان بعد من العباد ، قتل بصفين مع معاوية. ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة (١: ٢٧٢) وأشار إلى خبر عبد الواحد ابن أبى عون الذى رواه شيخ الإسلام.

(٢) **هذا نص تاريخى عظيم في تحديد تطور التشيع ، فإن أبا إسحق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها** ، ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين ، وعمر حتى توفى سنة ١٢٧ ، وكان طفلا فى خلافة أمير المؤمنين على. **وهو يقول عن نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت على بن أبى طالب يخطب أبيض الرأس واللحية**. ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر وعمر ، ومتى أخذوا يفارقون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أنقى وأطهر أزمانها. **ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا علي عقيدتهم الأولى في=**

يقول: **أدركتُ الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحداً**[1]. وقال أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال: حبُّ أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجلّ تابعى الكوفة وكذلك قال طاوس... وقد روى ذلك عن ابن مسعود. وكيف لا تُقدِّم الشيعةُ الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر. وقد رُوى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا. وقد روى البخاريُّ عنه فى صحيحه من حديث الهَمْدانيين - الذين هم أخصُّ الناس بعلى حتى كان يقول:

ولو كنتُ بّواباً على باب الجنة لقلتُ لِهَمْدانَ ادخلى بسلام

فقد رواه البخاريُّ من حديث سفيان الثورى وهو همدانى ، عن منذر وهو همدانى[2] عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى : يا أبت مَن خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال: يا بُنَى أو ما تعرف ؟ فقلت: لا. قال: أبو بكر. فقلت: ثم مَن ؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية. ويرويه عن أبيه خاصة. وقاله على المنبر. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حَدَّ المفترى. وفى السنن عنه ﷺ أنه قال **«اقتدوا باللذَيْنِ من بعدى: أبى بكر وعمر»**.

ولهذا كان أحد قولى العلماء - وهو إحدى الروايتين عن أحمد - أن قولهما إذا اتفقا حجةٌ لا يجوز العدول عنها، وهذا أظهر القولين. كما أن الأظهر أن

=أبى بكر وعمر كما كانوا عليه مع علي إلى مدة التحكيم ، والشيعة نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول ، أى فى أواخر حياة أبى إسحاق السبيعى .

(١) ليث بن أبى سليم القرشى الكوفى راوى هذا الخبر هو أحد العلماء النساك ، أدرك عكرمة وأخذ عنه، وهو من شيوخ معمر وشعبة والثورى ، وامتاز بأنه أعلم أهل الكوفة بالمناسك توفى ١٤٣.

(٢) وأبو اسحاق السبيعى الذى تقدم خبره هو أيضاً همدانى نشأ وعاش فى بيئة همدان تحت سماء الكوفة منذ كان علىّ إمامها إلى القرن الثانى للهجرة.

اتفاق الخلفاء الأربعة أيضا حجة لا يجوز خلافها لأمر النبى ﷺ باتباع سنتهم. وكان نبينا ﷺ مبعوثا بأعدل الأمور وأكملها، فهو الضحوكُ القتّال، وهو نبىُّ الرحمة ونبىُّ الملحمة. بل أمته موصوفون بذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ (الفتح ٢٩) وقوله تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(المائدة ٥٤) فكان النبى ﷺ يجمع بين شدَّة هذا ولين هذا، فيأمر بما هو العدل وهما يطيعانه فتكون أفعالهما على كمال الاستقامة، فلما قبض الله نبيه وصار كلٌّ منهما خليفة على المسلمين خلافةَ نُبُّوة كان من كمال أبى بكر رضى الله عنه أن يولى الشديد ويستعين به ليعتدلَ أمرٌ ويخلط الشدَّة باللين، فإن مجرَّد اللين يُفسد ومجرَّة الشدَّة تُفسد، ويكون قد قام مقام النبى ﷺ، فكان يستعين باستشارة عمر، وباستنابة خالد ونحو ذلك، وهذا من كماله الذى صار به خليفةَ رسول الله ﷺ، ولهذا اشتدَّ فى قتال أهل الردَّة شدَّة برَّز بها على عمر وغيره، حتى روُى أن عمر قال له: يا خليفة رسـول الله ﷺ تَألَّف الناسَ. فقال: علامَ أتألَّفُهم ؟ أعلى حديث مُفترًى أم على شعر مُفتعَل ؟ وقال أنس: خَطَبنا أبو بكر عقيب وفاة النبى ﷺ وإنّا لكالثعلب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسُود. وأما عمر رضى الله عنه فكان شديداً فى نفسه، فكان من كماله استعانته باللين ليعتدلَ أمرُه: فكان يستعين بأبى عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة الثقفى والنعمان بن مقرّن وسعيد ابن عامر وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد الذين هم أعظمُ زهداً وعبادة من مثل خالد ابن الوليد وأمثاله.

ومن هذا الباب أمر الشورى ، فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان كثير المشاورة للصحابة فيما لم يتبين له فيه أمرُ الله ورسوله، فإن الشارعَ نصوصُه كلمات جوامع وقضايا كلية وقواعد عامة يمتنع أن ينصَّ على كل فرد من جزئيات العالـَمَ إلى يوم القيامة، فلابُد من الاجتهاد فى المعيَّنات هل تدخل فى كلماته الجامعة أم لا ؟ وهذا الاجتهاد يسمى (تحقيق المناط) وهو مما اتفق عليه الناس كلهم - نفاةُ القياس ومُثْبته - فإن الله إذا أمر أن يُسْتشهدَ ذَوَا عَدْل فكون الشخص المعيَّن من ذوى العدل لا يُعلم بالنص العامّ، بل باجتهاد خاصّ. وكذلك إذا أمر أن

تُؤَدّى الأمانـاتُ إلى أهلها، وأن تُوَلى الأمـورُ مَن يصلح لها فكون هذا الـشخص المعيَّن صالحـاً لذلك أو راجحاً على غيره لا يمكن أن تـدلَّ عليه النصوص، بل لا يعْلم إلا باجتهاد خاصّ.

والرافضيُّ إن زعم أن الإمام يكون منصوصا عليه وهو معصوم فليس هو أعظمَ من الرسول ﷺ ونوابه وعمّاله ليسـوا معصومين. ولا يمكن أن ينصَّ الشارع علي كل معينة، ولا يمكن النبى صلى الله عليه وسلم ولا الإمام أن يعلم الباطن في كل معينة. . . وأما عليٌّ رضى الله عنه فظهور الأمر فى الجـزئيات بخلاف ما ظنَّه كثيرٌ جدا. فعُلم أنه لابد من الاجتـهاد فى الجزئيات من المعصومين وغـير المعصومين. وفى الصـحيح عن النبى ﷺ أنه قـال: «**إنكم تختـصمون إليَّ ولـعلَّ بعضكم أن يكون ألحَنَ بحجته من بعض، وإنما أقضى بنحو مما أسمع، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئا فـلا يأخذه، فأنما أقطعُ له قطعة من النار**». فحكمه فى القضية المعينة إنما هو باجتهاده، ولهذا نهى المحكومَ له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر.

وعمرُ رضى الله عنه إمام، وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد فى ذلك ورأى أن هؤلاء الستّة أحقُّ من غيـرهم، وهو ما رأى ، فإنه لم يقل أحد إن غيرهم أحقُّ منهم، وجـعل التعيين إليهم خوفاً أن يعين واحـداً منهم ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهـر له رجحان السـتة دون رجحـان التعيين، وقـال: الأمر فى التعيين إلـى الستة يعينون واحداً مـنهم. وهذا أحسن اجتهـاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضى الله عنه. وأيضا فقد قال تعالي: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورى ٣٨) وقـال: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ (آل عمران ١٥٩) فكان مـا فعله من الشورى مصلحة، وما كان فعله أبو بكر رضى الله عنـه من تعيين عمر هو المصلحة أيضا، فإن أبا بكر تبين له من كمال عـمر وفضله واستحقاقه للأمر مـا لم يحتجْ معه إلى الشـورى ، وظهر أثر هذا الرأى المبارك الميـمون على المسلمين: فإن كل عـاقل منصف يعلم أن عثـمان أو علياً أو طلحة أو الزُّبَيـر أو سعداً أو عبـد الرحمن بن عوف لا يقوم مـقام عمر، فكان تعـيينُ عمر فى الاستـحقاق كتـعيين أبى بكر فى

مبايعتهم له. ولهذا قال عبد الله بن مسعود: أفرسُ الناس ثلاثة[1]، بنت صاحب مَدْيَن حيث قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ (القصص ٢٦)، وامرأة العزيز حيث قالت: ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص ٩)، وأبو بكر حيث استخلف عمر.

وقالت عائشة رضى الله عنها فى خطبتها: «أبى وما أبى، والله لا تَعطوه الأيدى[2]. ذاك طَوْد منيف[3]، وفرع مديد. هيهات، كذَبت الظنون. أَنْجحَ إذ أكْدَيْمّ [4]، وسَبَقَ إذ ونَيْتُم[5] سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأَمَد [6]. فتى قريش ناشئا، وكهفُها كهلا: يفكُّ عانيها[7]، ويَريش مُمْلقها[8]، ويَرْأَبُ شَعْبَها[9]، حتى جلبته[10] قلوبها. ثم استَشرَى فى دينه[11] فما برحت شكيمته فى ذات الله تعالى تشتدّ [12] حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطلون[13]. وكان رحمه الله غَزِيَر الدمعة، وقيذَ الجوانح[14]، شَجِى التَّشيج[15]، فتتقصف عليه

(١) أفرس: من الفراسة.

(٢) أى لا تبلغه فتتناوله.

(٣) جبل شامخ.

(٤) ظفر إذا خبتم. وأكدى: أصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية فلا يمكنه الحفر فيتركه.

(٥) ونيتم: فترتم ونصرتم.

(٦) الأمد: الغاية.

(٧) العانى: الأسير، والخاضع المستكين.

(٨) يكسو فقيرها ويعينه.

(٩) الرأب: جمع الشيء وشده برفق. ومنه قول على يصف أبا بكر أيضا «كنت للدين رأبا». والشعب: الفرقة، وتشعب الناس: تفرقوا، أرادت أنه رضى الله عنه كان يجمع متفرق أمر الأمة وكلمتها.

(١٠) لعل فى هذا اللفظ تحريفا.

(١١) أى جد فيه وقوى واهتم به.

(١٢) يقال: رجل شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أبيا قويا. وأصله من شكيمة اللجام، فإن قوتها تدل على قوة الفرس.

(١٣) تشير الى المسجد الذى أقامه أبوها رضى الله عنهما فى ساحة منزله بمكة قبل الهجرة فكان من أعظم وسائل الدعاية للإسلام.

(١٤) أى محزون القلب، كأن الحزن قد كسره وضعفه. والجوانح تجن القلب وتحويه فأضافت الوقوذ اليها. والوقذ فى الأصل: الضرب المثخن والكسر.

(١٥) الشجو: الحزن. والشجى: المحزن والتشيج: الصوت الذى يتردد في الحلق. أرادت أنه كان يحزن من يسمعه يقرأ.

نسوان مكة وولدانها[1] يسخرون منه ويستهزئون به ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

فأكبرتْ ذلك رجالات قريش فحَنَتْ له قسيها[2]، وفوَّقَتْ له سهامها[3] وانتبلوه غرضا[4] فما فلوا له صفاة[5]، ولا قصفوا له قناة. ومرَّ على سِيسائه[6]، حتى إذا ضرب الدينُ بجوانه[7] وألقى بَركه[8]، ورَسَت أوتادُه، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتا[9]، اختار الله لنبيه ﷺ ما عنده. فلما قبض الله نبيه ﷺ، ضرب الشيطان رَوْقَه[10] ومدَّ طُنُبه[11] ونصب حَبائله[12]. فظنَّ رجالٌ أنْ قد تحققت أطماعُهم، ولاتَ حينَ الذى يرجون[13]، وأنىَّ والصدِّيقُ بين أظهُرهم، فقام حاسرا مشمرا، فجمع حاشيته وضمَّ قُطْرَيه[14]، فردَّ نَشْرَ الإسلام على غَرِّه[15]، ولمَّ شَعثَه بطبه[16]، وأقام أودَهَ بِثقافه[17] فوقذ النفاق بوطأته[18]

(١) أى يزدحمون لمشاهدته في عبادته وتلاوته.

(٢) أى وترتها استعدادا لمكافحته.

(٣) فوق السهم: موضع الوتر منه. وفوقت: سددت. ومن كلام على بن أبى طالب يصف أبا بكر رضى الله عنهما. كنت أخفظهم صوتا وأعلاهم فوقا. أى أكثرهم نصيبا وحظا من الدين، استعاره من فوق السهم أى موضع الوتر منه.

(٤) أى اتخذوه هدفا لنبالهم.

(٥) أى عجزوا عن أن يكسروا له حجا. أرادت به الكناية عن قوته فى الدين.

(٦) سيساء الظهر من الدواب: مجتمع وسطه، وهو موضع الركوب.

(٧) الجران: باطن العنق. أى قر قراره واستقام. وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض.

(٨) البرك: الصدر.

(٩) أرسالا: جماعات متقطعة يتبع بعضهم بعضا.

(١٠) الروق والرواق: ما بين يدى البيت.

(١١) الطنب: الحبل الذى تشد بأمثاله أطراف الخيمة.

(١٢) أى مصايده، وأحدها حبالة (بكسر الحاء).

(١٣) لات: كلمة معناها ليس، وزعموا أنها «لا» زيدت عليها التاء.

(١٤) أى جمع جانبيه. وكانت فى منهاج السنة طبعة بولاق (٣: ١٦٤): ورفع فطرته وصححناها من النهاية لابن الأثير (مادة قطر).

(١٥) يقال طوى الثوب على غره الأول: أى كما كان مطويا.

(١٦) لم شعثه: جمع ما تفرق من أمره.

(١٧) الأوه: العوج. والثقاف تقويم المعوج.

(١٨) وقذ النفاق: كسره ودمغه.

وانتاش الدينَ بنَعْشه[1]، فلما أراح الحقَّ على أهله[2]، وقرَّر الرءوس على كواهلها، وحقن الدماء فى أُهُبِها[3]، أتته مَنِيَّته، فسُد ثَلْمُه بنظيره فى الرحمة وشَقِيقه فى السيرة والمعدلة، ذاك ابنُ الخطاب، لله أمٌّ حفلتْ له ودَرَّتْ عليه، لقد أوحَدَتْ به. فقبَّح الكفر، وشرَّد الشرك شَذَرَ مَذَر، وبعج الأرض وبخعها[4] فقاءت أكُلها، ولفظتْ خبيئها، تَرْأمه ويَصدُّ عنها، وتَصَدَّى له ويأباها، ثم ورع فيها وودَّعها كما صحبها. فأرونى ما تريبون، وأىَّ يومَىْ أبى تنقمون: أيومَ إقامته إذ عدل فيكم ؟ أم يوم ظعنه وقد نظرَ لكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم». روى هذه الخطبة جعفر بن عون عن أبيه عن عائشة، وهؤلاء رواة الصحيحين.

وأما عمر رضى الله عنه فرأى الأمر فى الستة متقارباً [5]]. صحَّ عنه أنه قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منى - يعنى أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ منى - يعنى النبى ﷺ. والخلاف مازال في القراءات والفقه وغير ذلك، حتى إن العالم الواحد يقول قولين مختلفين، ومازالت آراء الكبار تختلف. وثبت أن النبى ﷺ قال فى بعض المغازى: «**إن يطع القومُ أبا بكر وعمر يرشدوا**» وروى عنه أنه قال لهما: «**لو اتفقتما على شىء لم أخالفكما**» وقال: «**اقتدوا باللذين من بعدى أبو بكر وعمر**» فما فعله أبو بكر من استخلافه عمرَ كان المصلحة لكمال عمر وشفوقه واستحقاقه، وظهر أثر ذلك عند كل عاقل منصف. وكان ما فعله عمر هو المصلحة، فإنه لم يترجح عنده أحد من الستة على الباقين، ورآهم متقاربين، وفي كل فضيلة ليست فى الآخر، وتركَ التعيين خوفاً وورعا، وفعل من المصلحة بحسب الإمكان.

ثم إن الصحابة اجتمعوا على عثمان، وكانت ولايته أرجحَ مصلحةً وأقلَّ

(١) انتاش الدين: تناوله واستنقذه وأخذه من مهوانه.

(٢) أى رده إليهم.

(٣) جمع إهاب وهو الجلد قبل الدبغ.

(٤) أى شقها وأخضعها ، كنت بذلك عن فتوحه.

(٥) آخر ما بدأنا من ص ٣٥٨ نقله عن الأصل المطبوع ببولاق ٣: ١٥٨ - ١٦٤.

مفسدة من غيره، والواجب أن يقدم أكثر الأمرين مصلحة وأقلهما مفسدة، ولا يجب على الخليفة أن يستخلف بعد موته، فقال: الأمر شورى بين هؤلاء الستة الذين تُوفيَ رسول الله ﷺ وهو عنهم راض

قال[1] «وأما عثمان فإنه ولَّى من لا يصلح، حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة[2] وقسم الولايات بين أقاربه وعوتب فلم يرجع، واستعمل الوليد بن عقبة[3] فصلى بالناس سكران[4]، واستعمل سعيد بن العاص علي الكوفة فظهر منه ما أدَّى إلى إخراجه منها[5]، وولى عبد الله بن [سعد بن] أبى سرح مصر

(1) أى الرافضى المردود عليه.

(2) كل ماعزاه أعداء الصحابة إلى ذى النورين رضوان الله عليه أورده القاضى أبو بكر ابن العربى وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله ، ومن ذلك تألف كتاب (العواصم من القواصم) الذى علقنا عليه بما لم يترك مقالا لقائل. فارجع اليه لتطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد ﷺ وخاصة أحبابه ، فإن أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التى انتشرت وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة.

(3) انظر التعريف بالوليد بن عقبة فى العواصم من القواصم ص ٨٥ - ٨٧ و ٩٠ - ٩٣.

(4) انظر لهذه الأسطورة التعليق على العواصم من القواصم ص ٩٤ - ٩٩ ، وستعجب بعد الاطلاع على الحقائق التاريخية هناك كيف أن الأمة الإسلامية ذهبت ضحية لشرذمة من الطغاة الخارجين على أعدل عصور الإسلام وأسعدها منذ كذبوا ثم كذبوا حتى انخدع الناس بأكاذيبهم فظنوا سحرها حقيقة، ولكن ما لبثت الوقائع أن تبينت كما هى : فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

(5) كان سعيد بن العاص فى الذروة العاليا من فصحاء قريش ، وندبه عثمان عند كتابة القرآن فأقيمت عربية القرآن على لسانه ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ وبلغ من صدق إيمانه أن قال له عمر يوماً أنا لم أقتل أباك ، وإنما قتلت خالى العاص بن هشام فقال له سعيد: ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل. وسعيد بن العاص هو فاتح طبرستان وغزا جرجان وكان فى عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة. وحسبه شرفا ما رواه عبد الله بن عمر ابن الخطاب أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ ببردة فقالت: إنى نذرت أن أعطى هذه البردة لأكرم العرب. فقال لها ﷺ: **«أعطيها لهذا الغلام»** وهو واقف. (وكان هذا الغلام هو سعيد بن العاص المجاهد الفاتح الذى يعير الرافضى أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة) فإن لم تكن إقامة القرآن على لسان سعيد بن العاص مفخرة عند الرافضة فشهادة ﷺ له بأنه أكرم العرب من أعظم مفاخر الدنيا والدين ، إلا أن له عيبا وهو أنه أحد الذين أخرجوا إيران من المجوسية إلي الإسلام بتسجيل التاريخ له أنه فاتح طبرستان وقائد كبار الصحابة فى غزو جرجان. وأحاديثه فى صحيح مسلم وسنن النسائى وجامع الترمذى. ولكن الرافضة لا تعبأ بصحيح مسلم ولا بجميع دواوين السنة المحمدية ما دامت مكتفية بأكاذيب كتابهم الذى يسمونه الكافى. ومن مفاخر سعيد

فظلم، وتشكوا منه[1]، فكاتبه سراً أن يستمرَّ على ولايته، وأن يقتل محمد بن

بن العاص التي= =يموت الرافضة بسببها كمدا وحنقا ما أخرجه الطبراني من طريق محمد بن قانع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ عاد سعيد بن العاص ، فرأيته يكمده بخرقة. وأراد بعضهم أن يصرف هذه المنقبة إلي جد سعيد بن العاص - وهو أيضا يسمى سعيد بن العاص - لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا فى مكة قبل الهجرة وجد سعيد بن العاص مشرك ، فإن صح أن النبى ﷺ فعل ذلك بجد سعيد بن العاص الأموى وهو مشرك فيكون ذلك من باب المودة فى القربى لأنهما من بنى عبد مناف ، وسب الرافضة للأمويين من بنى عبد مناف فى جاهليتهم وإسلامهم ينافى ما كان يحتج اليه النبى ﷺ من أسباب المودة فى القربى التى تقدم الكلام عليها في هذا الكتاب (ص ٢٥٣) لمناسبة ما كان النبى ﷺ يبادل به أبا سفيان فى الجاهلية من أسباب هذه المودة العائلية. وعلى ذكر حديث البردة التى نذرت إحدى الصحابيات أن تعطيها لأكرم العرب فأمرها النبى ﷺ أن تعطيها لسعيد بن العاص وكان غلاماً بعد ، فإن هذا الحديث من أعلام النبوة ، وقد اكتشف النبى ﷺ بنور الوحى الإلهى أن سعيدا سيكون أكرم العرب، روى ابن أبى خيثمة من طريق يحيى بن سعيد قال: قدم محمد بن عقيل بن أبى طالب على أبيه فقال له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أمى ، وحسبك بسعيد بن العاص وقال معاوية: كريمة قريش سعيد بن العاص. وكان مشهوراً بالكرم والبر ، حتى كان إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطورا ، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوقاها عنه ولده عمرو الأشدق. ومن معالى أخلاقه ما رواه صالح بن كيسان قال: كان سعيد بن العاص حليما وقورا، وكان إذا أحب شيئا أو أبغضه لم يذكر ذلك ويقول: إن القلوب تتقلب ، فلا ينبغى للمرء أن يكون مادحاً اليوم غائبا غدا . وهذا هو الأموى الذى يعير الرافضى أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة ، مات سعيد بن العاص فى قصره بالعقيق سنة ٥٣.

(١) عبد الله بن سعد بن أبى سرح صحابى من بنى عامر بن لؤى من قريش ، كان أخا أمير المؤمنين عثمان من الرضاعة: استجار له عثمان يوم فتح مكة فأجاره ﷺ وحسن إسلامه وكان من عظماء المجاهدين الفاتحين. ولما أراد الله إدخال مصر فى الأسرة الإسلامية كان ابن أبى سرح فى طليعة الصحابة الذين أكرمهم الله بهذا الجهاد ، فكان صاحب الميمنة فى الحرب مع أبى عبد الله عمرو بن العاص ، وكانت له مواقف محمودة فى الفتوح. وبعد أن استتب الأمر لأصحاب رسول الله ﷺ فى وادى النيل اختط ابن أبى سرح لنفسه خطة فى بقعة الجهاد المباركة حول الفسطاط الذى قام عليه أول مسجد للأسلام فى مصر. وذكره ابن سعد في تسمية من نزل مصر من الصحابة. ونقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٢: ٣١٧) ما رواه البرقى فى تاريخه عن أبى صالح كاتب الليث بن سعد أن الليث قال «كان ابن أبى سرح علي الصعيد فى زمن عمر ، ثم ضم اليه عثمان مصر كلها ، وكان محموداً فى ولايته» . وهذه الحقيقة التى يقررها الليث بن سعد إمام مصر وعظيمها تكذب الرافضى فيما افتراه على هذا المجاهد الفاتح. وكانت إمارة ابن أبى سرح على مصر كلها سنة ٢٥. وفى سنة ٢٧ افتتح إفريقية كلها وكان ذلك من أعظم الفتوح ، بلغ فيه سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، وكان العبادلة على جلالتهم تحت قيادته فى هذا الجهاد. وبعد أن فتح الله له شمال إفريقية واصل جهاده سنة ٣١ فى غزاة الأساود ، وفى سنة ٣٤ فى ذات السوارى . ثم وقعت الفتنة فى المدينة بتطاول البغاة على أمير المؤمنين عثمان ، فكتب ابن أبى سرح إلى عثمان يستأذنه فى القدوم إلى المدينة من طريق العريش والعقبة ، واستخلف على مصر=

أبى بكر[١] وولى معاوية الشام، فأحدث من الفتن ما أحدث[٢].

وولى [عبدَ الله] بـن عامر [بن كريز] البصـرة ففعل من المناكـر ما فعل[٣]

=السائب بن هشام بن عميـر ، وقبل أن يصل إلى المدينة بلغه خبر شهادة أمير المؤمنين عـثمان فعاد يريد مصر ، فـوجد محمد بـن أبى حذيفة متغلبـا عليها ومنعه ابن أبى حـذيفة من دخول مصـر فمضى إلى فلسطين واختار الإقامة بين عسقـلان والرملة ، واعتزال الناس الى سنة ٥٧ ، روى البغوى بإسناد صحيح عن يزيد بن أبى حبيب قال: «خرج ابن أبي سرح الى الرملـة ، فلما كان عند الصبح قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبـح ، فتوضأ ثم صلى ، فسلم عن يمينه ، ثم ذهب يسلم عن يسـاره فقبض الله روحه. يرحمه الله». وذكر البخارى هذا الخبر من هذا الوجه.

(١) سبق لنا في التـعليق علي كتـاب العواصم من القواصم (ص ١٠٩ - ١١٠ وص ١٢٦ - ١٢٩) تحـقيق علمى عن الكتاب المنسوب الى عثمان أو مروان ليرسل الى ابن أبى سرح ، واستنكار علي بن أبى طالب عودة العـراقيين من طريقـهم عند عودة المصريين مـن طريقهم الآخر كـأنهما كـانا على ميـعاد ، مع أن العرقـيين لا علم لهم بالكتـاب الذى قبض المصـريون على حامله ، فلمـا استنكر عـلى عودة العـراقيين أجابوه: ألم ترسل أنت كـتاباً الينا تطلب به منا الرجوع الى المدينة ؟ فـخلف لهم علي أنه لم يكتب لهم كتـابا ولا علم له به. وبذلك ظهر أن هناك كتـابين لا كتاب واحـد: أحدهما أرسل من طريق العـراقيين مزوراً على لسان على ، والآخر أرسل من طريق المصريين مزوراً على لسان عثمان. ومن غير المعقول أن يكتب عثـمان أو مروان بذلك الكتـاب إلى ابن أبى سرح وهما يعلمـان أنه كان قد استـأذن بالقدوم إلى المدينة ، وأنه عند ظهور الكتابين المزورين كان فى الطريق بـين فلسطين والمدينة ولعله بلغ العقبة ، فكيف يكتان اليه فى مصر وهو ليس فى مصر ؟ ! ومن الأحـداث التى لم ينتبه المؤخرون لدخائلها أن اثنين من كبار زعـماء الثورة على عثـمان - وهما الأشتـر وحكيم ابن جبلة - تخلفا في المدينة عند رحـيل الثوار العراقين والمصريين الى بلادهم ، وليس هناك أى داع لتخلفهما إلا الاحتيال لإعادة الثوار واستئناف المهمة التي جاءوا لأجلها وهى قـتل أمير المؤمنين عثمـان ، فالمعقول أنهما اللـذان زورا الكتابين على لسان على وعلى لسان عثمان ، وهمـا اللذان استأجرا أعرابيين وبعيرين من إبل الصدقـة وأرسلا بأحد الكتابين إلى العراقيين وهم فى طريق الشرق ، وبالآخر الى المصريين وهم فى طريق الساحل من ناحية الغرب ، وكان ذلك نرد الثوار جميعـا وإعادة الفتنة جذعة بعد ان سكنت و ليس لغيرهمـا مصلحة في رد الثوار وتجديد الفتنة وانظرتفصيل هذا التحقيق التاريخى فى تلك المواضع من كتاب العواصم من القواصم.

(٢) انظر ما تقدم فى ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، وسيأتى الكلام عن معاوية قريبا.

(٣) وأهم المناكر التى فعلها - فى نظـر مجوس هذه الأمة - قضاؤه الأخير على الدولة الكسـروية ، فقد قتل يزدجرد آخر ملوك فارس في إمارة عبد الله بن عامر بن كـريز. وعبد الله بن عامر عبشمى الآباء هاشمى الخئولة ، فإن أم أبيـه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبـد المطلب بن هاشم عمة النبى ﷺ، ولما ولد أتى به الى النبى ﷺ فقال لبنى عـبد شمس «هذا أشبه بنا منه بكم». وجعل يتفل عليـه ويعوذه ، فجعل الطفل يبتلع ريق النبي ﷺ ، فقال ﷺ: «إنه لمسقى» فكان ابن عامر لا يعالج فى حياته أرضا إلا ظهر له الماء. وهو أول من اتخذ الحياض بعرفـة ، وأجرى اليها العين. وكان جواداً شجاعا ميـمون النقيبة. ولاه عثمـان البصرة بعد أبى مـوسى الأشعرى سنة ٢٩ ، ثم ضم اليـه فارس بعد عثمـان بن أبى العاص ،=

وولى مروان ودفع اليه خاتمه، فحدث من ذلك قتله[1]. وكان يؤثر أهله بالأموال

=فافتتح ابن عامر خراسان كلها ، وأطراف فارس ، وسجستان ، وكرمان وغيرها حتى بلغ أعمال غزنة. فلما تمت لـه هذه الفتوح العظيـمة للاسـلام قال: لأجعلن شكرى لله عـز وجل أن أخرج من مـوضعى محرمـاً بالحج ، فأحرم من نيسـابور (وكانت أشهر الحج فى ذلـك الحين توافق أشهر الشتـاء) ، فما زال مسافراً وهو فى إحـرامه حتى بلغ الحجاز ، فلما قدم على أمـير المؤمنين ذى النورين لامه رضى الله عنه على ما صنع وقـال له: غررت بنسكك. وقدم معـه من هذه الفتوح بأموال عظيـمة فرقها أمـير المؤمنين عثمان في المهاجـرين والأنصار ، واستعان بها علي مواصلة الجهاد والفتـوح. فهذه طائفة من المناكر التى فعلهـا عبـد الله بن عامر ابن كـريز فى نظر خلفاء المجـوس. ومن العجيب أن يـكون هؤلاء المجاهدون الفاتحـون مذمومين من أمثـال الرافضى المردود عليه وأن يكون هلاكو ونـسله الى خدابنده ممدوحين منهم ومرضيا عليهم. ولا غرو ، فان المرء يحشر مع من أحب. وهذا الانتكاس قبل أن يكون مرضا فى الدين فهو مرض فى العقل ومرض فى الأخلاق. والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه.

(١) يشير بقوله «ودفع إليه خـاتمه» الى الكتاب المزور علي عثمان ، وقد تقدم فى الصفحـة السابقة أن الأشتر قائد ثوار الكوفة وحكيم بن جـبلة قائد ثوار البصرة - لما غلبا على أمـرهم بإذعان جماعتهمـا واقتناعهم بحجج أمير المؤمنين عثمان ، فرحل الثوار جميعا من عراقيين ومصريين ، وتوجه العراقيون شرقا قاصدين العراق ، والمصريون غربا قاصدين مصر - تخلف الأشتر وابن جبلة فى المدينة ولم يسافرا الى بلديهما ، وبعد أيام وصل - في وقت واحـد - راكبان أحدهما لحق بقـافلة المصريين وصار يقوم بحـركات بهلوانية مريبة فيتراءى لهم حتى إذا تحقق أنهم رأوه يتظاهر بالاختفاء منهم ، فلما سألوه عن شأنه أظهر لهم كتاباً مختوما بخاتم كخاتم عثمان وزعم أنه ذاهب الى عـبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر وفي الكتاب أمر له بقتل محمد بن أبى بكر. وفى الوقت الذى ظهر فيه هذا الرجل المريب لقافلة المصريين في الطريق الغربي وصل إلى قافلة العراقيـين فى الطريق الشرقى رجل آخر يحمل اليهم كتاباً مختـوماً بخاتم كخاتم عل بن أبى طالب يأمرهم فيه بالعودة إلى المدينة ، فلما رجع الفريقان إلي المدينة خرج لهما علي وأفاضل الصحابة ليعلموا سبب عودتهما - بعد أن صرف الله الشر عن مدينة الرسول ﷺ برحيلهما عنها - فذكر لهم جماعة مصر أمر الكتاب المنسوب إلى عثمان ، وقال على للعراقيين: وأنتم ماذا رجع بكم ؟ قالوا : ألم تكتب أنت كتـابا لنا تأمرنا فيـه بالعودة ؟ فخلف لـهم بالله أنه لم يكتب لهم ، ولا علم له بذلك. فتبين أن الكتابين مكذوبان على عثمان وعلي رضى الله عنهما، لاسيما وأن عثمان ومروان يعلمان أن ابن أبى سرح ليس فى مصر ، وأنه اسـتأذن الخليفة بالمجىء إلى المدينة ، فكيف يكتب اليه عـثمان أو مروان إلى مصر وهمـا يعلمان أنه ليس فى مصر ؟ ومروان أنبل من أن يخـون أمانة أدنى الناس ، فكيف يخون أمانة أمير المؤمنين عثمان فى خاتمه وأدق شئون خـلافته. وإذا كان خاتم عثمان قد زوره مروان فمن الذى زور خاتم علي ؟ والرافـضة تعلم أن مـروان موضع ثقة أمـثال زين العابدين على بـن الحسين فى أحكام الدين ، وزين العابديـن أحد الذين يروون عن مروان ، روى ذلك الحـفاظ والأئمة وآخـرهم الحافظ ابن حجر في الإصـابة. وترى تفصيل ذلك في طبقـات الشافعيـة الكبرى للتاج السبكى فى ترجـمة اللغوى الشهير أبى منصور محمـد بن أحمد بن الأزهر صاحب تهذيب اللغة (٢٨٢ - ٣٧٠). وممن نص الحافظ ابن حجر علي روايته عن مروان: سعيد بن المسيب رأس علمـاء التابعين. وإخوانه من الفقهاء السبعة أبو بكر بن عبد الـرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، وعـبيد الله بنعبـد الله بن عتبة بن مـسعود ، =

الكثيـرة، حتى دفع إلى أربعة زوجهم بناته أربعـمائة ألف دينار[١]. وكـــان ابن مسعود يطعن عليه ويكفّر[٢] ولما حكم ضربه حتى مات[٣]، وضرب عماراً حتى صار به فتق، وقد قال النبى ﷺ عمار جلدة بين عـينى تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتى (٤)، وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله ﷺ الحكَمَ عمَّ عثمان فـآواه عثمان إلى المدينة[٥] ونفى أبا ذر إلى الربَذَة وضربه[٦] مع قول النبى ﷺ: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذى لهـجة أصـدق من أبى ذر. وضـيع الحدود، فلم يقـتل عـبيـد الله بن عمـر بالهرمزان مولى أمير المؤمنين[٧] وأراد أ لا يحدَّ الوليد على الخمر حتى حدَّه علىٌّ

=وعروة بن الزبير ، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفارى المدنى فقيه أهل دهلك وكان ممن يصوم الدهر ، وكعبد الله بن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ. وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان في كتاب الوكـالة من صحيح البخارى (ك ٤٠ ب ٧ - ج ٣ ص ٦٢) وفى مسند الإمـام أحمد (٣: ٣٢١ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٥: ١٨٩) ورواية عراك عن مروان نقلها إمام أهل مصر الليث بن سعد عن يزيد بن حبيبة في مسند أحمد (٤: ٣٢٨) ورواية عـبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان فى مسند أحمد (٦: ٣١٧ و ٣٢٣). بل في رواة أحاديث مـروان عبـد الرزاق إمام اليمن وكـانت فيه نزعـه تشيع. فـاذا كان مروان موضع ثقة جميع هؤلاء لأئمة الأعـلام من زين العابدين على ابن الحسين إلي عبد الرزاق بن همام الصنعانى ، فما على أى مسلم إذا سمع من رافضى قالة السوء فى مروان إلا أن يضرب بها وجهه ويمضى فى سبيله.

(١) تقدم فى ص ٣٧٠ قول عثمان فى الأموال التى أعطاها لذوى قرباه أنها من صلب ماله.

(٢) مع أن الثابت عن ابن مسعود فى عثمان قوله فيه رضى الله عنهما «ولينا أعلانا ذا فوق ،، ولم نأل».

(٣) لو كان لكلمـة الزور تخرج من فم صاحـبها رائحـة كرائحة الخـمر فى فم السكيـر المدمن لبقى إلى يوم القيامة نتن رائحـة هذه الكذبة التى افتراها الرافضة على ابن مسـعود وإمامه عثمان رضـوان الله عليهما. وانظر العواصم من القواصم ص ٦٣ - ٦٤.

(٤) انظر العواصم من القواصم ص ٦٤ - ٦٦.

(٥) سيأتى الكلام على هذا. وانظر العواصم من القواصم ص ٧٧ - ٧٩.

(٦) هذا كذب ، والذى فـي تاريخ ابن خلدون (بقيـة ج ٢: ١٣٩) أن أباذر استأذن عـثمـان في الخروج من المدينة وقال «ان رسول الله ﷺ أمـرنى أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا» فـأذن له ونزل الربذة وبنى بها مسجدا. وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقا. وكان يتعاهد المدينة. وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال. قال ياقوت: وكانت من أحسن منزل فى طريق المدينة.

(٧) أمير المؤمنين على لم يكن له علم بهذا الولاء الذى اخترعـه له مجوس هذه الأمة مع مليكهم الهرمزان ، وإنما هى مرتبة اكتسبها الهرمزان من مجوس هذه الأمة لتآمره مع باب شجاع الدين على قتل مثال العدالة في تاريخ الإنسانية كلها. وانظر لقتل عبيد الله بن عـمر الهرمزان كتاب العواصم من القواصم ص ١٠٦ - ١٠٨.

وقال: لا يبطل حدٌّ الله وأنا حاضر[١]. وزاد الأذان يوم الجمعة وهى بدعة[٢] وخالفه المسلمون حتى قُتل وعابوا أفعاله[٣] وقالوا له: غبتَ عن بَدْر[٤]. وهربتَ يوم أحد[٥]، ولم تشهد بيعة الرضوان[٦]. والأخبار فى ذلك أكثر من أن تحصى».

والجواب: أن نّواب علىٍّ قد خانوه وعصموه [أكثر مما خان عمال عثمان له وعصوه[٧]] وذهب بعضهم إلى معاوية. وقد ولىَّ [علىٌّ رضى الله عنه[٧]] زياد [بن أبى سفيان أبا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين[٧]] وولى الأشتر، وولى محمد بن أبى بكر، ومعاويةُ خيرٌ من هؤلاء [كلهم. ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان ما يدعون أن علياً كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولى

(١) انظر ص ٩٤ - ٩٩ من كتاب (العواصم من القواصم).

(٢) لما زاد عدد السكان في المدينة مست الضرورة إلى ذلك.

(٣) الذين خالفوه وقتلوه هم البغاة ، والذين دافعوا عنه أمثال الحسن والحسين.

(٤) غاب عن بدر لأن زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة مرض الموت فأمره رسول الله ﷺ بالتخلف في المدينة لتمريضها وقال له «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه». وأمر أسامة بن زيد بأن يكون معه ، فلما تم للمسلمين النصر ببدر أرسل رسول الله ﷺ ببشرى النصر ببدر إلى عثمان. قال أسامة: فوافانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ.

(٥) ما وقع يوم أحد أمر اشترك فيه الكثيرون ، واختلف في تعيين من ثبت ومن بقي ، وقد عفا الله ورسوله ﷺ عن ذلك فلا يحل لمسلم ذكر ما أسقطه الله ورسوله ﷺ.

(٦) تغيب عثمان عن بيعة الرضوان لأن النبي ﷺ أرسله سفيراً إلى قريش بمكة ، بعد أن عرض هذه السفارة على عمر فقال له عمر: يا رسول الله ، ليس بمكة من بنى عدى ابن كعب أحد يمنعنى ، ولكنى أدلك على رجل هو أعز منى فيها: عثمان بن عفان. فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى أشراف قريش ، ولو كان فى المسلمين رجل أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه. وبسبب هذه السفارة الأولى فى تاريخ الإسلام احتبس عثمان بمكة أياما. فشاع الخبر بأن سفير النبى ﷺ إلى مكة قتل ، فدعا النبى ﷺ الصحابة إلى بيعة الرضوان ليناجز المشركين انتصاراً لعثمان ، فبيعة الرضوان رمز من رموز الشرف لعثمان ، وأى شرف أعظم من أن تجتمع قوى الإسلام كلها بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر صهر رسول الله ﷺ الحبيب إلى المسلمين والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين. ثم لما علم النبى ﷺ فى اللحظة الأخيرة التى اجتمع فيها الصحابة لعقد بيعة الرضوان أن سفيره وصهره حى مضى فى إتمام البيعة ، وكان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله ﷺ نابت عن يد عثمان فى عقد البيعة عنه فقال ﷺ بيده اليمنى «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده ، وقال «هذه لعثمان». وهذه المنقبة العليا التى لا منقبة تضارعها فى تاريخ الإسلام يتخذها الرافضة وسيلة للعيب على عثمان ! وهذه هى حقيقة الرفض ، ولو لم يفعلوا ذلك لم يكونوا رافضة.

(٧) عن الأصل ٣: ١٧٣.

أقاربه من بنى أمية[1]] وعليّ ولّى أقاربه [من قِبَل أبيه وأمه[1]] كعبد الله وعبيد الله ابنى عمه العباس [وقُثَم بن العباس وثمامة ابن العباس. وولى على مصر ربيبه محمد بن أبى بكر[2] الذى رباه فى حجره [1]] وولد أخته أم هانىء [3] [ثم إن الإمامية تدَّعى أن عليا نصَّ على أولاده فى الخلافة[4]... ومن المعلوم أنه إن كان تولية الأقربين منكرا فتولية الخلافة العظمى أعظم من إمارة بعض الأعمال، وتولية الأولاد أقرب إلى الإنكار من تولية بنى العم... وإذا ادُّعى لعلى العصمة ونحوها مما يقطع عنه ألسنة الطاعنين كان ما يُدَّعى لعثمان من الاجتهاد الذى يقطع ألسنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول[5]]. وأما عثمان فله أسوة فى استعمال بنى أمية بالنبى ﷺ، فقد استعمل عتّابَ بن أسيد الأموى على مكة، وأبا سفيان على نجران، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص، حتى إنه استعمل الوليد بن عقبة حتى نزلت ﴿إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ الآية[6] [فيقول عثمان: أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبى ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده، فقد ولى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان بن حرب فى فتوح الشام، وأقرَّه عمر، ثم ولى عمر بعده أخاه معاوية. وهذا النقل عن النبى ﷺ فى استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه، بل متواتر عند أهل العلم، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبي ﷺ أظهرَ عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة فى واحد معين من بنى هاشم بالنص، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل، وذاك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل[7]] وأما بنو هاشم فلم

---

(١) عن الأصل ٣: ١٧٣.

(٢) وقد تزوج أمه بعد وفاة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه.

(٣) هو جعدة بن أبى هبيرة المخزومى، ولاه على خراسان كما فى الإصابة ١: ٢٥٧.

(٤) هذا كذب منهم على أمير المؤمنين على، وقد أوردنا فى التعليق علي (العواصم من القواصم) ص ١٩٨ - ١٩٩ النصوص عنه فى ذلك.

(٥) عن الأصل ٣: ١٧٣ - ١٧٤.

(٦) فى (العواصم من القواصم) ص ٩٠ - ٩٢ تحقيق علمى فى الروايات التى ذكرها المفسرون عن سبب نزول هذه الآية وسقوط كل ما استدلوا به على الوليد فيها.

(٧) عن الأصل ٣: ١٧٦.

يستعمل النبى ﷺ منهم إلا عليا على اليمن وجعفر على غزوة مؤتة مع مولاه زيد وابن رواحة.

ثم نحن لا ندَّعى أن عثمان معصوم، بل له ذنوب وخطايا يغفرها الله له، وقد بشَّره رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى / تصيبه. والرافضىُّ يغلو فى الشخص حتى يجعل ذنوبه حسنات، ويعمد إلى الشخص فينسى سوابقه التى وجبت له بها الجنة ويعدِّد ذنوبه، وهذا عين الظلم. وقد اتفقت الأمة على أن الذنوب تمحى بالتوبة، وما يمكن أحداً أن يقول إن عثمان ما تاب من ذنوبه. وهنا آيات وأحاديث دالة على أن الله يغفر الذنوب جميعا، وأن الصلوات تكفّر، وغير ذلك. فإن قيل إذا كفَّرت الصلوات ما بينها فأى شىء تكفّر الجمعة أو رمضان أو صوم عرفة أو عاشوراء ؟ [وبعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجد ما تكفِّره من السيئات. فيقال[1]] أولا العمل الذى يمحو الله به الخطايا هو المتقبَّل، واللهُ تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة ٢٧) والناسُ لهم فى الآية ثلاثة أقوال، فالخوارج والمعتزلة يقولون: لا يتقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر، ويقولون: صاحب الكبائر لا تقبل له حسنة بحال. والمرجئة يقولون: من اتقى الشرك فهو من المتقين وإن عمل الكبائر وترك الصلاة. والسلف والأئمة يقولون: لا يتقبل الله إلا ممن اتقاه فى ذلك العمل ففعله كما أمر به مخلصا. قال الفُضَيل [بن عياض[2]] فى قوله: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ (هود ٧ والملك ٢) قال: أخلصه وأصوبه. قال: فان العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبَّل، وإذا كان صوابا لم يكن خالصا لم يتقبَّل، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وفى السنن عن عمار عن النبى ﷺ: «**إن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربُعها** - حتى قال - **إلا عشرها**». وقال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. وكذلك الحج والجهاد والصوم.

---

(١) عن الأصل ٣: ١٨١ وكان مكانه فى مختصر الذهبى بياض.

(٢) عن الأصل ٣: ١٨١.

فالمحو والتكفير يقع بما يتقبَّل. والسعيد من أكثر الناس مَن يكتب له نصف صلاته فيكفَّر بما يقبل منها وما يقبل من الجمعة ورمضان. والمحو يكون للصغائر تارة وتارة للكبائر باعتبار الموازنة. وفى حديث صاحب البطاقة أنها ترجح بكل ذنوبه[1] فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق وعبودية وذلّ كما قالها هذا الرجل، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولونها. وكذلك المرأة / البَغىّ التى سقت الكلب بموقها بإيمان خالص فغفر لها، وما كل بَغىّ سقت كلبا يُغفر لها بذلك. وإن الرجلين ليكونان فى الصلاة وبين صلاتهما كما بين المشرق والمغرب. وقال عليه السلام فى أصحابه: «**لو أنفق أحدُكم مثل أُحُد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه**». وقال أبو بكر بن عياش. ما سبقَهم الصدّيق بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشىء وَقَرَ فى قلبه. وفى مسلم عن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه رفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجومُ أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَد. وأنا أَمَنَةٌ لأصحابى، فاذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدون. وأصحابى أَمَنَةٌ لأمّتى، فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون**». وفى الصحيح قال عليه السلام: «**ليأتينّ على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس(٢)، فيقال: هل فيكم من صحب النبى ﷺ ؟ فيقال: نعم. فيفتح لهم. . . [ثم يأتى على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم**». والثلاث الطبقات متفق عليها فى جميع الطرق[3]] وأما الطبقة الرابعة فمذكورة فى بعض طرق الصحيح. وقد ثبت ثناؤه عليه السلام على القرون الثلاثة فى عدة أحاديث.

---

(١) وهو فى الترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: «**يصاح برجل من أمتى يوم القيامة على رءوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل فيها مد البصر فيقال. هل تنكر من هذا شيئا ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: لا ظلم عليك. فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله. فيقول: أين تقع هذه البطاقة من هذه السجلات ؟ فتوضع هذه البطاقة فى كفة والسجلات فى كفة، فثقلت البطاقة وطاشت السجلات**».

(٢) الفئام: الجماعة الكثيرة.

(٣) عن الأصل ٣: ١٨٣.

والمقصود أن فضل الأعمال ليس بمجرَّد صُوَرها، بل بحقائقها فى القلوب. [والناس يتفاضلون فى ذلك تفاضلا عظيما، وهذا مما يحتَجُّ به من رجَّح كلاً واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم، فإن العلماء متفقون على أن جملة الصحابة أفضلُ من جملة التابعين، لكن هل يفضل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم، ويفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز ؟ ذكر القاضى عياض وغيره فى ذلك قولين: وأن الأكثر يفضلون كل واحد من الصحابة، وهذا مأثور عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما. ومن حجة هؤلاء أن أعمال التابعين وإن كانت أكثر، وعدل عمر بن عبد العزيز أظهر من عدل معاوية وهو أزهد من معاوية، لكن الفضائل عند الله بحقائق الإيمان الذى فى القلوب، وقد قال النبى ﷺ: **«لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه»**.

قالوا: فنحن قد نعلم أن أعمال بعضِ مَن بعدَهم أكثرُ من أعمال بعضهم، لكن من أين نعلم أن ما فى قلبه من الإيمان أعظم مما فى قلب ذلك، والنبى ﷺ يخبر أن جبل ذهب من التابعين الذين أسلموا بعد الحديبية لا يساوى نصف مُدٍّ من السابقين. ومعلوم فضل النفع المتعدى بعمر بن عبد العزيز: أعطى الناس حقوقهم وعدل فيهم، فلو قُدّر أن الذى أعطاهم ملكه وقد تصدَّق به عليهم لم يعدل ذلك مما أنفقه السابقون إلا شيئا يسيرا، وأين مثل جبل أُحد ذهبا حتى ينفقه الإنسان، وهو لا يصير مثل نصف مُد ؟ ولهذا يقول من يقول من السلف: غبار دخل فى أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل عمر بن عبد العزيز. وهذه المسألة تحتاج إلى بسط وتحقيق ليس هذا موضعه، إذ المقصود هنا أن الله سبحانه مما يمحو به السيئات الحسنات، وأن الحسنات تتفاضل بحسب ما فى قلب صاحبها من الإيمان والتقوى: وحينئذ فيعرف أن من هو دون الصحابة قد تكون له حسنات تمحو مثل ما يذم من أحدهم، فكيف الصحابة ؟[1]].

ومن أسباب التكفير الدعاء للمؤمن، والصلاة عليه بعد موته، والاستغفار له، أو استغفار النبى ﷺ لمعيَّن. ومن ذلك ما يفعل بعد [موت] المؤمن من إهداء

(١) عن الأصل: ١٨٣ - ١٨٤.

عمل صالح له كصدقة وحجّ وصوم، فقد ثبت فى الحديث وصول ذلك إليه. وهذا غير دعاء ولده فان ذلك من عمله ومن كسبه. ومن ذلك مصائب الدنيا فإنها تكفّر كما تواترت بذلك النصوص.] وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال « **سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة: سألته أن لا يهلك أمتى بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلّط عليهم عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**» . وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ (الأنعام ٦٥) قال النبى ﷺ «أعوذ بوجهك» ﴿**أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ قال النبى ﷺ: «**أعوذ بوجهك**» ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ قال: «**هذا أهونُ وأيسر**». فهذا أمرٌ لابد منه للأمة عموماً.

الصحابةُ رضى الله عنهم كانوا أقلَّ فتَناً من سائر من بعدهم[1]**، فإنه كلما تأخر العصر عن النبّوة كثر التفرّق والخلاف**، ولهذا لم يحدث فى خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرّق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج الكفرين لعلى، وبدعة الرافضة المدّعين لإمامته وعصمته أو نبوّته أو إلاهيته[2]. ثم لما كان فى آخر عصر الصحابة فى إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقَدَرية. ثم لما كان فى أول عصر التابعين - فى أواخر الخلافة الأمويّة - حدثت بدعة الجهمية والمشبّهة الممثّلة. ولم يكن على عهد الصحابة شىء من ذلك. وكذلك فتن السيف، فان الناس كانوا فى ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدوّ، فلما مات معاوية قتل الحسين[3]، وحوصر ابن الزبير بمكة، ثم جرت فتنة الحرَّة بالمدينة[4]، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة، ثم جاء

---

(١) وهم ومن بعدهم من طبقات هذه الأمة المحمدية أقل فتنا وأهون بلاء مما وقع بين أهل الملل الأخرى، والملمون بتاريخ الملل يعترفون بهذه الحقيقة.

(٢) على اختلاف الرافضة فى ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت اليه كل فرقة منهم.

(٣) بسبب إغراء شيعته له وحماقتهم وخيانتهم المخزية.

(٤) وتقدم فى ص ٢٩٣ - ٢٩٥ بيان سببها.

مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة، وأرسل الحجاجَ إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة، ثم لما تولى الحجاجُ العراق خرج عليه محمد بن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة. فهذا كله بعد موت معاوية. ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان، وقتل زيد بن علىّ بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها. فلم يكن من ملوك المسلمين ملكٌ خيراً من معاوية، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمن معاوية إذا نُسبت أيامه إلى أيام من بعده. وأما إذا نسبت إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل[1]].

ومعاوية - على ذنوبه[2] - لم يأت بعده مثله ملك، فعن قتادة قال: لو أصبحتم فى مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدى. وقال أحمد بن جوّاس[3] حدثنا أبو هريرة المكتّب قال: كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبدالعزيز وعدله، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا: فى حِلْمه ؟ قال: لا والله، بل فى عدله. وقال أبو أسامة [الثقفى] حدثنا ثقة عن أبى إسحاق السُّبيعى أنه ذكر معاوية فقال: لو أدركتموه لقلتم كان المهدى. وروى أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق قال: ما رأيت بعده مثله. يعنى معاوية. [وقال البغوى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبى قيس قال: كان معاوية قد جعل فى كل قبيل رجلا، وكان رجل منا يكنى أبا يحيى يصبح كل يوم فيدور على المجالس: هل ولد فيكم الليلة ولد ؟ هل حدث الليلة حادث ؟ هل نزل بكم اليوم نازل ؟ قال فيقولون: نعم، نزل رجل من أهل اليمن بعياله -

(1) عن الأصل ٣: ١٨٤ - ١٨٥.

(2) لأنه غير معصوم عنها والعصمة للأنبياء.

(3) فى الأصل ٣: ١٨٥ «محمد بن حواش» وهو خطأ ، وعند تعليقنا على (العواصم من القواصم) نقلنا فى ص ٢٠٥ هذا الاسم خطأ كما رأيناه فى منهاج السنة. فمن كانت عنده نسخة منهاج السنة والعواصم فليصححه فيهما كما أثبتناه الآن. وأحمد بن جواس هو أبو عاصم الكوفى الحنفى من تلاميذ ابن المبارك وابن عيينة. وأحاديثه فى صحيح مسلم وسنن أبى داود. وهو ثقة. توفى فى المحرم سنة ٢٣٨.

يسمونه وعياله - فإذا فرغ من القبيل كله أتى الديوان فأوقع أسماءهم فى الديوان. وروى محمد بن عوف الطائى حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبى مريم عن عطية بن قيس قال: سمعت معاوية ابن أبى سفيان يخطبنا يقول: إن فى بيت مالكم فضلا بعد أعطياتكم، وإنى قاسمه بينكم، فان كان يأتيكم فضل عاما قابلا قسمناه عليكم، وإلا فلا عتبة على، فإنه ليس بمالى وإنما هو مال الله الذى أفاء عليكم. وفضائل معاوية فى حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة[1]] وفى الصحيح أن رجلا قال لابن عباس: هل لك فى أمير المؤمنين معاوية، إنه أَوْتَرَ بركعة ؟ قال [ابن عباس]: أصاب، إنه فقيه. حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيدالله بن أبى المهاجر عن قيس بن الحارث الصنابحى عن أبى الدرداء قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من إمامكم هذا. يعنى معاوية [فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه، والشاهد بالفقه ابن عباس، وبحسن الصلاة أبو الدرداء، وهماهما. والآثار الموافقة لهذا كثيرة. هذا ومعاوية ليس من السابقين الأولين، بل قد قيل إنه من مسلمة الفتح، وقيل بل أسلم قبل ذلك، وكان يعترف أنه ليس من فضلاء الصحابة، وهذا سيرته فى عموم ولايته، فانه كان فى ولايته من خراسان إلى بلاد أفريقية بالمغرب ومن قبرص إلى اليمن. ومعلوم بإجماع المسلمين أنه ليس قريبا من عثمان وعلى، فضلا عن أبى بكر وعمر، فكيف يُشَبَّه غيرُ الصحابة بهم؟ وهل توجد سيرة أحد من الملوك مثل سيرة معاوية ؟[2]].

وجمهور الصحابة وساداتهم تأخروا عن الفتنة. قال أيوب السختياني عن ابن سيرين قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما خفَّ لها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين. فهذا يقوله محمد بن سيرين مع ورعه الباهر فى منطقه. وقال منصور بن عبد الرحمن قال الشعبى: لم يشهد الجملَ من أصحاب النبى ﷺ غير عليّ وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب. كأنه عنى من المهاجرين السابقين[3]. وقال [عبد الله بن أحمد: حدثنا أبى حدثنا أمية بن خالد

(١) عن الأصل ٣: ١٨٥.

(٢) عن الأصل ٣: ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) هذا الاستدراك للحافظ الذهبى.

قال قيل لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحَكَم[1] عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا[2]] قال شعبة [كَذب والله[2]] ذاكرنا الحكم، ما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت. قلت[3] هذا النفى يدلّ على قلة من حضرها.

ومن أسباب النجاة من النار ما يبتلى به العبد فى قبره من الضغطة وسؤال منكر ونكير ومن أهوال الموقف وكربه: ومن ذلك ما ثبت فى الصحيحين[4] أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصُّ بعضهم من بعض، فإذا هُذّبوا ونقوا أُذِن لهم فى دخول الجنة.

فهذه الأمور لا تفوت كلها من المسلمين إلا الأقل، فما الظن بالصحابة الذين هم خير القرون ؟ وصحّ أن رجلا نال من عثمان عند ابن عمر وقال: إنه فرَّ يوم أحُد. فقال ابن عمر: فقد عفا الله عنه. قال: ولم يشهد بدراً. قال: إن النبى ﷺ استخلفه على بنته وضرب له بسهم. قال: فما شهد بيعة الرضوان. فقال: إنما كانت البيعة بسبب عثمان، وقد بايع النبى ﷺ عنه بيده، ويد النبى ﷺ خير من يد عثمان.

فعلَّمةُ ما يعاب به الصحابة إمّا تعنُّتً كهذا وهو معفوٌّ عنه، وكثير من ذلك مكذوبً عليهم.

وقولهم«استعمل من لا يصلح» قلنا: كان مجتهدا فأخطأ ظنه والله يغفر له. وقد كان عبد الله بن سعد ارتد ثم جاء مسلما فقبل النبى ﷺ ذلك منه بعد أن كان أهدر دمه. وعلىٌّ تبينً له من عماله مالم يظنه فيهم. ثم إن عثمان لما علم أن الوليد سكر طلبه وحدَّه[2] .

---

(١) هو ابن عتيبة الكوفى أحد الأعلام (٤١ - ١١٥).

(٢) عن الأصل ٣: ١٨٦.

(٣) هذا الاستدراك للحافظ الذهبى.

(٤) فى هامش مختصر الذهبى: هذا الحديث فى صحيح البخارى وليس هو فى صحيح مسلم.

(٥) انظر لتحقيق ذلك كتاب العواصم من القواصم ص ٨٥ - ٨٧ و ٩٠ - ٩٩.

وقولهم «قسم المال فـى أقاربه» قلنا: [هذا غايته أن يكون ذنبـا لا يعاقب عليه فى الآخرة، فكيف إذا كان من موارد الاجتهاد[1]] لعله اجتهد [فان الناس تنازعوا فيما كان النبى ﷺ فى حياته: هل يستحقه وليُّ الأمر بعده ؟ على قولين. وكذلك تنازعوا فى وليّ اليتيم: هل له أن يأخذ من مال اليتيم - إذا كان غنيا - أجرتَه مع غناه ؟ والترك أفـضل، أو الترك واجب ؟ على قولين. ومن جوَّز الأخـذَ من مال اليتيم مع الغنى جوَّزه للعامل على بيت مـال المسلمين، وجوَّزه للقاضى وغيره من الولاة. ومن قال لا يجوز ذلك من مال اليتيم فمنهم من يجوّزه من مال بيت المال كما يجـوز للعامل على الزكاة الأخذَ مع الغنى، فإن العـامل على الزكاة يجوز له أخذ جعالته مع غناه. وولي اليتـيم قد قال تعالى فيه: ﴿**وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (النساء ٦). وأيضا فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن سهم ذوى القربى هو لقرابة الإمام، كـما قاله الحسن وأبو ثور، وأن النبى ﷺ كان يعطى أقاربه بحكم الولاية، وسقط حق ذوى قرباه بموته كـما يقول ذلك كثير من العلمـاء كأبى حنيفـة وغيـره. ثم لما سقط حقـه بموته فحـقه الساقـط قبل إنه

(١) عن الأصل ٣: ١٨٧. وشيخ الإسـلام يقطع على الرافضة أسـباب المراء بحمل ذلك علي الاجتـهاد من عثـمان، بل على احتـمال الخطأ في هذا الاجـتهاد، وهو مـثاب من الله فى حالـتى الخطأ والإصابة، لاسيمـا وأنه من المبشرين بالجنة. أما الذى يرجع إلى الصحـيح الممحص من وقائع التاريخ ويتتـبع سيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين ذو النورين رضـوان الله عليه، وما كان لجهادهم من جميل الأثر فى تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسـن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها، فانه لا يستطيع أن يمنع نفسه مـن الجهر بالإعجاب والفخر كلمـا أمعن فى دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامى **وينبغى لأبناء عصرنا من قراء هذا الكتاب أن يعلمـوا أن أئمة الإسلام ورجال الحديث كالإمام أحمد ومن سار على طريقه كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلـميذه الحافظ الذهبى افترضوا أن المسلمين جميعا - ولاسيـما الذين تولوا أمـور المسلمين بعد أبى بكر وعـمر - ينبـغى لهم أن يكونوا كأبى بكر وعـمر فى مجموع ما كانا عليه وفى جميع ما صدر عنهمـا. وهاتان الشخصيتان هما المقياس الذى قاسوا به من جاء بعد العمـرين من الولاة والعمال.** هيهات أن يأتى الزمان بمثل أبى بكر وعمر، فان قوة إيمانهما حكمت على الزمان فسار هو وأهله بالحكم المنبثق من قوة إيمانهـما مع أن الواقع أن غيرهما من ولاة أمر المسلمين كانوا مضطرين إلى مجاراة حكم الزمن فى كثير من الأمور، ولاسيما بعد أن انتشر المسلمون فى الأمصار والأقطار وتأثروا أو تأثر أبناؤهم بغير ما كان عليه الناس أيام العمرين، ومن هنا كان القرن الذى بعد قرن النبى ﷺ دون القرن الأول وإن كـان خيراً من الذى بعده. مع ذلك فـأبو بكر وعمر أيضـا لم يسلما من بذاءة مجوس هذه الأمة !

يصرف فى الكراع والسلاح والمصالح. كما كان يفعل أبو بكر وعمر. وقيل إن هذا مما تاوّله عثمان. ونقل عن عثمان رضى الله عنه نفسه أنه ذكر هذا وأنه يأخذ بعمله، وأن ذلك جائز وإن كان ما فعله أبو بكر وعمر أفضل، فكان له الأخذ بهذا وهذا. وكان يعطى أقرباءه مما يختص به، فكان يعطيهم لكونهم ذوى قربى الإمام على قول من يقول ذلك. وبالجملة فعامة من تولى الأمر بعد عمر كان يخصُّ بعض أقاربه إما بولاية وإما بمال، وعليٌّ ولى أقاربه أيضا[1]].

وأما قيام أهل الكوفة على سعيد بن العاص حتى أخرجوه منها فلا يدلّ على ذنب ولابدّ[2]، فان القوم كانوا أعنتَ شيء لأمرائهم حتى قاموا على سعيد ونقلوه، وأين مثله ؟

وأما قولك[3] «كاتبَ ابن أبى سرح سراً أن يستمرَّ على ولايته خلاف ما كتب به من عزله» فيقال: هذا كذب، فقد حلف عثمان أنه لم يكتب ذلك وهو الصادق، بل قيل إن مروان كتب بغير علمه وأنهم طلبوا مروان ليقتلوه فامتنع[4]. فان كان قَتْلُ مروان لا يجوز فقد أصاب، وإن كان يجوز ولا يجب فقد فعل الجائز، وإن كان قتله واجبا فقد اجتهد، ولم يثبت ما يجب به قتل مروان[5]. وهَبْ أن هذا من ذنوب عثمان، فما ادَّعينا عصمته، وله سوابق[6]، وهو من البدريين المغفور لهم،

وأما قولك «أمر بقتل محمد بن أبى بكر» فهذا افتراء، ومن عرف سيرته وأحواله عرف بطلان هذا، فقد سعوا فى قتله وهو كاف عنهم بكل حال، فكيف

---

(١) عن الأصل ٣: ص ١٨٧ - ١٨٨ وفيه فقيه جليل ، وقد اختصره الحافظ الذهبى بأقل من سطرين.

(٢) وقد رأيت فى ص ٣٧٥ - ٣٧٦ منزلة سعيد بن العاص من المكارم الإسلامية ، وما قدمه لهذه الدعوة المحمدية من جهاد وجهود. والذين قاموا على سعيد بن العاص لو أن أبا بكر أو عمر تولى أمورهم فى الكوفة لفعلوا فيه مثل الذى فعلوه بسعيد بن العاص وغيره من ولاة أمير المؤمنين عثمان.

(٣) الخطاب للرافضى المردود عليه.

(٤) فى ص ٣٧٧ و ٣٧٨ - ٣٧٩ تحقيق دقيق فى براء عثمان ومروان من ذلك ، وبيان عن دخائل هذا الحادث صححنا به هذه الأغلوطة التي كانت غامضة على أكثر الناس.

(٥) انظر لمكانة مروان عند أعلام المسلمين ما تقدم فى ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٦) فى إقامة الحق وتعميم الخير.

يبتدىء بقتل معصوم[1]؟ وإن ثبت أنه أمر بقتله فلمصلحة رآها من دَفْع شرِّه.

وأما معاوية فإنما ولاه الشام واستمرَّ عليها إلى أن سلَّم اليه الحسنُ الخلافة. وكان محبباً فى رعيته لحلمه وكرمه وخبرته بالأمور[2]، وهو خير من الأشتر النَّخَعِيّ ومن محمد بن أبى بكر ومن عبيد الله بن عمر ومن أبى الأعور السلمى ومن بِشْر بن أرْطاة.

وأما ابن مسعود فانه بقى فى نفسه عليه لأجل المصاحف إذ فوَّض كتابتها إلى زيد ابن ثابت ونه، وجمهور الصحابة كانوا مع عثمان[3]، وكان زيدٌ أحفظ للعرضة الأخيرة من غيره. وقد انتدبه قبل عثمان [أبو بكر[4]] وعمرُ لجمع

---

(١) أى معصوم الدم.

(٢) انظر ص ٢٣١ - ٢٣٤ و ص ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٣٨٧ - ٣٨٩.

(٣) فى كتاب (تاريخ القرآن) لأبى عبد الله الزنجانى أحد الشيعة المعاصرين (ص ٤٦) أن على بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ - ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل فى كتابه (سعد السعود) عن الشهر ستانى فى مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: «أيها الناس ، الله الله ، إياكم والغلو فى أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، جمعنا وقال: ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها ، يلقى الرجل الرجل فيقول: «قراءتى خير من قراءتك وهذا يجر إلى الكفر ؟ فقلنا: ما الرأى ؟ قال: أريد أن أجمع الناس علي مصحف واحد. فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافا. فقلنا: نعم ما رأيت» . قلت فى التعليق على العواصم من القواصم ص ٦٣ - ٦٤. لما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد فى العالم الإسلامى يجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله على رسوله ﷺ قبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيطت به ، وكان يود أيضا لو يبقى مصحفه الذى كان يكتبه فيما مضى. فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود فى الحالتين: أما فى اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلان أبا بكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل فى خلافة أبى بكر ، بل إن أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت فى البداية لأنه هو الذى حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته. فكان عثمان على حق فى هذا ، وهو يعلم - كما يعلم سائر الصحابة - مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق إيمانه. ثم إن عثمان كان على حق أيضا فى غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان فى استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان بإجماع الصحابة. وقد بقى عثمان يعرف لابن مسعود قدره ، كما بقى مسعود علي طاعته لإمامه الذى بايع له وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة.

(٤) عن الأصل ٣: ١٩١.

[المصحف فى[1]] الصحف. وأيضاً فكان ابن مسعود أنكر على الوليد بن عقبة لما شرب الخمر[2] ثم قدم ابن مسعود المدينة بعدُ - وحادثة عثمان لم تنفق - وعرض عليه [عثمان[1] التزويج. ثم يقول بتقدير أن يكون ابن مسعود طعن على عثمان فليس جعلُ ذلك قدحاً فى عثمان بأولى من جعله قدحا فى ابن مسعود، بل كل منهما مجتهد، وهما بدريان كبيرن مغفور لهما، والكفّ عما شجر بين السابقين أولى، كما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله يدى منها فـذكره أن أخضّب بها لسانى . ونقُل عن عمار قال: لقد كفر عثمان كفرة صلعاء ، وأن الحسن بن على أنكر ذلك على عمار. وكذلك نقل عن علىّ أنه قال: يا عمار، أتكْفُر برب آمن به عثمان ؟ ! وقد علمنا أن الرجل المؤمن الولى قد يكفّر الرجلَ المؤمن الولىّ فيخطىء بذلك ولا يقدح هذا فى إيمان واحد منهما. فقد ثبت فى الصحيح أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عبادة بحضرة النبى ﷺ: إنك منافق تجادل عن المنافقين. وثبت أن عمر قال لحاطب: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: إنه شهد بدرا.

وأما قولك[3] «ضرب ابن مسعود حتى مات » فهذا من أسمج الكذب المعلوم. وقيل إن عثمان ضرب عمارا وابن مسعود، فإن صح فهو إمامٌ، له أن يعزّر باجتهاده أصاب أو أخطأ . وقد ضرب عمرُ أُبَيّاً بالدِّرَّة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال: فتنةٌ للمتبوع، ومَذَلَّة للتابع. وقد شهد عمار أن عائشة زوجةُ نبى الله ﷺ فى الدنيا والآخرة، وقال: ولكن الله ابتلاكم بها لينظر إياه تطيعون أم إياها. فمع حضّ عمار الناسَ على قتالها لمصلحة[4]، شهد لها بالجنة. وأما عمّار فصحَّ أنه عليه السلام قال «تقتلك الفئة الباغية» وباقى ذلك كذبٌ مزيدٌ فى الحديث.

---

(١) عن الأصل ٣: ١٩١.

(٢) صواب الواقع أن يقال: لما أشاع ذلك خصوم عهد عثمان ، بل خصوم الوليد بالذات لإقامته حدود الله على ذويهم، وإن كلمة التاريخ الخالصة لوجه الله أن الذين شهدوا على الوليد كانوا لصوصا كذبة ومن سفلة الناس، وأن شهادتهم كانت شهادة زور. انظر العواصم من القواصم ص ٩٤- ٩٩.

(٣) الخطاب للرافضى المردود عليه.

(٤) أى فى اعتقاده.

وأما قولك[١] «وطرد رسول الله ﷺ الحكْم وابنه من المدينة» فنقول: كان لمروان سبعُ سنين أو أقلّ. فـما كان له ذنب يُطرد عليه. ثم لم نعـرف أن أباه هاجر إلى المدينة حتى يطرد منها، فإن الطلقاء ليس فيهم من هاجر، فان النبى ﷺ قال: «**لا هجـرة بعد الفـتح**» ولما قدم صفوان بن أمية مـهاجراً أمره النبى ﷺ بالرجوع إلى مكة. وقصة طرد الحكم ليس لها إسناد نعرف به صحـتها [فان كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المـدينة، ولو طرده من المدينة لكان يـرسله إلى مكة. وقـال طعن كثيـر من أهل العلم فى نفيه وقالوا: هو ذهب باخـتياره. والطرد هو النفى، والنفى قد جـاء به السّنة فى الزانى وفى المخنثين وكانوا يعـزّرون بالنفى. وإذا كان النبى ﷺ قد عـزّر رجلاً بالنفى لم يلزم أن يبـقى منفياً طول الزمـان، فإن هذا لا يعرف فى شيء من الذنوب، ولم تأت الشريـعة بذنب يبقى صاحبه منفـياً دائماً ، بل غاية النفى المقدّر سنة[٢]]، والزانى - ولو كان صحابياً مجاهداً - فيعزّر بالنفى سنة. ويعلم قطعاً أن عثمان ما أذن للحكم فى إتيـان المدينة معصية للرسول صلى الله عليه وسلم ولا مُراغَمـة للإسلام، بل رأى أنه قد صلح حاله، فلعل هذا خطأ من الاجتهاد أو صواب[٣] وكان مروان على هناته مسلماً ظاهراً وباطناً يقرأ القرآن

(١) الخطاب للرافضى المردود عليه.

(٢) عن الأصل ٣: ص ١٩٦.

(٣) ويقول القـاضى ابن العربى فى (العـواصم من القواصم) ص ٧٧: «وقال علمـاؤنا: قد كان أذن له فـيه رسول الله ﷺ ، وقال - أى عـثمان - لأبى بكر وعمر ، فـقالا له: إن كان معك شهـيد رددناه. فلما ولى قضى بعلمه فى رده. وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ ولو كان أباء ولا لينقض حكمه» ونقل الإمام أبو محمـد بن حزم فى كتاب (الإمامة والمفاضلة) المدرج فى الجـزء الرابع من كتابه «الفصل» ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على من أنكروا عليه ذلك: «ونفى رسول الله ﷺ لم يكن حداً واجبا ، ولا شريعـة على التأبيـد ، وإنما كان عقـوبةعلى ذنب استـحق به النفى ، والتوبة مـبسـوطة ، فاذا تاب سقطت عنه تلك العـقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسـلام ، وصارت الأرض كلها مبـاحة». ونقل مجتهد الـزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى (المتـوفى سنة ٨٤٠) فى كتابه (الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم) ١: ١٤١ - ١٤٢ قـول الحاكم المحسن بن كـرامة المعتـزلى المتشيع فى كـتابه (سرح العيون): أن رسول الله ﷺ أذن فى ذلك لعثمان: **قال ابن الوزير:إن المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قـبول هذا الحديث وترك الاعتراض على عـثمان بذلك ، لأن را وى الحديث عندهم مـن المشاهير بالثـقة والـعلم وصحـة العـقيـدة.** ثم بسط ابن الوزير الكلام علـي هذا الموضوع بحـجج واستـدلالات استغرقت ثلاث صـفحات دفاأ عن أمير المؤمنين عـثمان فى رده الحكم. **وهذه الحـجج من أحـد أئمـة=**

وينفقه، فلا ذنب لعثمان فى اتخاذه كاتباً ثم بدت منه أمور[1].

وأما أبو ذر فثبت عن عبد الله بن الصامت قال: قالت أم ذر «والله ما سيَّر عثمانُ أبا ذر إلى الربذة، ولكن رسول الله ﷺ قال له: إذا بلغ البناء سَلْماً فاخرج منها». وقال الحسن البصرى «معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان[2]». ولا ريب أن أبا ذر كان صالحاً زاهداً، وكان مذهبه بذل ما فضل عن الحاجة، وأن إمساكه كنزٌ يكوى به صاحبه ويتلو: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ (التوبة ٣٤ - ٣٥)، ويذكر قول النبى ﷺ: «**يا أبا ذر ما أحبُّ أن أحُداً ذهباً يمضى علىَّ ثالثة وعندى منه دينار**» وقوله ﷺ: «**الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال بالمال هكذا وهكذا**» ولما تُوُفِّىَ عبد الرحمن [بن عوف] وخلَّف مالاً عدَّ ذلك أبو ذر من الكنز الذى يُعاقَبُ عليه، وعثمان يناظره فى ذلك حتى دخل كعب فوافق عثمانَ فضربه أبو ذر. وكان قد وقع بينه وبين معاوية بالشام أيضاً بهذا السبب. وأما سائر الأمة فعلى خلاف رأى أبى ذر، وقالوا: الكنز مالم يُزَكَّ. وقد قسم الله المواريث فى كتابه، ولا يكون الميراث إلا لمن خلَّف مالا. وقد كان خلق من الصحابة لهم مال على عهد النبى ﷺ وما أنكر عليهم. وكان جماعة من الأنبياء لهم المال. وتوسع أبو ذر فى الإنكار حتى نهاهم عن المباح، ثم اعتزلهم، وكان مؤمناً فيه ضعف كما قال له النبى ﷺ: «**إنى أراك ضعيفاً، وإنى أحب لك ما أحب لنفسى: لا تأمرن عل اثنين، ولا تولينَّ على مال يتيم**» وقال أيضا «المؤمن القوىّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» فأهل الشورى أقوياء بالنسبة إلى أبى

=الزيدية ومجتهديهم - بعد روايته ذلك الحديث عن الإمام المعتزلى المتشيع- لها دلالتها الخاصة، بعد الذى سمعته من إمام أهل السنة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإمام المالكية فى الأندلس القاضى ابن العربى، ومن إمام أهل الظاهر أبى محمد بن حزم.

(١) وهذه الهنات والأمور هى ما ألصقه به الكذبة من الكتابة باسم عثمان إلى ابن أبى سرح زمن المحنة، وقد علمت مما تقدم فى ص ٣٧٧ و ٣٧٨ - ٣٧٩ براءته من ذلك، بما تبين لك من دخائل هذا الحادث.

(٢) وانظر ما نقلناه فى ص ٣٨٠ عن تاريخ ابن خلدون (بقية ج ٢ ص ١٢٩).

ذر وهم أفضل منه.

وأما قولك «ضيَّع الحدود، فلم يقتل عبيدَ الله بن عمر بالهرمزان مولى علي» قلنا: هذا كذب، لم يكن مولى علي، وإنما أسره المسلمون فمنَّ عليه عمر وأعتقه وأسلم[1]، ولا سَعْيَ لعليّ في رقّه ولا في عتقه. وذُكر [لعبيد الله بن عمر أنه رؤي عند الهرمزان حين قتل، وكان الهرمزان ممن اتهم بالمعاونة على قتل عمر[2]]، وهذا ابن عباس يقول لعمر - إذ قال له: كنتَ أنت وأبوك تحبّان أن تكثر العلوج بالمدينة - فقال: أنقتلهم ؟ قال: كذبت، أبعد أن تكلموا بلسانكم وصلُّوا إلى قبلتكم[3]؟ فهذا ابن عباس مع فقهه يستأذن عمر في قتل العلوج لما

(١) وكان ينبغي له وقد أسلم أن يحب لأهل وطنه الفرس ما قال أنه اختاره لنفسه بالإسلام ، فيكون له سعي وجهاد في تصميم الإسلام في وطنه ، لكنه آثر الإقامة في المدينة ، ولم يكن له ذكر إلا في حادث مقتل أمير المؤمنين عمر واجتماع القاتل به قبل ذلك بيوم. روى الطبري (٥: ٤٢) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال غداة طعن عمر «مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس ومعه جفينة (وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظئر لسعد بن أبي وقاص) والهرمزان وهم نجي، فلما رهقتهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، فانظروا بأي شيء قتل ؟» وخرج في طلبه رجل من بني تميم ، فرجع اليهم التميمي وقد كان ألظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه ، وجاء بالخنجر الذي وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر. فسمع بذلك عبد الله بن عمر ، فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتمل على السيف فأتى الهرمزان فقتله.

(٢) هذه الجملة مضطربة في الأصل (٣: ١٩٩ - ٢٠٠) وفي مختصر الذهبي وقد آثرنا ما في الأصل بتعديل جملة «حين قتل ، وان الهرمزان ممن» فانها كانت بالأصل «حين قتل الهرمزان وكان ممن» والنساخ معذورون فيما يقع منهم عند النقل من خط شيخ الإسلام فان سرعته في التأليف تجعل خطه صعب القراءة

(٣) وقد أشار حافظ ابراهيم في (القصيدة العمرية) الى رأي أمير المؤمنين عمر في مثل هؤلاء الموالي حيث قال:

واها على دولة بالأمس قد ملأت	جوانب الشرق رغدا من أياديها
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة	عن أعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها	ومن صميم التقى ريشت خوافيها
والله ما غالها قدما وكاد لها	واجتث دوحتها إلا مواليها
لو أنها في صميم العرب قد بقيت	لما نعاها على الأيام ناعيها
ياليتهم سمعوا ما قاله عمر	والروح قد بلغت منه تراقيها:
لا تكثروا من مواليكم فان لهم	مطامعا بسمات الضعف تخفيها

اتهموهم بالفساد، فكيف لا يعتقد عبيد الله جواز قتل الهرمزان ؟ فلما قتله وبويع عثمان استشار الناس فى قتله، فـأشار عليه عدةً فى أن لا يقتله، وقالوا: قُتل أبوه بالأمس ويقـتل هو اليوم فى هذا فـساد. وكـأنهم وقعت لهم شـبهـة فى عصـمة الهرمزان[1] ولو قُدِّر أنه معصوم الدم، ولكن القاتل اعتقد حِلّ قتله لشبهة صارت قدرا القتل عن القاتل[2]، كما أن أسامة لما قتل ذلك [الرجلَ] بعد ما قال «لا إله إلا الله» عـزّره الرسول ﷺ بالقول ولـم يقتله به. وأيضـاً فان هذا والهـرمزان لم يكن لهمـا من يطالب بالدم، ولكن الإمـام وليُّ الدم فله القتل أو العـفو والدية، فعفا عثمان وترك الدية لآل عمر، وإذا حقن عثمان دمه فلا يباح بحال.

ومن العجب أن دم الهـرمزان المتـهم تقام فيـه القيامـة، ودم عثمـان وهو إمام المسلمين المقتول صَبراً لا حرمة له ! وقد جاء عن النبى ﷺ: «**ثلاث من نجا منهن فقـد نجا : موتى ، وقـتلُ خليفةٍ مُـضْطَهَدْ بغيـر حق، والدجَّال** » رواه أحـمــد فى مسنده.

وأما الوليد فإنما حـدّه عليٌّ بأمر عثمان كماثبت فى الصـحيح. وقول القائل[3] «أن علياً قال: لا يبطل حـدُّ الله وأنا حاضـر» فمن الكذب. ثم أنتم تـدَّعون أن الحدود مـازالت تبطل[4] وعليٌّ حاضر وهو يسكت تقيـة وخوفاً، حتى فى ولايته تدَّعون أنه يَدَعُ الحدود تقيـة، ويترك القول بالحق تقية. فإن كـان قال هذا بحضرة عثمان فما قاله إلا لعلمه بأن عثـمان وأعوانه يوافقونه على إقامة الحدود، ولو كان يتقّيهم لما قال هذا.

وقولك «زاد الأذان وهو بدعة» قلنا: فعليٌّ ممن وافق على ذلك فى خلافته ولم يُزِلْه وإبطالُ هذا كان أهونَ عليه من عزل معاوية وغيره ومن قتالهم. فإن قيل: إن

---

(١) أى فى عصمة دمه ، ومعنى ذلك اشتبهوا فى تآمره على حياة أمير المؤمنين عمر.

(٢) عملا بالحديث: « **ادرؤوا الحدود بالشبهات** ».

(٣) وهو الرافضى المردود عليه.

(٤) وآخر ذلك دعوى الرافضى المردود عليه فى ص ٣٨٠ أن عثمان ضيع الحدود فلم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان.

الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان، قلنا: فهذا دليل علـى أن الناس وافقوا عثمان على الاستحبـاب حتى مثل عمّار ومنهل بن حنيف والسابـقين. وإن اختلفوا فهى من مسائل الاجـتهاد. وإن قيل هى بدعـة، قيل: وقتال أهل القـبلة بدعة لم تكن قبلُ . وأنتم فـقد زدتم فى الأذان بدعة لم يأذن بها الرسـول صلى الله عليه وسلم وهى « حيَّ على خيـر العمل» غاية ما يـقال إن صحَّ النقل ان ابن عمر ربُمـا قال ذلك أحياناً، كمـا كان بعضهم يقول بين الأذان والإقامـة «حى على خير العمل، الصلاة، حيَّ على الفلاح». وهذا يسمى نداء الأمراء ، وكرهه أكثر العلماء .

وأما قولك «وخالفـه المسلمون كلهم حتى قتل» فان أردتَ أنهم خـالفوه خلافا يبيح دمـه فهذا كـذب وزور، فانه ما قـتله إلا شر ذمة ظالمة باغـية، ولم يرضَ به السابقون.

[**قال ابن الزبير: لعنت قـتله عثمان، خرجوا عليه كـاللصوص من وراء القرية، فقـتلهم الله كل قتلة**[1]**، ونجا من نجا منهـم تحت بطون الكواكب. يعنى هربوا ليلا، وأكثر المسلمـين كانوا غائبين**[2]**. وأكثر أهل المدينة الحـاضرين لم يكونوا يعلمون أنهم يريدون قـتله حتى قـتلوه**[3]] وأيضاً فما خالفـه كل المسلمين، بل كثير منهم وافقـه، فما من شىء أنكر عليـه إلا وقد وافقـه عليه كثيـر من المسلمين، بل من علمائهم الذين لا يتهمـون بمداهنة، والذين وافقوا عثمان على مـا أنكر عليه أكثر وأفضل من المسلمين الذين وافقوا علياً على ما أنكر عليه إما فى كل الأمور أو فى غالبها[3]] .

وقـولك «وقـالوا له: غـبتَ عن بدر، وهربتَ يوم أُحـد، ولم تشـهد بيـعـة الرضوان» قلنا: هذا ما قاله إلا جهلة الرافضـة ممن قاتله، وقد أجابهم عثمان وابن عمـر بأنه غاب يوم بدر بأمـر الرسول صلى الله عليـه وسلم ليمـّرض بنته، ويوم

(١) انظر فى ص ٢٢٨ - ٢٢٩ مصير قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه.

(٢) يجاهدون فى سبـيل الله تحت رايات عثمان وواده فى الشرق والغـرب يفتحون الفتـوح وينشرون الدعوة الإسلامية.

(٣) عن الأصل ٣: ٢٠٦.

الحديبية فان النبى ﷺ بعثه رسولاً إلى مكة، فبلغه أنهم قتلوه فبايع أصحابهَ على الموت، وقال تعالى فى الذين تولوا يوم أُحد: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٥٢): ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران ١٥٥).

وأما قولك «إنه ﷺ قال: جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه» فهذا كذب، وسبحان من جعل الرافضة أقْبَلَ شىء للكذب وأرَدَّ شىء للصدق، بل أسامة الذى توقف وقال: كيف أذهب وأنت هكذا أسأل عنك الركبان ؟ فأذن له فى التخلف ثم ذهب جميعهم معه بعد وفاة النبى ﷺ. فلو عزم على أُسامة فى المنبر لبادر هو والجيش معه.

وقولك «أول خلاف كان فى الإسلام الإمامة» قلنا لم يختلفوا ولله الحمد، وأجمعوا على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان إجماعاً لم يتهيأ مثله لعلى.. (رضى الله عنهم).

... إلى أن قال[1] «والخلاف الخامس فى فدَك والتوارث، ورووا عن النبى ﷺ: لا نورِّث ما تركناه صدقة». قلنا: هذا اختلاف أيضاً فى مسألة شرعية، وقد زال الاختلاف فيها، والخلاف فيها دون الخلاف فى ميراث الإخوة مع الجد والعم، والحمارية، وميراث الجدة مع ابنها، [وحجب الأم الأخوين، وجعل الجد مع الأم كالأب[2]] ونحو ذلك، فاختلافهم فى هذه المسائل [أعظم لوجوه: أحدها أنهم تنازعوا فى ذلك[3]] ثم لم يتفقوا، لأنهم ما روى لهم [فيها] من النصوص [مثل] ما روى لهم فى أن النبى ﷺ لا يورث. وأيضاً فإن الخلاف فى هذا لا يتكرر، بل هى قضية واحدة، وفى مال قليل، وقد أعطاهم أبو بكر وعمر من مال الله بقدر الميراث مرات، وإنما يهوِّل هذه القضيةَ أهل الجهل والشرّ، فقد استخلف علىٌّ بعد ذلك وصارت فَدَكُ وغيرها تحت حكمه وما أعطاها أولاد فاطمة ، ولا قسم تركة

(١) أى الرافضى المردود عليه ، وهو ينقل عن الشهرستانى الذي تقدم التعريف به فى ص ٩٥.

(٢) عن الأصل ٣: ٢٣٠.

(٣) انظر لمسألة فدك والإرث ص ١٩٥ - ٢٠٠.

النبى ﷺ بين الورثة، فهلا أزال هذه المظلمةَ على رأيكم[1]؟!

قال[2] «والخلاف السادس فى قتال مانعى الزكاة، قاتلهم أبو بكر، واجتهد عمر فى خلافته فردَّ السبايا والأموال إليهم، وأطلق المحبوسين». قلنا: هذا من الكذب البيّن، فإن أبا بكر وعمر اتفقا على قتالهم كما فى الصحيحين، واحتجا بقوله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله**». وقال أبو بكر: من حقها الزكاة فقاتلهم بموافقة سائر الصحابة له ثم أقر أولئك بالزكاة بعد وما سبى لهم ذرية، ولا حبس منهم أحداً ، ولا كان فى المدينة حبس فى عهد أبى بكر، فكيف يموت وهو فى حبسه ؟

* * *

(١) عن الأصل ٣: ٢٣٠.

(٢) أى الرافضى المردود عليه ، وهو ينقل عن الشهرستانى الذي تقدم التعريف به فى ص ٩٥.

الفصل الرابع
فى إمامة باقى الإثنى عشر

قال[1] «لنا فى ذلك طرق: أحدها النص، وقد توارثته الشيعة فى البلاد خلفا عن سلف عن النبى ﷺ أنه قال للحسين: هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة قائمهم اسمه كاسمى وكنيته كنيتى يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جوراً وظلما». والجواب: هذا أولا كذب على الشيعة، فإن هذا لم تقله إلا شرذمة من الشيعة، وأكثرهم يكذّب به مثلنا، [والزيدية بأسرها تكذب هذا، وهم أعقل الشيعة وأعلمهم وخيارهم[2]]، والإسماعيلية يكذّبون به. والشيعة نحو من سبعين فرقة[3]. **وإنما هذا** من اختلاق المتأخرين، وُضع لما مات الحسن بن على العسكرى[4] **وتُكلم بغيبة** ابنه محمد بعد موت الرسول ﷺ بمائتين وخمسين سنة. **وعلماء السنّة ونقلة الآثار الذين** هم أضعاف أضعاف الشيعة يعلمون أن هذا كذب **علي الرسول ﷺ قطعا،** ويباهلون على ذلك. ثم [من شرط التواتر حصول من يقع به العلم من الطرفين والوسط. و[2]] قبل موت الحسن العسكرى لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر، وإنما كان المدّعون يدّعون النص على علىّ أو على ناس بعده، **أما دعوى النص على الإثنى عشر وهذا الخلف فى الحجة المعدوم آخرهم فهذا لا نعرف أحداً قاله متقدما ولا نقله ناقل فأين دعواك التواتر؟ بل المتواتر ما جاء فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى. وقيل إن أول ما ظهرت الشيعة الإمامية المدعية النص فى أواخر أيام الخلفاء الراشدين افترى ذلك عبد الله بن سبأ**

---

(١) أى الرافضى المردود عليه.

(٢) عن الأصل ٤ : ٢٠٩.

(٣) صنفت الكتب الكثيرة في التعريف بها، ومن أفضل كتب أهل السنة في ذلك (مقالات الإسلاميين) للإمام أبى الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٢٣٤)، ومن أقدم كتب الشيعة فى ذلك كتاب (فرق الشيعة) للحسن بن موسى النوبختى المتوفى سنة ٣١٠.

(٤) انظر ص ٩٧ لموقف غلاة الشيعة يوم مات الحسن العسكرى بلا وارث.

وطائفته[1]. والذى علمناه من حال أهل البيت علمـا لا ريب فيه أنهم لم يكونوا يدَّعون أنهم منصـوص عليهم كجعـفر الصادق وأبيه وجـده زين العابدين على بن الحسين وأبيه. وأخرجا فى الصحيحـين عن جابر بن سمرة سمع النبى ﷺ يقول: «**لا يزال أمر الناس ماضيا عزيزا مـا وليهم اثنا عشر رجلا**» ثم تكلم بكلمة خفيت علىّ فسـألت أبى عنها فـقال: «**كلهم مـن قـريش**» فلا يجـوز أن يراد اثنا عـشر الرافضـة، فإن عند الرافـضة أنه لم يقم أمـر الأمة فى مدة أحـد من هؤلاء ، بل مازال أمـر الأمة فـاسداً يتـغلب عليه الظالمون بل الكافـرون، وأهل الحق أذل من اليهود. وأيضاً فعندهم أن ولاية المنتظر دائمة إلى آخر الدهر.

قال «وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى اسمه كاسمى كنيته كنيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، فذلك هو المهدى**».

فنقول: الأحاديـث التى تحتج بها على خروج المهـدى صحيحة رواهـا أحمد وأبو داود والترمـذى، منها حديث ابن مـسعود مـرفوعا «لو لم يـبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعـدلا كما مـلئت جوراً وظلما». وأخـرجه أبو داود

(١) التحقيق فى تخرصات الشيعـة حول النص على أئمتهم يتشعب إلى ثلاث شعب: **أولاهـا** النص عـلى إمامة على أو ولايته ، وقد أشبعها شيخ الإسلام بحـثا فى هذا الكتاب ونقضها من أسسها فلم يدع مقالا لقائل ، أما نص على على ابنه الحسن فـقد تقدم تكذيبه في هامش ٤٨٩. **والشعبـة الثانية** من أكـذوبة النص دعوى الوصاية ، وهذه قد اعترف علامتهم الكشى بأن مخـترعها عبد الله بن سبأ. وسجلنا عليهم هذا الاعتراف فى ص ٣٠٧ و ٤٣٩. **والشعبة الثالثة** أكذوبة أن الإمامة معهود بها إلى أشخاص بأعيانهم، ومخترع هذه الأسطورة شـيطان الطاق الرافضى ، فقد نقل المامقانى فـي تنقيح المقال (١: ٤٧٠) ما رواه الكشى عن شيـطان الطاق أنه قال: كنت عند أبى عـبد الله (يعنى جعـفر الصادق) فـدخل زيد بن على (الإمام الذى يرجع إليه مذهب الزيدية في اليمن ، وهو عم جعفـر الصادق) فقال لى زيد: يا محمد بن علي ، أنت الذى تزعم أن في آل مـحمد إمامـا مفتـرض الطاعة معـروفا بعينـه ؟ قال: قلت نعم أبوك أحدهم. قال: ويحك ، وما يمنعه أن يقول لى ؟ فوالله لقد كـان يؤتى بالطعام الحار فيقعدنى على فخذه ويتناول البضعـة فيبردها ثم يلقمنيهـا ، أفتراه يشفق علي من حر الطعـام ولا يشفق علي من حر النار ؟ قال: قلت كـره أن يقول لك فـتكفر فيـجب عليك من الله الوعيـد. وكنت نقلت هذا الخبـر في مجلة (الفتح) فى شـعبان سنة ١٣٦٦ واستبـعدت يومئذ أن تبلغ الجـرأة بشيطان الطاق إلى حد أن يجـهر بهذه الأكذوبة في مجلس الإمامين زيـد وجعفر وقلت: أظنه كذب هذه القصة فـيما بعد واخترعهـا ليدعو بها إلى هذه العقيدة الباطلة.

والترمذى من حديث أم سلمة وفيه: «**المهدى من عترتى من ولد فاطمة**». ورواه أبو داود من طريق أبى سعيد وفيه: «**يملك الأرض سبع سنين**». وعن علىّ أنه نظر إلى الحَسَن فقال: سيخرج من صلبه رجل يسعى باسم نبيكم ﷺ يشبهه فى الخُلُق ولا يشبهه فى الخَلْق يملأ الأرض قسطا. فأما حديث: «**لا مهدى إلا عيسى ابن مريم**» فضعيف، فلا يعارض هذه الأحاديث، وفيها - كما ترى - أن اسمه محمد ابن عبد الله» فهو ردٌ على من يزعم أنه المنتظر محمد بن الحسن. ثم هو من ولد الحسن، لا من ولد الحسين[1]. وادعت الباطنية أنه هو الذى بنى المهدية[2]، وإنما هو دعىّ، وهو من ولد ميمون القداح[3] فادعوا أن ميمونا هذا هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الذى تنتمى إليه الإسماعيلية، وهم كفار ركّبوا مذهبهم من مجوسية وفلسفة وصابئة. صنف جماعة فى مخازيهم: كابن الباقلانى والقاضى عبد الجبار والغزالى. وهذا محمد بن عبد الله بن تومرت البربرى عمل له نسبا إلى الحسن بن على وتلقب بالمهدى وادعى العصمة. وابن المنصور محمد بن عبد الله لقب بالمهدى للحديث.

قال «قد بينا أنه يجب فى كل زمان إمام معصوم، ولا معصوم غير هؤلاء إجماعا» .

الجواب: منع المقدمة الأولى كما مر. ثم لا إجماع فى غيرهم. ثم نقول بالواجب: فهذا المعصوم الذى تدعونه فى وقتنا هذا وله من أربعمائة وستين سنة وما ظهر له أثر، بل آحاد الولاة وقضاة البر أكثر تأثيراً منه، فأى منفعة للوجود بمثل هذا لو كان موجودا، كيف وهو معدوم ؟ فأى لطف حصل لكم به، وأى مصلحة نالت الأمم قديماً وحديثاً به ؟ فمازال مفقودا عندكم ومعدوما عندنا ولا حصل به نفع أصلا.

(١) انظر ص ١٧٥.

(٢) فى شمال أفريقية.

(٣) انظر مجلة الأزهر م ٢٥ ص ٦١٣.

المكانة العلمية للأئمة السّتة الأوائل

استكمال دراسة فحوى الفصل الرابع [1]

لاحظنا أن هذا الفصل مختصر جدًا ولايفى بالغرض، إذ يحتاج الأمر إلى مزيد إيضاح ليتبيّن أن الأئمة الستة الأوائل-بما فيهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه-كانوا أئمة فى العلم والفقه، وقد وضعهم أهل السنّة والجماعة فى هذه المكانة الرفيعة بلاغلو أو اعتقاد بعصمتهم أوأنهم منصوص على إمامتهم من النبى ﷺ.

وإذا ثبت خلو أقوالهم من النص وهم الأقرب لأهل البيت، ثبت زيف إدّعاء النص على باقى الإثنى عشر.

وخلاصة الدراسة تصدقّ ماقاله ابن تيمية (والذى علمناه من حال أهل البيت علماً لاريب فيه أنهم لم يكونوا يدعون أنهم منصوص عليهم كجعفر الصادق وأبيه وجده زين العابدين على بن الحسين وأبيه).

وها نحن نوفى الموضوع حقه بإلقاء الضوء على المكانة العلمية للأئمة الأوائل، بادئين بأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه:

١ - علىٌ بن أبى طالب رضى الله عنه:

- تقدّم الحديث في **الفصل الثالث** عن إمامة على بن ابى طالب رضى الله عنه وقد استوفاه ابن تيمية بعلم وأمانة وعلّو المكانة.

* * *

---

(١) هذه الإضافة لم تكن ضمن الفصل الرابع من الكتاب، وهى بقلم الأستاذ الدكتور مصطفى حلمى.

(٢)
الحسن بن على رضي الله عنه
(٥٠هـ - ٦٧٠م)

وهو الإمام الثانى عند الشيعة. أما أهل السنة فقد اعتبروه آخر الخلفاء الراشدين بنص الحديث: «**الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك**»، كما ذكر السيوطى أنه «لم يكن فى الثلاثين إلا أيام الخلفاء الأربعة وأيام الحسن»[(١)].

ولكن خلافته لم تدم سوى نحو ستة أشهر إذ تنازل عنها لمعاوية حقنا للدماء، واشترط فى كتاب الصلح الذى وجهه إلى معاوية أن يعمل بكتاب الله وسنة النبى ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده. وأضاف: «وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدًا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»[(٢)] وأصبح العام الذى تم فيه الصلح بين الاثنين يسمى بعام الجماعة، وتحقق فى الحسن قول الرسول صلوات الله عليه: «**إن إبنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»

ويرى القلقشندى أن فى خلع الحسن لنفسه وتسليمه الخلافة لمعاوية ظهور معجزتين للنبى ﷺ فيما تحقق من الحديثين المتقدمين[(٣)].

وقد ثار أصحاب الحسن عن تنازله عن بيعتهم إلى معاوية، وكان على رأس الساخطين قيس بن سعد بن عبادة إذ قال له أصحابه: «الحمد لله الذى أخرجه من بيننا فانهض بنا إلى عدونا» ولكنهم لم يلبثوا أن إستمعوا إلى صيحة أحدهم: «هذا أميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم»[(٤)].

---

(١) ابن حجر: تعليق رقم ٢ بهامش ص ١٢٣ من كتاب الصواعق المحرقة (خصائص أمير المؤمنين).
(٢) نفس المرجع: ص١٣٤.
(٣) القلقشندى: مآثر الأناقة فى معالم الخلافة. جـ١، ص١٠٨(متوفى فى ٨٢١هـ).
(٤) الأصفهانى: مقاتل الطالبين. ص٦٥.

وبلغ من سخط أصحاب الحسن عليه أن دعوه «ياعار المؤمنين» أو«يامذل المؤمنين»، فكان يدافع عن نفسه بقوله:

«العار خير من النار أو-لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك»[1] ويعتقد الشيعة أن الحسن مات مسموماً بفعل معاوية بن أبى سفيان، إلا أن أستاذنا الدكتور النشار أتى بنص هام لأقدم مصدر شيعى وهو كتاب المقالات لأبى خلف القمى إذ يقرر أنه مات من جراحته التى أصيب منها بعد محاربة معاوية[2].

أما البغدادى فيرى أن سبب مصالحته لمعاوية إلى غدر أحد أتباعه إذ طعنه فى جنبه فصرعه[3].

ويذكر النوبختى أن أتباع الحسن خالفوه وطعنوا فيه عندما صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة، وانعكس تأثير هذا السخط على أحدهم ويدعى (الجراح بن سنان) الذى طعنه فى فخذه قائلاً له: «الله أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل»[4].

ولكن يبدو من هذا النص أن قائله لابد وأن يكون من الخوارج وليس من أتباعه أو يحتمل إضمامه إليهم خفية وهو يضمر فى نفسه العداء له كما كان يحمل الخوارج العداء لأبيه.

ويعتبر النوبختى أن أتباع الحسن تشكل «فرقة»، إذ أنها تقلب القول بإمامته بعد موته إلى القول بإمامة أخيه الحسين ثم أخذتها الحيرة بمقتل الحسين لأنه اختلط عليها ما أداه كل من الحسن وأخيه الحسين وأيهما المصيب وأيهما المخطئ.

هل أصاب الحسن عندما وادع معاوية بالرغم من عجز الأخير عن محاربة الحسن لكثرة أنصاره وأتباعه أم كان خطئًا؟ وبالمثل، هل كان الحسين فى قتاله ليزيد

(١) ابن الحجر: الصواعق. ص١٣٥.
(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٧.
(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق. ص٢٦.
(٤) النوبختى: فرق الشيعة. ص٢٤.

مخطئًا أم مصيبًا مع ضعف أنصار الحسين وقلتهم وكثرة جنود يزيد بن معاوية؟

وعلى هذا فإنهم شكوا فى إمامتهما معًا، لأن الحسين لو لم يحارب يزيد لكان عذره أكثر قبولا وسبب قعوده عن محاربته أكثر وضوحًا من طلب الصلح والموادعة الذى تم من الحسن لمعاوية.

ثم افترقوا بعد استشهاد الحسين إلى ثلاث فرق: أولها من قالت بإمامة محمد ابن الحنفية لأنه أقرب الناس إلى أمير المؤمنين على بعد الحسن والحسين وأنه أولى بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن والحسين. وفرقة ثانية ادعت أن محمد بن الحنفية هو الإمام المهدى وصى على بن أبى طالب «وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولايخرج عن إمامته ولايشهر سيفه إلا بإذنه»[1] واستدلوا على ذلك من أن تنازل الحسن لمعاوية تم بعد موافقة أخيه محمد بن الحنفية على المصالحة بعد أن صرح له من قبل بمحاربته، وكذلك فعل مع الحسين حيث صرح له بمقاتلة يزيد «ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وأن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك»[2].

ثم ظهرت بوادر الغلو على أثر وفاة محمد بن الحنفية إذ قال بعض أتباعه أنه لم يمت ولن يموت «ولكنه غاب ولايدرى أين هو وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه»[3].

---

(١) النوبختى: فرق الشيعة. ص٢٦.

(٢) النوبختى: فرق الشيعة. ص٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٧.

(٣)
الحسين بن على رضي الله عنه
(٦١هـ - ٦٨٠م)

اعتبر الحسين سيد شهداء الشيعة، وكان مقتله، أكبر حادث فى تاريخ الإسلام السياسى والروحى[١].

ومن الأحاديث التى روت عن النبى ﷺ فى ذكر الحسين قوله ﷺ: «**حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسينًا، الحسن والحسين سبطان من الأسباط**»[٢].

وقد نسج الخيال الشيعى خيوطه حول مأساة مقتل الحسين، فمن الآثار الأسطورية لهذه الموقعة أن آفاق السماء احمرت لمدة ستة أشهر، أو أن الحمرة لم تكن تظهر قبل مقتل الحسين، أو أن الله تعالى قد أظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهارًا لعظم الجناية[٣].

ولكن الثابت أن الحسين قاتل بشجاعة بالرغم من قلة عدد المحاربين فى صفه، كما يجمع الرواة على أن كاتبوه وبايعوه أخلفوا وعدهم وبيعتهم، وأن المخلصين له قد نصحوه بعدم الخروج لمحاربة يزيد بن معاوية ولكنه أبى.

ويعطى الفرزدق صورة دقيقة لماحة للموقف إذ قال للحسين: «سقطت يا بن رسول الله ﷺ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء»[٤].

ولكن الحسين تقدم بشجاعة نادرة ينشد:

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٨.

(٢) ابن حجر: الصواعق المحرقة. ص١٩٠.

(٣) المرجع السابق: ص١٩٢.

(٤) الصواعق المحرقة. ص ١٩٤و١٩٥.

أنـا ابنُ عليٍّ الحـبـرُ من آل هـاشم ... كفـانى بهـذا مفخـرا حـين أفتـخر

وجدى رسـولُ الله أكرمُ من مَـشى ... ونحن سـراج الله فـى الناس يزهر

وفـاطمـةٌ أُمِّـى سـلالة أحـمـد ... وعـمى يدعى ذا الجنـاحين جعـفـر

وفينـا كتـاب الله أنـزل صـادقا ... وفينا الهدى والوحى والخير يذكر[١]

وثبت فى المعركة دون خوف أو وجل مما أصبح قدوة لحركة التوابين حين قامت لتقتص من قاتليه.

وكان لخذلان أهل الكوفة له صدى بعيد فى نفوس الشيعة لزمن طويل.

فحـتى أولئك الذين بعـثوا بالكتب والبـيعـة إلى الحسين خـذلوه فى اللحظات الحاسمة، وتخلوا عنه وتركوه إلى مصيـره من قتل وإهانة وتمثيل بجسده، فلا غرو أن يجد الحـسين نفسه فى النهاية بين أفـراد قلائل من الأصحاب وأهل بيـته وهم تسعـون بين رجل وامرأة[٢] أن يطلب الكف عن القتال فيما يروى ابن قـتيبة فقال لعمرو بن سعيد الذي أرسله لعبيـد الله بن زياد لقتالهم: «ياعمرو اختر منى ثلاث خصال إمـا أن تتركنى أرجع كما جـئت فإن أبيت هذه فأخرى سـيرنى إلى الترك أقـاتلهم حـتى أموت أو تـسيـرنى إلى يزيد فـأضع يدى فى يده فـيـحكم فى بما يريد»[٣].

ولم يخرج مع الحسـين إلا عددًا قليلاً جداً من أهل المدينة كمـا لم يناصره أهل الكوفة بل خذلوه سـاعة المحنة وتركوه يلقى مصـيره وحده مما دفع الحمـية ببعض جند أعدائه إلى الإلتحاق بجيشه والقتال دفاعا عنه لأنهم إستنكروا أن «يعرض ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا يقبل أعداءه واحدة منها»[٤].

(١) الصواعق المحرقة. ص ١٩٤و١٩٥.

(٢) لابن قتـيبة: الإمام والسـياسة. جـ٢، ص٤، ويقول ابن حـجر فى الصواعق ص١٩٥: ومعـه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفسا:

(٣) الصواعق المحرقة: ص٥.

(٤) نفس المصدر: ص٥.

إن البعض بعث الكتب إلى الحسين ثم لم يفعلوا شيئًا إلا أن يرقبوا المعركة من بعيد، وقلة منهم هم الذين آزروه وناصروه، ثم قتل غيلة وغدرًا. كل هذا خلق الشعور بالذنب، هذا الإحساس هو الذى دفع «هؤلاء الشيعة إلى القتال والموت»[1] ثم كانت المعين الذى لاينضب للأساطير والروايات الشيعية، وأحد أسباب الغلو التى ظهرت بعد ذلك لتفتح الطريق للمذاهب والأفكار أن تنفذ إلى قلوب الشيعة وعقولهم.

فلم تكن المحبة فى أول أمرها للبيت النبوى إلا عاطفة رقيقة، ولكن مصرع الحسين بهذه الصورة المروعة حول هذه العاطفة فكبرت وتضخمت ثم تحولت إلى عقيدة نال منها الغلو والتطرف حينا وابتعد عنها أحيانا. ولكنها ظلت تلتقط الأفكار والنظريات لتخلق منها تكئة لهذه المعتقدات.

والمتبع لسياق الأحداث بما أجمع عليه المؤرخون والباحثون من ملاحظة تخلف أنصاره بالكوفة عن القتال معه، لايوجد صعوبة فى الاستنتاج بأن الصياغة التى تمت للمذهب الشيعى بصورته الفلسفية فى أيام الجعفر الصادق كانت فى الحقيقة صدى لهذه المعركة الطاحنة التى ذهب ضحيتها ابن بنت رسول الله صلوات الله عليه.

ويرى ابن تيمية أن الاختلاف فى شأن مقتل الحسين تفرق إلى ثلاث وجهات نظر منها أن قتله كان حقا لأنه شق عصا المسلمين وفرق جماعتهم بينما ينص الحديث النبوى على أنه: «**من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه**» فقاسوا الأمر على ما فعله الحسين ولهذا يعد أول خارج على ولاة الأمر فى الإسلام، ولكن الشيعة ترى إنه كان الإمام الواجب طاعته الذى لايتم أمر من أمور الدين من جهاد أوصلاة إلابه.

وكلا الرأيين متطرفان.

أما المذهب الوسط-وهو مذهب أهل السنة والجماعة-فيعتبر أن الحسين قتل

(1) الخوارج والشيعة: ص١٦٩.

شهيدًا مظلومًا ولاينطبق عليه الحديث السابق ذكره، لأنه «طلب أن يذهب إلى يزيد أو إلى الثغر أو إلى بلده فلم يمكنوه وطلبوا منه أن يستأشر لهم وهذا لم يكن واجبا عليه»[1].

وكان مقتل الحسين فرصة سانحة لظهور البدع، فهناك بدعة الحزن والنواح ولطم الخدود يوم عاشوراء وما يفضى إلى ذلك من لعن السلف وقراءة أخبار مقتله بكثير من التحريف والتهويل مما يفتح باب الفتنة بين الأمة الإسلامية.

ومقابل النواح والعويل كان يفرح قوم من الناصبة أعداء أمير المؤمنين على وأولاده كالحجاج بن يوسف الثقفى واختلفت الأحاديث حيث رووا «من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» (وهو حديث لا إسناد ثابت له كما يقول ابن حنبل).

ويأتى ابن تيمية بحادثة نقل رأس الحسين إلى يزيد كما رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك، ونقلت بواسطة أبى نعيم عن ابن عمر، ثم يطعن في صحة الحادثة ودليله على ذلك أن هؤلاء الصحابة الذين حضروا واقعة قيام يزيد بالنكت على ثنايا الحسين لم يكونوا بالشام بل كانوا بالعراق.

ويروى أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين إذ لاغرض له من قتله وإنما أراد أن يكرمه كما أمره بذلك أبوه معاوية. ولما وجد الحسين أن أهل العراق خذلوه ويودون تسليمه إلى يزيد طلب أن يرجع بلده أو يقابل يزيد أو يذهب إلى الثغر فمنعوه وقاتلوه حتى قتل شهيدًا مظلومًا.

بل «إن خبر قتله لمابلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد: لعن الله ابن مرجانة يعنى عبيد الله بن زياد أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله (.. قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين)[2]».

(١) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٤٧و٢٤٨.
(٢) منهاج السنة: ص٢٤٩.

ويعيب ابـن تيميـة على يزيد أنه لم يثأر للحـسين ولم يقتل قـاتله، ولكنه فى الوقت نفسه يطعن فى الأخبار التى تروى عن سبى نساء الحسين، ويرجع مصدرها إلى أهل الهوى والجـهل لأنه لم يحدث قط أن سـبى المسلمون هاشـمية كـما لم تستحل أمة محمدﷺ أبدًا سبى نساء بنى هاشم.

وخطأ الفهم فى تصديق مثل هذه الأخبار يرجع إلى عدم التفرقة بين ما قيل من أن-الحجاج قتل الأشراف، وبين بنى هاشم.

ويمكن تفسير ذلك من الخلط بين الأشخاص المنتمين حقيقة إلى بنى هاشم وبين البعض الآخر الذى يدعى كذبا أنه علوى بينما نسبه مطعون فيه.

وينفى ابن تيمية نفـيًا قاطعًا أن الحجاج قتل أحـدًا من بنى هاشم مع كثرة قتله لغيرهم. والذى يساعد ابن تيمية فى وصوله إلى هذا الجزم أن عبد الملك كتب إلى الحـجاج يقـول له: «إيّاك وبنى هاشم أن تتـعرض لهم فـقد رأيت بنى حـرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم»[1].

فإذا قيل أن الحجـاج قد قتل كثيرًا من أشراف العـرب فيجب أن ينصرف المعنى إلى سـادات العـرب، ولكن الحلى ظن خطـأ أن الأشراف بمعـنى بنى هاشم لأن إصطلاح الأشراف فى مفهومـه لاتخرج عن بنى هاشم، بينما الأشراف عند بعض البلاد هم أولاد العباس وفى بعض هم أولاد على.

فالمسـلمون كانوا يـوقرون بنى هاشم ويعظمـون كل من ينتمى إليـهم بدليل أن الحجاج تزوج ببنت عبد الله بن جعـفر فلم يقبل ذلك بنو أمية ونزعوها منه لأنهم يعظمون شأن بنى هاشم.

فلم يطف برأس الحسـين ولم يقم يزيد بسبى عيـاله بل أنهم عندما دخلوا بيـته قامت النساء نائحات باكيات، وأكرمهم يزيد وأحسن وفادتهم وخيرهم بين الإقامة عنده أو المسكن بالمدينة فاختاروا الرجوع. فكل ما قيل غير هذا فهو تلفيق وكذب.

(١) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٤٩.

أما قـتل الحسين فهو بلا ريب من أعـظم الذنوب وإن «فاعل ذلك والراضى به والمعين عليه يستحق لعقاب الله الذى يستحقه أمثاله»[1] ولكنه فى نـفس الوقت ليس أفـدح من وقع من قـتـل من قـبل من النبـيين وقـتلى المسـلمين الأولين فى معاركهم الطاحنة ضد المشركين كشهـداء أحد وقتلى حرب مسيلمة الكذاب، وقتل عثمان وقـتل أبيه على بن أبى طالب حيث ظن قاتلوه أنهم يتـقربون إلى الله بقتله لأنه فى إعتقادهم كافر. أما المحاربون للحسين فـلم يعتقدوا كفره بل وأكثرهم قتله «لكن قتلوه لغرضهم كما يقتل الناس بعضهم بعضا على الملك»[2].

أما التـرهات التى تحكى عن أمطار السماء دمًـا وظهور الحمرة فى السـماء منذ ذلك الوقت فإنها محض هراء لأن سبب هذه الحمـرة طبيعى عندما تكون الشمس فى منزل الشفق.

ويفند ابن تيمية مـا يقوله الشيعة من إكثاره الوصـية للمسلمين فى ولديه الحسن والحسين بحديثه: هؤلاء وديعتى عندكم وأنزل الله فيهم: **﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** ويورده على أسباب ثلاثة:

إنه يقر أولا بـالحق والواجب للحسين والحـسين، ويستـشهد بخطبـة النبىﷺ بغدير خم الواقع بين مكة والمدينة حـيث قال: «**إنى تارك فيـكم الثقلين أحـدهما كتاب الله وعترتى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى**» فالحـسن والحسين من أعظم أهل بـيته إختـصـاصًا به لأنه وزع كسـاءه على على وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتـى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**».

ولكنه لايؤيد صحة الحديث الذى يعتبر الحسن والحسين وديعة بين المسلمين لأنه غير مدون بكتب الحديث المعتـمدة، ولأن الحفظ لايكون إلا للمال لا للرجال وإن كان يقصد كما يستودع الرجل أطفاله لم يربيهم ويحفظهم فإنهما كانا قد بلغا مبلغ

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٤٩.

الرجال وأصبح كل منهما مسئولا عن نفسه.

والنبى ﷺ أعظم من أن يـودعهـمـا لمخلوق، وإن «أراد أن الأمـة-تحفظـهمـا وتحرسهما فالله خير حافظ وهو أرحم الراحمين»[1].

النقطة الثالثة: التى يستند إليها ابن تيمية فى تدعيم وجهة نظره أن الآية: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ من سورة الشورى وهي مكية نزلت قبل أن يتـزوج على بفاطمـة وقبل أن يولد الحسن والحسين. فـالثابت أن عليـا تزوج فاطمة فى المدينة فى العـام الثانى من الهجرة. وقد بين ابن عبـاس أنه ما من قبيلة من قريش إلا وبينها وبين الرسـول ﷺ قرابة، فمعنى هذه الآية: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ «إلا أن تودونى فى القرابة التى بينى وبينكم» ولم يقصد بها عليا وفاطمة وأبناءهما على وجه التحديد كما ذكرت بعض المصادر خطأ لأن سورة الشـورى جميـعها مكية، بـينما ولد الحسن سنة ثلاث من الهـجرة فى منتـصف رمضـان، وولد الحـسين فى الخامـس من شهـر شعـبـان سنة أربع من الهجرة[2].

(١) المصدر السابق: ص٢٥٠و٢٥١.
(٢) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٥٠و٢١٥.

(٤)
على زين العابدين
(٩٤ أو ٩٥هـ - ٧١٢ أو ٧١٣م)

أنه من سلالة فاطمة الزهراء، وإبن الحسين بن على بن أبى طالب الذى نجا من المعركة التى استشهد فيها أبوه، حتى تبقى ذرة الحسين فى عقبه.

فكما اختلفت الشيعة على أثر مقتل الحسين فانحاز بعضهم إلى محمد بن الحنفية بينما رأى البعض الآخر انتقال الإمامة إلى على بن الحسين هذا، فقد تنازعته الفرق فيما بينها وضمه أهل السنة والجماعة إلى صفوفهم، وعتبرته الشيعة الإثنى عشرية أحد أئمتهم الذين انتقلت إليهم الإمامة الروحية بعد أبيه الحسين.

أما الشيعة الإثنى عشرية، فإنه تمشيا مع المذهب الذى التقط فى نشأته وتطوره كثيرًا من الأساطير والآراء الغالية، فقد أرجع إمامته-دون عمه محمد بن الحنفية-إلى نتيجة التحكيم عند الحجر الأسود حيث نطق الحجر«إنه الإمام الحق»[1] فأصبح هو الإمام بعد أبيه الحسين.

وأضافوا إليه العلم بالغيبيات، إذ علم بالكتاب الذى كتبه عبد الملك للحجاج ينهاه فيه عن اجتناب دماء بنى عبد المطلب، فذكره محدد لليوم والنص حتى بهت عبد الملك عندما اكتشف صحة تنبؤه «فسأله أن لا يخليه مع صالح دعائه»[2].

وبحكم نشأة هذا العابد الفذ فى ظل الأحزان والمكابدة والآلام، ألقى بنفسه فى بحر العبادة، وهام مع عبوديته لربه فكان «إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فقيل له فى ذلك فقال: ألا تدرون بين يدى من أقف؟»[3].

(١) دونلدس: عقيدة الشيعة. ص١١٨.
(٢) ابن حجر الهيثمى: الصواعق المحرقة. ص١٩٨.
(٣) نفس المرجع والصفحة.

إنه لجأ إلى العبادة بعيدًا عن هذا المعترك السيامى المضطرب بالأحداث على أثر مقتل أبيه الحسين، وثورة المدينة ومكة فى وجه الحكم الأموى.

وقد أنقذ على بن الحسين الكثيرين من أهل المدينة بمصالحته وبيعته لمسلم بن عقبة. وعندما مات يزيد بن معاوية لجأ إليه العراقيون يحاولون جذبه إلى نفس المنزلق الذى وقع فيه أبوه وجده، ولكن «الحوادث كانت قد صقلته صقلاً نهائياً»(١) فأبى.

وظلت قلوب المسلمين من حوله تتطلع إليه حبًا فى السلالة الطاهرة التى تفرع منها، فلا غرو أن يعرفه الكافة عندما أراد الوصول إلى الحجر الأسود تكملة لمناسك الحج فتفسح له الطريق، وكانت مناسبة التقطها الفرزدق ليعرف بها فى قصيدته المشهورة هشام بن عبد الملك الذى لم يلق إليه المسلمون بالا وهو ابن ذى السلطان.

قال الفرزدق:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذُروة العز التى قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجم

ولكن العاطفة لم تكن تظل بصورتها التلقائية نحوه ونحو أهل البيت النبوى إذ مشى فيها وباء الغلو والتطرف، فلما تناهى إلى سمعه بعضها وقف فى وجهها بشدة وتبرأ من معتنقيها.

فمن أقواله لبعض الشيعة: «أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح حبكم حتى صار علينا عارًا وحتّى بغضتمونا إلى الناس»(٢).

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١١٨.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص٢٦.

وهو بمثل هذا القول، وبأقوال أخرى أوردها الأستاذ الدكتور النشار، يمكن أن نصل إلى نفس الاستنتاج الذى استخلصه من تلك النصوص، وهو أن نظرة أهل البيت لأنفسهم لم تكن أبدًا بالصورة التى تناقلتها الشيعة-خاصة المتطرفين منهم-كذلك رأيهم فى الصحابة الأولين فكانوا موضع إجلال وإكبار لامحل سخط ولعن. «ولا عجب أن نراه يتولى أصحاب محمد رسول اللهﷺ ويدعو لهم فى الصحيفة السجادية المنسوبة إليه، وأن نرى إبنه الإمام زيدًا يتابع سنة أبيه ويختلف مع غلاة الشيعة فى الكوفة فيما بعد حين يتولى الشيخين»(1).

ويذهب الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة إلى مثل هذا الرأى مستخلصا إياه من الرواية التى ذكرها ابن كثير فى (البداية والنهاية)، وخلاصتها أن على بن الحسين جلس إلى قوم من أهل العراق فنالوا من أبى بكر وعمر فسألهم: أأنتم من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله؟ قالوا: لا، فسألهم ثانية: أفأنتم من الذين **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾** فأجابوا بالنفى للمرة الثانية فقال لهم: أما أنتم قد أقررتم على أنفسكم وشهدتم على أنفسكم إنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾** فقوموا عنى لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله.

وإن كانت هذه الرواية منسوبة إلى محمد الباقر بن على زين العابدين فإن الأستاذ الشيخ أبوزهرة يرى احتمال تكرر الواقعة من الأب والابن فتكرر معها القول(2).

فلا عجب إذًا أن يضع على زين العابدين نفسه فى تيار السنة العام(3)، لأنه

---

(1) نشأة الفكر: جـ2، ص126.

(2) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام زيد. ص26.

(3) نشأة الفكر: جـ2، ص126.

استنكر الغلو فى حب أهل البيت النبوى فنسبت إليهم العصمة والقداسة، ولأنه أيضًا كان من تلاميذ العالمين الكبيرين: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير(١).

ولهذا لم تضعه الشيعة المعاصرة له فى سلسلة الأئمة الخالدين أو المعصومين أو الراجعين كما يقول أستاذنا الدكتور النشار حيث قطع الطريق أمام كل غال بطراز حياته التى قضاها متعبدًا حتى أطلق عليه «زين العابدين».

وقد وصل أستاذنا الدكتور النشار فى بحثه عن حياة هذا العابد التقى الإيمان إلى نتائج هامة تتلخص فيما يلى:

أولا: أنه لم يختلف مع ابن عمه محمد بن الحنفية وأن أسطورة الاحتكام إلى الحجر الأسود ما هى إلا محض افتراء.

ثانيًا: لقد اتسم حقاً بالحزن وعرف بكثرة البكاء حتى عد أحد البكائين الخمسة بعد آدم ونوح ويوسف ويحيى وفاطمة إلا أنه لم يعرف فى حزنه المقت والضغينة الذى انقلب إليه حزن الشيعة بعده.

ثالثاً: من الخطأ القول بأنه وضع نظامًا معينًا للزهد، وأن الصحيفة السجادية المنسوبة إليه موضوعة بواسطة الشيعة المتأخرين.

رابعاً: شهر السلاح فى وجه أنواع الغلو كلها وكره الكلام العقلى(٢).

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٢٦.
(٢) نشأة الفكر: من ص١١٧إلى ص١٣٣.

(٥)
محمد الباقر
(١١٣هـ-٧٣١م)

كان أبوه على زين العابدين علمًا على العبادة والتقوى ثم أصبح من بعده ابنه الباقر رمزًا للعلم الذى تفرغ له فى عزلته بالمدينة. وسمى بالباقر لتبقره بالعلم أو لأنه بقر العلم بقرًا[١].

ونسبت إليه الشيعة آراء فى نظرية الإمامة حيث أكد صفة الإمام الروحية، ووراثة النبى ﷺ لعلم الأنبياء ورثها الباقر عنه مع انتقال الإمامة الروحية إليه ثم تروى القصص الكثيرة عن مقدرته على إحياء الموتى وإبراء الأكمة بإذن الله.

ومن أقواله التى ينسبها إليه الشيعة، أن الوحى المنزل على النبى ﷺ يختلف عما هو منزل على الإمام، فالنبى ﷺ ربما سمع الكلام أو رأى الشخص (أى جبريل عليه السلام) ولم يسمع، أما الإمام فهو الذى يسمع الكلام ولايرى الشخص. كما أن الأئمة معصومون وبهم ينظر الله إلى الناس بعين الرحمة ولولاهم لهلك الناس[٢].

ويذكر السيد أسد حيدر أن حركة الغلاة الهدامة كانت تقوم على إسناد الأحاديث الكاذبة إلى الباقر وإبنه الصادق بعده. فممن أسند إليه المغيرة بن سعيد ادعى الاتصال به-أى بالباقر- وأخذ يروى عنه الأحاديث المكذوبة، فلما علم الإمام الصادق بخبره نهى عن تصديقه بقوله: «لاتقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدًا من أحاديثنا المتقدمة فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس فى كتب أصحاب أبى أحاديث لم يحدث بها»[٣].

(١) دونلدس: عقيدة الشيعة. ص١٢٤.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٢، ص٤٠و٤١.

ويبدو أن الغلاة انتهزوا فرصة إحاطته بعلوم الفقه والحديث، وكثرة عدد من يقصده من العلماء المستفسرين عما استشكل عليهم من أمور، ليدسوا ما شاء لهم الدس. فإن الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة يؤيد أن مجلسه العلمى كان يضم العلماء من كل حدب وصوب مع اختلاف المذاهب والأهواء، فمن زواره علماء يتشيعون لآل البيت، وآخرين من أهل السنة (منهم الإمام أبو حنيفة) وبعض الغلاة الذين أفرطوا فى تشيعهم «فكان يبين لهم الحق، فإن اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحق الكامل وإن إستمروا على غيهم صدهم، وأخرجهم من مجلسه»[1].

وكان الإمام الباقر يجل الصحابة وينهى عن الإساءة إليهم، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر فيقول: «من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السنة»[2]، كما أعلن البراءة ممن يتناولهما ويزعم أنه يحب أهل البيت النبوى.

إلا أن الشيعة الإمامية يرون أن الإمام الباقر هو واضع علم الأصول وليس الشافعى وإن اعترفوا للشافعى بأنه ألف فى الأصول ووسع دائرة بحثه، لكنه جاء متأخرًا عن مصنفى الشيعة. ويذهب السيد أسد حيدر فى هذا المعنى إلى أن «هشام ابن الحكم كان أسبق من الشافعى لأنه ألف مباحث الألفاظ من الأوامر والنواهى والبيان والنسخ وغير ذلك الذى تلقى معلوماتها عن أستاذه الإمام الصادق قبل ولادة الشافعى»[3].

ولاينقض الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة هذا القول، ولكنه يميل إلى أن آثار الإمامين الباقر وبعده الصادق كانت من إملائهما أو مذكراتهما لتلاميذهما «وليس تدوينًا مبوبًا مرتبًا كرسالة الشافعى التى أثرت عنه»[4].

ويقر ابن تيمية أن الباقر كان من «خيار أهل العلم والدين» ولكنه لايرى أنه «أعلم أهل زمانه» كما يسميه الحلى، لأن الزهرى عند ابن تيمية-وهو من أقران

---

(١) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام الصادق. ص٢٢.

(٢) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام الصادق ص٢٤.

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق. جـ٢، ص٢٦.

(٤) أبى زهرة: الإمام الصادق. ص١٧.

الإمام الباقر-أعلم منه[1].

وقد تعرض أستاذنا الدكتور النشار إلى الأحاديث المنسوبة إلى الإمام الباقر وفندها تفنيدًا علميًا. ومن هذه الأقوال تعليل الحاجة إلى الإمام لكى يرفع الله العذاب عن أهل الأرض، ثم الحديث الخطير المنسوب إليه على وجوب طاعة المسلمين لأمير المؤمنين على حتى فى حياة الرسولﷺ «ولكنه صمت فلم يتكلم فى حياة الرسولﷺ.

يقول الأستاذ الدكتور النشار: «إن صح حقًا أنه دعا إليها-أى **نظرية الإمام الصامت والإمام الناطق**- فقد دعا إلى نظرية أو وضع أساسًا لنظرية من أدق النظريات الغنوصية والتى استخدمت لدى الإسماعيلية. والغلاة فيما بعد»[2].

ولكن مكانة الإمام الباقر البارزة بين المحدثين الذين يلتزمون بالقرآن والسنة، تنفى عنه التأثر بأى مؤثرات خارجية-مثل هذا الأثر الغنوصى الواضح-لأن عالم الحديث الحق «يتحرى الحديث تحريًا علميًا»[3].

فمن الواضح إذًا أن مثل هذه الأقوال منسوبة إليه بواسطة الغلاة.

وبصرف النظر عن تعدد الفرق الشيعية واختلاف آرائها وعقائدها-وهى الظاهرة الملحوظة من واقع المصادر كلها، فأننا سنلتزم بالسياق الذى يضم سلسلة الأئمة، فننتقل إلى الإمام جعفر الصادق.

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٣٦.

(٢) نشأة الفكر: ص٢ ص١٣٦.

(٣) منهاج السنة: ١٤٢. نشأة الفكر: جـ٢.

(٦)
الإمام جعفر الصادق
(١٤٨هـ-٧٦٥م)

هو أبو عبد الله جعفر بن محمد، يعتبره الشهرستانى ذا علم غزير وورع تام عن الشهوات ويسرد موجزًا لتاريخ حياته المتصل بدعوى الإمامة، فيخبرنا أنه أقام بالمدينة يفيض من علومه على الموالين له، فلما انتقل للعراق لم ينازع أحدًا فى الخلافة ولم يتعرض لها. ثم يفسر عزوفه عن الخلافة بتعليل دقيق رائع فيقول: «ومن غرق فى بحر المعرفةلم يطمع فى شط، ومن تعلى إلى ذرة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من آنس بالله توحش عن الناس، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس»[1].

هذا ما يقوله الشهرستانى. ورأيه فى هذه النقطة يعبر عن رأى جمهور أهل السنة الذين يقولون: «إنه لم يكن خليفة ولم يطالب بها ولم ينازع» ولكن الشيعة لهم رأى آخر، فهو عندهم لم يخرج داعيًا لنفسه لأنه عمل بمبدأ التقية، فنقلوا عنه قوله: «التقية دينى ودين آبائى»[2].

ولكن الأستاذ الشيخ أبوزهرة ينفى عن الإمام الصادق مطالبته بالإمامة بالرغم من أن المتشيعين له بالعراق كانوا ينادون به إمامًا، ذلك بأنه رأى خذلانهم لعمه الإمام زيد ثم قتله وصلبه بطريقة منكرة فعلم أن الشيعة فى عصره يحرضونه ولن ينصروه. واستكملت تجربة الإمام زيد حلقاتها باستشهاد كل من محمد بن عبدالله ابن الحسين فى المدينة وأخيه إبراهيم بالعراق فأثرت فى نفسه وعزف عن السياسة لا جنًا إلى العلوم يغترف من منابعها[3].

(١) الملل والنحل: جـ١، ص٢٧٢.
(٢) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام الصادق(حياته وعصره وآراؤه وفقهه)ص٤٠.
(٣) الشيخ محمد أبوزهرة: ص٤٢.

وقد اشتهر الإمام الصادق بعلمه الغزير، ويذهب الشيعة إلى أن مدرسته بالمدينة كانت جامعة إسلامية كبرى تجذب إليها العلماء من أجزاء العالم الإسلامى، وينسبون إليه العلم الموروث عن جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وأنه لم يجهل الإجابة على أى سؤال وجه إليه، فمن أقواله التى ينسبونها إليه: «سلونى قبل أن تفقدونى فإنه لا يحدثكم أحد بمثل حديثى»(١).

ولهذا أصبح جعفر الصادق عند الشيعة هو الذى قام «بنشر الإمامية والمعارف الحقيقة والعقائد اليقينية»(٢).

ولايعارض أهل السنة فى وضع الإمام الصادق فى المكانة العلمية الممتازة التى يستحقها فهو عند إمام أهل السنة والجماعة -ابن تيمية- من خيار أهل العلم ولكنه مع هذا لايوافق على العبارة السابقة التى أوردها الحلى، لأنها تعنى إما أنه ابتدع فى العلم أو أن السابقين عليه قصروا فيه.

وفى اعتقاد مثل هذا التفسير شك فى أن النبىﷺ قد أوضح لأمته المعارف الحقيقة والعقائد اليقينية وهو مالم يحدث.

فإذا جعلت الشيعة للإمام الصادق هذا الدور الذى نسبوه إليه، فإنه يعنى القدح فى الرسول ﷺوأصحابه، فمثل هذه الإعتقادات إذًا دخيلة على الإمام جعفر ومنسوبة إليه كذبًا كأنواع الأكاذيب الأخرى مثل الجفر أو رسائل إخوان الصفا وغيرها المنسوبة إليه خطأ(٣).

أما ما عرف عن الإمام الصادق من تنبؤاته بالأحداث المقبلة، فيفسرها أهل السنة بأنها من قبيل الإشراق النفسى. ولايوافق الأستاذ الشيخ أبوزهرة على ما تذهب إليه الشيعة فى إعتقادها بأن علم الإمام الصادق كان إشراقيًا خالصًا وليس كسبيًا، ومع أنه لايبخسه حظه من درجة الإشراق الروحى، إلا أنه يعتبره إمامًا مجتهدًا.

(١) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٣، ٢ص٢١.
(٢) ابن تيمية: منهاج السنة. جـ٢، ص١٢٤.
(٣) منهاج السنة: جـ٢، ص١٢٤.

ومما يؤيد هذا:

- **أولا:** يبنى الشيعة عقيدتهم فى أن علم الإمام جعفر إلهامى على مقدمتين: أولهما: أن شريعة الله واحدة لكل زمان ومكان، وهو عز وجل رحيم بعباده لم يتركهم هملا بل ترك فيهم هاديًا ومرشدًا حتى لايقعوا فى الاختلاف، وهو الإمام الذى يبين الشريعة ويهدى إلى السبيل الذى يسلكونه فيما يجد لهم من أحداث. ومن هذا تتفتق المقدمة الثانية فلابد أن يكون هذا الإمام معصومًا وإلا لما كان ظاهر الحجة، وأصبح كغيره من العلماء وليس قائمًا بحجة الله تعالى فى الأرض(1).

ونتيجة المقدمتين فإن الإمام معصوم عن الخطأ، يتلقى العلم بالإلهام، وبوصية من أسلافه.

ولا يسلم الأستاذ الشيخ أبوزهرة بهاتين المقدمتين لأن «أقصى ما تدل عليه حاجة الناس إلى مفسر للشريعة مستنبط لأحكامها. وقد قرر ذلك العلماء»(2).

ولا تدعو الحاجة إلى وجود ملهم بقدر ما تقتضى الحوادث وجود عالم بالكتاب والسنة، وإن كان هذا سيدعو إلى الاختلاف فى الفروع مما لاضرر فيه، فالحلول الفقهية على اختلافها شبيهة بتنوع أنواع الدواء. والكتاب والسنة هما الأصل فى علاج كل داء اجتماعى. فلا حاجة إذًا إلى إمام معصوم بعد صاحب الرسالة محمدﷺ.

- **ثانيا:** يختلف الشيعة فى الفروع الفقهية ولم تمنعهم عصمة الإمام الذين يأخذون عنه من الوقوع فى الإختلاف.

- **ثالثا:** إن العلم الإلهى ينفى الإجتهاد عند وجود النص. وهو أمر مقرر بواسطة النبى ﷺ وقد سلك سبيله فى حادثة الأسرى المشهورة. ثم نهاه الله تعالى بالآية: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(1) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام الصادق. ص٧١.
(2) الشيخ محمد أبوزهرة: الإمام الصادق. ص٧١و٧٢.

وقد اجـتهد الرسولﷺ ليـعلم المسلمين أن المجتهـد يصيب ويخطئ «وأنه لايصح لمجتهد أن يدعى لنفسه أن إجتهد لا يخطئ قط فتكون الفرقة ويكون الانقسام»[1].

- **رابعــاً:** لايصح لأحد أن يدعى العصمة بعـد تصرّف النبى ﷺ فى الواقعة السابقـة ثم أرشده ربه إلى الصواب، فليـس لأحد أن يرقى إلى مرتبـته، أو يعلو عليه بدعوى العصمة.

- **خامساً:** ثبت عن الصحابة، بما فيـهم على بن أبى طالب، الاختلاف فى المسائل الفقهية بل من أقوال أمير المؤمنين على: «اجتمع رأيى ورأى عمر على عدم بيع الأمة التى إستولدها سيدها والآن أرى بيعها»[2].

- **سـادسـاً:** كان الإمام الصـادق على علم تام باختلاف الفقهـاء، فهو فى مناقشتـه لأبى حنيفة يبين فى المسألة الواحدة ما يراه أهل الـعراق، وأهل الحجاز. وما يراه هـو فلو كان يرى العلم بطريق الإلهـام فحـسب للام مخـتلفين ولـم يعتن بمعرفة اختلافاتهم.

وقد ترك لنا الكلينى فى (الكافى) المقابلة التى تمت بين جعـفر الصادق والمعتزلة وعلى رأسهـم واصل بن عطاء وعمرو بـن عبيـد على أثر مقـتل الوليد وانشـغال المسلمين بمشكلة الخلافـة. وقد تكلم الحاضـرون أمامه وأكثـروا فى النقاش فطلب منهم الصادق أن يسددوا أمرهم إلى رجل منهم. ففوضوا عمرو بن عبيد فقال:

«قد قتل أهل الشام خليفتهم وضـرب الله عز وجل بعضهم ببعض وشتت الله أمرهم فنظرنا فوجدنـا له دين وعقل ومروءة وموضع ومعدن للخلافـة وهو محمد ابن عبـيد الله بن الحسن فأردنا أن نجـتمع عليه فنبايعـه. ثم نظهر معه فـمن كان تابعنا فهـو منا وكنا منه ومن إعتزلنا كـففنا عنه ومن نصب لنا جـاهلناه فنصبنا له على بغيه ورده إلى الحق وأهله وقد أحببنا أن نـعرض عليك ذلك فتدخل معنا فإنه لاغنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك».

(١) المرجع السابق: ص٧٣.
(٢) الإمام الصادق: ص٧٣.

فلما سألهم الصادق عما إذا كانوا جميعًا على نفس الرأى أجابوا بالإيجاب .

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال:

«إنما سخط إذا عصى الله أما إذا أطيع رضى. خبرنى ياعمرو لو قلدتك أمرها ووليتك بغير قتال ولامؤونة وقيل لك ولها من شئت من كنت توليها؟ قال:

كنت أجعلها شورى بين فقهائهم وخيارهم. قال: قريش وغيرهم. قال: نعم، قال: أخبرنى ياعمرو أتتولى أبا بكر وعمرًا وتتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما فقط-فقد خالفتهما ماتقولون أنتم تتولونهما أو تتبرأون منهما. قالوا: نتولاهما. قال عمرو: وإن كنت رجلا تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما. قد عمد عمر إلى أبى بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحدا ثم ردها أبوبكر عليه ولم يشاور فيها أحدًا ثم جعلها شوري بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار وغير أولئك الستة من قريش وأوصى فيها شيئًا لاأراك ترضى به أنت ولا أصحابك إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين. قال آمر صهيبًا أن يصلى بالناس ثلاثة أيام وأن يتشاوروا أولئك الستة ليس معهم أحد إلا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا ويبايعون رجلا أن يضربوا بأعناق أولئك الستة جميعًا فإن إجتمع أربعة قبل أن تمضى ثلاثة أيام وخالف إثنان أن يضربوا بأعناق الإثنين أفترضون بهذا أنتم؟ فيم تجعلون من الشورى فى جماعة المسلمين. قالوا: لا. ثم قال: ياعمرو دع ذا أرأيت لو بايعت صاحبك الذى تدعونى إلى بيعته ثم إجتمعت لكم الأمة فلم يختلف عليكم رجلان فيها فأقضيتم إلى المشركين الذين لايسلمون ويؤدون الجزية أكان عندكم وعند صاحبكم العلم من يسيرون بسيرة رسول الله فى المشركين فى حروبه. قال: نعم. قال: فتصنع ماذا؟ قال: أدعوهم إلى الإسلام»[1].

وإذا قبلنا جدلا صحة صدور هذا الحديث عن جعفر الصادق فإننا لانجد فى سطوره معارضة لفكرة الخلافة عند أهل السنة ونظرية الشورى وانتخاب الخليفة

(١) الكلينى: مخطوط الكافى. مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٢٩٩ب.

بالبيـعة. إنه يعارض خـروج محمـد بن عبد الله بن الحسن وكان دأبه معـارضة الخروج لقد كان الإمـام الصادق عازفا عن السياسة منغـمسًا فى بحور العلم فليس من المستبعد أن ينهى عن الخروج للتجارب الأليمة التى عاناها آل البيت.

أما مـحاورته مع واصل بن عطاء فليس فـيها تعـرض لأبى بكر أو عمـر بسوء فالقدح والسب كان بدعة تورط فيها الشـيعة المتأخرون، فكانوا بذلك مدعاة لنفور أهل السنة الشديد منهم.

فمن الثـابت أن جعفـر الصادق ينتسب مـن جهة أمه إلـى أبى بكر الصديق[١] فليس بغريب ألا يمس هذا الصحابى الجليل بكلمة تسـوءه. وقد ترجع معارضته- إن صحت- لطريقـة البيعة التى تمت بهـا البيعة للصـاحبيْن إلى إحتمـال ميله إلى القول بحق جده أمير المؤمنين على بدلا منهما.

ومع هذا فإن مـن المستبـعد صدور مـثل هذه الآراء منه، وإنما قد حـمله إياها الأتباع والأصحاب الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى أئمتهم. وها هو البخارى لم يرو عنه حديثه لا لعلة إلا ما عرف عن الأشخاص الذين يترددون عليه ويدعون أنه حدثهم بينما هم كاذبون[٢]. وقد ظهرت مثل هذه الدعاوى الخاطئة من نسبة الجفر إليه، بينمـا ينتمى هارون بن سعـيد العجلى الذى قـيل أنه روى الجفر عن جعـفر الصادق-إلى المذهب الزيدى وقد «أنشأ فيما بعد شعرا يتبرأ فيه من الجفر ومن كل غال فى جعفر الصادق»[٣] وحتى إن سلمنا بصحة هذا الجدال وصدوره من جعفر الصادق، فهو لم يخـرج فى جوهره عما رآه حقًا لجـده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ونلمح فى حديثه نـفس المعنى الذى كتبه الحسن ابن على مـعاوية يقول له فيه: «وقد تعجبنا لتـوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا ﷺ وآله وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام فأمـسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزًا يثلمونه به. . .»[٤].

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٦.
(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٧.
(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٨.
(٤) الأصبهانى: مقاتل الطالبين. ص٥٦.

الفصل الخامس

[تخرصات الشيعة فى إمامة الصدّيق والفاروق وذى النورين]

«رضى الله عنهم»

قال «إن من تقدمه لم يكن إماما لوجوه». قلنا: بل كانوا أئمة صالحين للإمامة، فتح الله بهم البلاد والأقاليم، وكانوا خلفاء راشدين وما خالف فى هذا مسلم سواكم معشر الرافضة، وكانوا أحقَّ بها وأهلها، نقطع بذلك ولا يمكن أن يُعارَض لا بدليل ظنى ولا قطعى . أما القطعيات فلا يتناقض موجبها ومقتضاها، وأما الظنيات فلا تُعارِض قطعيا. [وجملة ذلك أن كل ما يورده القادح فلا يخلو عن أمرين: إما نقل لا نعلم صحته، أو لا نعلم دلالته على بطلان إمامتهم. وأى المقدمتين لم يكن معلوما لم يصلح لمعارضة ما علم قطعا[1]].

وإذا نفينا [الاعتراض على] إمامتهم بالقطع لم يلزمنا الجواب على الشبهة المفصَّلة، فإن بينَّا وجه فساد الشبهة كان زيادة علم وتأييداً للحق فى النظر والمناظرة.

قال «فمنها قول أبى بكر: إن لى شيطانا يعترينى ، فإن استقمتُ فأعينونى وإن زغتُ فقوِّمونى . ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلب منهم الكمال[2]؟» قلنا: المأثور أنه قال: إن لى شيطانا يعترينى - يعنى الغضب - فإذا اعترانى فاجتنبونى لا أؤثر فى أبشاركم. وقال: أطيعونى ما أطعت الله، فإذا عصيتُ فلا طاعة لى عليكم.

وهذا القول من أفضل ما مُدح به، يخاف عند الغضب أن يعتدى على أحد.

---

(١) عن الأصل ٤: ٢١٣.

(٢) هذا تكرير لما كان يثرثر به في ص ٣٣٦.

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «**لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان**» فأمر الحاكم باجتناب الحكم حال الغضب، والغضب يعترى بنى آدم كلهم، حتى قال سيد ولد آدم ﷺ: « **إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر**» متفق عليه. ولمسلم أن رجلين دخلا على رسول الله ﷺ فأغضباه، فلعنهما وسبَّهما، / وذكر الحديث، فمن عصى أبا بكر وأخرجه جاز له تأديبه، كما أن من عصى علياً فأغضبه جاز له تأديبه. وفى الصحيح عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: « **ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**» قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ: «**وأنا، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلمُ، فلا يأمرنى إلا بخير**». وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ بنحوه. وقوله[1] «**فإن زغت فقوّمونى**» من كمال عدله وتقواه وإنصافه. وقولك «ومن شأن الإمام تكميل الرعية. فكيف يطلب منهم التكميل ؟» قلنا: لا نسلّم، لا يكملهم ولا يكملونه، بل يتعاونون على البر والتقوى ، وإنما التكميل من الله الغنى بنفسه الذى لا يحتاج إلى أحد. وقد كان الرسول ﷺ يشاور أصحابه ويعمل برأيهم.

وقال «ومنها قول عمر: كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه: وهذا يوجب الطعن[2]». قلنا: إنما لفظ عمر الذى فى الصحيحين[3]: بلغنى أن قائلا منكم يقول لو قد مات عمر بايعت فلانا: فلا يغترَّنَّ امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة فتمَّت، ألا وإنها كانت كذلك، ولكن وقى الله شرها، وليس منكم من تقطع [اليه[4]] الأعناق مثل أبى بكر.

فصل. قال «وقوله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمِينَ**﴾ (البقرة ١٢٤) أخبر تعالى أن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم، والظالم كافر لقوله تعالى: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (البقرة ٢٥٤) ولا شكَّ أن الثلاثة كانوا كفاراً يعبدون الأصنام إلى أن

---

(١) أى قول سيدنا الصديق الأعظم سلام الله عليه.

(٢) تكرير لما سبق له الهذيان به.

(٣) وقد قاله فى خطبته عندما عاد من الحج.

(٤) عن الأصل ٤: ٢١٦.

ظهر النبى ﷺ». والجواب - أيها الرويفضى المغترّ - من وجوه: أحدها أن الكفر الذى يعقبه الإيمان لم يبق على صاحبه منه ذم، فإن الإسلام يُجبُّ ما قبله، وهذا معلوم بالاضطرار من الدين، وليس كل من وُلد على الإسلام بأفضل ممن أسلم بنفسه، وإلا لزم أن يكون أفضلَ من الصحابة، وقد ثبت أن خير الناس القرنُ الأول الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، وسائرهم أسلموا بعد الكفر وهم أفضل بلاشك ممن ولد على الإسلام، ولهذا قال الأكثرون: يجوز على الله أن يبعث نبيا ممن آمن بالأنبياء ، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ (العنكبوت ٢٦)، وقد قال شعيب: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ (الأعراف ٨٩) ثم إنه إذ نُبِّىء رسول الله ﷺ لم يكن أحد من قريش مؤمنا لا كثير ولا صغير: وإذا قيل عن رجالهم إنهم يعبدون الأصنام فصبيانهم [كذلك، عليٌّ وغيره[1]]. فان قيل: كفر الصبىّ لا يضره، قيل: ولا إيمان الصبى مثل إيمان الرجل، فالرجل يثبت له حكم الإيمان بعد الكفر وهو بالغ، والصبى يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ، والطفل بين أبويه الكافرين يجرى عليه حكم الكفر فى الدنيا بالإجماع، فإذا أسلم قبل البلوغ فهل يجرى عليه حكم الإسلام قبل البلوغ؟ على قولين للعلماء . بخلاف البالغ فإنه يصير مسلما إذا أسلم بالإجماع. ثم لا يمكن الجزم بأن عليا ما سجد لصنم، وكذا الزبير فإنه أسلم وهو مراهق. فمن أسلم بعد كفره واتقى وآمن لم يجز أن يسمى ظالما. فقوله تعالى ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أى ينال العادل دون الظالم فإذا قُدِّر أن شخصا كان ظالما ثم تاب وصار عادلا تناوله العهد وصار ممدوحا بآيات المدح لقوله (الانفطار ١٣ والمطففين ٢٢): ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، (الدخان ٥١): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. فمن قال: المسلم بعد إيمانه كافر فهو كافر بإجماع الأمة.

قال: «ومن ذلك قول أبى بكر: أقيلونى فلستُ بخيركم، ولو كان إماما لم يجز له طلب الإقالة[2]». قلنا: أين صحة هذا؟ وإلا فما كل منقول صحيح. فان

(١) عن الأصل ٤: ٢١٨.

(٢) وهذا من الرافضى المردود عليه استجرار لما كان بمضغه فى ص ٣٣٧.

صح. هذا عنه لم يجز معارضته بقولك «لا يجوز له طلب الإقالة» إذ ذلك مجرد دعوى.

قال «وقال عند موته: ليتنى كنتُ سألتُ رسول الله ﷺ: هل للأنصار فى هذا الأمر حق[1] وهذا يدل على شكه فى صحة بيعة نفسه، مع أنه الذى دفع الأنصار يوم السقيفة» قلنا: [أما قول النبى ﷺ: **«الأئمة من قريش»** فهو حق. و[2]] من الذى يقول إن الصديق شك فى هذا وفى صحة إمامته ؟ ولكن ما نقلته كذبٌ عليه، فان المسألة[3] عنده وعند الصحابة واضحة ظاهرة. وإن قُدر أنه قاله ففيه فضيلة له، لأنه لم يكن يعرف أن الأئمة من قريش فاجتهد فوافق اجتهاده النص. وفيه أنه ليس عنده نصّ من الرسول ﷺ بعلىّ.

قال «وقال عند موته: ليتنى كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه، وليتنى فى سقيفة بنى ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير[4]. وهذا يدل على إقدامه على بيت فاطمة عند اجتماع على والزبير وغيرهما، ويدل على أنه كان يرى الفضل لغيره». قلنا: لا يقبل القدح [إلا] إذا ثبت النقل. ونحن نعلم يقينا أن أبا بكر لم يُقْدِم على علىّ والزبير بشىء من الأذى، بلى ولا على سعد [بن عبادة] الذى مات ولم يبايعه. وغاية ما يقال إنه كبس البيت لينظر هل فيه شىء من مال الله الذى أمر بقسمته، ثم رأى أنه لو تركه لهم جاز. والجهلة يقولون إن الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى طرحت، أفيسوغ فى عقل عاقل أن صفوة الأمة يفعلون هذا بابنة نبيهم لا لأمر، فلعن الله من وضع هذا ومن افتعل الرفض.

قال «وقال عليه الصلاة والسلام: جهزوا جيش أسامة، وكرر ذلك، وكان فيهم أبو بكر وعمر[4]، ولم ينفذ عليا لأنه أراد منعهم من التوثب على الخلافة

(١) وهذا أيضا من ثرثرته المعادة. وسبق الجواب عليه في ص ٣٣٨.

(٢) عن الأصل ٤: ٢١٩.

(٣) أى كون الإمامة في قريش.

(٤) أعاد هنا ما كرره من قبل فى ص ٣٣٩.

بعده، فلم يقبلوا منه». قلنا: أين صحة هذا ؟ فمن احتج بالمنقول لا يسوغ له إلا بعد العلم بصحته، كيف وهذا كذب، لم يكن أبو بكر فى جيش أسامة أصلا، بل قيل إنه كان فيهم عمر رضى الله عنه. وقد تواتر عن النبى ﷺ أنه استخلف أبا بكر على الصلاة حتى مات، وصلى أبو بكر بهم الصبح يوم توفى، وقد كشف ﷺ سجف الحجرة فرآهم خلف أبى بكر فسُرَّ بذلك، فكيف يمكن مع هذا أن يكون من جيش أُسامة الذين شرعوا فى الرحيل ؟ ولو أراد النبى ﷺ تولية علىّ لكان هؤلاء أعجز من أن يدفعوا أمره، ولكان جماهير الأمة أطوع لله ورسوله ﷺ من أن يدعوا أحداً يتوثب على من نصَّ الرسول ﷺ لهم عليه. ثم لو كان أراد توليته لكان أَمَرَهُ بالصلاة بالمسلمين أيام مرضه، ولما كان يَدَعُ أبا بكر يصلى به.

قال «ولم يولِّ أبا بكر عملا، وولَّى علياً[1]» . قلنا: وأى ولاية فوق ولاية الصلاة والحج والزكاة ؟ وقد ولى جماعة دون أبى بكر بكثير، مثل عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وأبى سفيان بن حرب. وعدم ولايته لا يدل على نقصه. ولأنه كان وزيره وكان لا يستغنى عنه فى مهمات الأمور، ويليه عمر.

قال «وأنفذه رسول الله ﷺ لأداء سورة براءة، ثم أنفذ عليا وأمره بردّه وأن يتولى هو ذلك. ومن لا يصلح لأداء سورة كيف يصلح للخلافة ؟[2]». الجواب: إن هذا افتراء محض، وردٌّ للتواتر، فان الرسول ﷺ استعمل أبا بكر على الحج [سنة تسع[3]] فما ردَّه ولا رجع، بل هو الذى حج بالناس فكان علي من جملة رعيته إذ ذاك: يصلى خلفه، ويسير بسيره، فالعلم بهذا لم يختلف فيه اثنان، فكيف تقول إنه أمر بردّه ؟ ولكن أردفه بعلىّ لينبذ إلى المشركين عهدهم، لأن عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العهود ولا يحلها إلا المطاع - أو رجل من أهل

(١) وهذا تكرير لهذيانه السابق فى ص ٣٤٠ وانظر ص ٤٩٧.
(٢) وهذا أيضا تكرير لما سبق الكلام عليه فى ص ٣١١ - ٣١٢.
(٣) عن الأصل ٤: ٢٢١.

بيته - فبعث عليا ببراءة[1]. فبالله إذا كنت تجهل مثل هذا من أحوال الرسول ﷺ وأيامه وسيرته، فإيش عندك من العلم ! وكان السكوت أولى بك وبأشباهك، أفاملك[2] أن أعمى الله قلبك إذ خبثت سريرتك، فلا تبرز بفائدة ولا تأتى بخير، ولكنك معرق فى الرفض، فلله الحمد على العافية.

ثم تقول «والإمامة متضمنة لأداء جميع الأحكام إلى الأمة» . سبل الأحكام كلها تلقتها الأمة عن نبيها ﷺ لا تحتاج فيها إلى الإمام، وإنما الإمام منفذٌ لما شرعه الرسول ﷺ والصدِّيق كان عالما بعامة ذلك، وإذا خفى عليه الشىء اليسير سأل الصحابة عنه، كما سأل عن ميراث الجَدَّة فأخبر أن نبى الله ﷺ أعطاها السدس. وما عُرف له قول خالف نصا، وقد عُرف لعمر وعثمان من ذلك أشياء، وعُرف لعلى أكثر مما عُرف لهما، كقوله: إن الحامل المتوفى عنها تعتد أبعد الأجلين[3] وحديث سُبيعة فى الصحيحين بأنها تحلّ إذا وضعت.

وقد جمع الشافعى رحمه الله تعالى كتابا فى خلاف على وابن مسعود [وجمع بعده محمد بن نصر المروزى أكثر من ذلك، فانه كان إذا ناظره الكوفيون يحتج بالنصوص، فيقولون نحن أخذنا بقول على وابن مسعود، فجمع لهم أشياء كثيرة

---

(١) ولحكمة أخرى ، وهى أن سورة براءة تتضمن الثناء الإلهى الكريم على صديق رسوله ﷺ ورفيقه في الغار ، فكان من المناسب أن يكون إعلان هذا الثناء الإلهى على الحجيج الأكبر فى أيام الموسم بلسان على بن أبى طالب لتشرق بذلك حلوق أعداء الله جميعا إلى يوم القيامة. وهم كلما تأملوا فى ذلك وما يترتب عليه من انهيار دينهم المصنوع يعتريهم الذهول ، فمن قدمائهم عدو الله شيطان الطاق صار عقله فقال: إن الله لم يقل قط **﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾** كما رواه عنه الجاحظ فيما سمعه من شيخه إبراهيم النظام وبشر بن خالد (انظر الفصل لابن حزم ٤ : ١٨١). ومن آخرهم طاغوت الكاظمية فقد صوابه فزعم أن قول الله تعالى فى سورة براءة **﴿لقد رضى الله عن المؤمنون إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** لا يتناول أبا بكر وعمر لأنها خاصة بمن محضوا الإيمان (انظر كتابه إحياء الشريعة فى كتب الشيعة ص ٦٣ - ٦٤). وأنت ترى من ذلك أن إرسال على بسورة براءة إلى الحج وفيها الثناء على أبى بكر جعل النبى ﷺ وأبا بكر وعليا فى صف ، وجعل مبغضى أبى بكر وأعداء الصحابة فى صف آخر يخالف ذلك الصف في الدنيا ويوم الدين. وقديما قالوا: المرء حيث يجعل نفسه. ونحن لا حيلة لنا فيمن أراد لنفسه أن يكون - بأباطيله وبفساد سريرته - حصب جهنم.

(٢) لعل فى هذه الكلمة تحريفا ، والجملة كلها من كلام الذهبى ، وليست فى الأصل.

(٣) انظر لهذا ولحديث سبيعة ما تقدم فى ص ٢٠٢.

من قول علي وابن مسعود تركوه أو تركه الناس، يقول: إذا جاز لكم خلافهما فى تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما، فكذلك فى سائر المسائل. ولا يُعرف لأبى بكر مثل هذا[1]]. ثم القرآن بلَّغه كل أحد عن الرسول ﷺ فيمتنع أن يقال لم يصلح أبو بكر لتبليغه، ولا يجوز أن يقال إن تبليغ القرآن يختص بعلى، فان القرآن لا يثبت بخبر الواحد.

قال «ومن ذلك قول عمر: إن محمدا ﷺ لم يمت، وهو يدل على قلة علمه. وأمر برجم حامل فنهاه على، فقال: لولا على لهلك عمر» . قلنا قد أوردنا لك نصوصا عدة فى مكانة عمر من العلم، فكان أعلم الناس بعد الصدّيق. وأما كونه ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت فهذا كان ساعة، ثم تبين له موته. وعليّ قد ظن أشياء ثم ظهرت له بخلاف ذلك، ولم يُقدح بمثل هذا فى إمامتهما. وأما الحامل فلم يدر أنها حاملة فنبهه عليّ، وقد نزل الكتاب بموافقة عمر فى مواضع، وقال عليه السلام «لو كان بعدى نبى لكان عمر» ولما وضع على سريره أثنى عليه على وأحبّ أن يلقى الله بمثل صحيفة عمر.

قال «وابتدع التراويح مع أن النبى ﷺ قال: يا أيها الناس إن الصلاة بالليل فى رمضان جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، فلا تجمعوا فى رمضان ليلا ولا تصلوا الضحى، وخرج عمر ليلا فرأى المصابيح فى المساجد فقال: ما هذا ؟ فقيل: إنهم اجتمعوا لصلاة التطوُّع. فقال: بدعة، ونعمت البدعة هى». فيقال: ما رؤى فى الطوائف أجرأ من هذه الطائفة على الكذب، حتى على نبيها ﷺ بوقاحة مفرطة مع فرط الجهل. فأين إسناد هذا، وأين صحته، وأنى له صحة وهو للكذب إلاكسير الذى يعمل منه الكذب. لم يروه عالم. وأدنى العلماء يعلمون أنه موضوع ولا له إسناد. فقد ثبت أن الناس كانوا يصلون جماعة بالليل فى رمضان على عهد نبيهم ﷺ، وثبت أنه صلى بالمسلمين ليلتين أو ثلاثا فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج اليهم خشية أن تفرض عليهم فيعجزوا. متفق عليه من حديث عائشة. وخرج البخارى من حديث عبد الرحمن بن

(١) عن الأصل ٤ : ٢٢٢.

عبد[القارى[1]] قال: خرجت مع عمر ليلة رمضان إلى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته رهط. فقال عمر: إنى لأرى لو جمعتُ هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثلَ. ثم عزم فجمعهم على أُبَىّ بن كعب. ثم جرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال: نعمت البدعة هذه، والتى تنامون عنها أفضل من التى تقومون. يريد بذلك آخر الليل. وهذا الاجتماع لم يكن، فسماه بدعة وما هو بالبدعة الشرعية التى هى ضلالة، إذ هى ما فُعل بلا دليل شرعى. ولو كان قيام رمضان جماعة قبيحا لأبطله أمير المؤمنين على وهو بالكوفة، بل روى عنه أنه قال: نوَّر اللهُ على عمر قبره كما نوَّر علينا مساجدنا. وعن أبى عبد الرحمن السلمى أن عليا دعا القراء فى رمضان فأمر منهم رجلا يصلى بالناس عشرين ركعة. قال: وكان على يوتر بهم وعن عرفجة الثقفى قال: كان على بن أبى طالب يأمر بقيام رمضان، ويجعل للرجال إماما وللنساء إماما، فكنتُ أنا إمامَ النساء. رواهما البيهقى فى سننه. وأما الضحى فرغَّب فيها الرسول ﷺ، كما صح عنه فى أحاديث.

قال: وفعل عثمانُ أمورا لا تجوز، حتى أنكر عليه المسلمون كافة، واجتمعوا على قتله[2]». قلنا: وهذا من جهلك وافترائك، فان الناس بايعوا عثمان وما اختلف فى بيعته اثنان ولا تخلف عنها أحد كما تخلف شطر الناس عن بيعة غيره. فمن الذى اجتمع على قتل عثمان ؟ هل هم إلا طائفة من أولى الشر والظلم ؟ ولا دخل فى قتله أحد من السابقين. بل الذين قاتلوا عليا وأنكروا عليه أضعاف أولئك، وكفّرة ألوف من عسكره وخرجوا عليه[3]. وقتل فى الآخر كما قتل ابن عمته عثمان، قاتل الله من قتلهما.

(١) عن الأصل ٤: ٢٢٢.

(٢) أى أن قتلة عثمان الذين كان على يلعنهم هم «المسلمون كافة» ! وأما الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وسائر أبناء الصحابة الذين كانوا على باب عثمان للدفع عنه وآباءهم وسائر المهاجرين والأنصار خارجون من مدلول «المسلمين كافة». بل على أيضا خارج من مدلول «المسلمين» لأن هؤلاء الفجرة مهما بلغت بهم القحة لن يجرؤوا على ادعاء أن عليا كان من قتلة عثمان.

(٤) ومنهم جماعة ممن اشتركوا فى قتل عثمان. ولذلك قال على لما ضربه ابن ملجم «قتلت يوم قتل الثور الأبيض».

الفصل السادس
فى الحجج على إمامة أبى بكر رضي الله عنه

قال «احتجوا بالإجماع. والجواب منعه، فان جماعة من بنى هاشم لم يوافقوا على ذلك، وجماعة كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة وخالد بن سعيد بن العاص، حتى أن أباه أنكر ذلك وقال: من استخلف الناسُ ؟ قالوا: ابنك، قال: وما فعل المستضعفان ؟ إشاره إلى عليّ والعباس، قالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله ﷺ، ورأوا أن ابنك أكبر منه. وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة إليه حتى سماهم أهلَ الردَّة وقتلهم وسباهم، فأنكر عليه عمر وردَّ السبايا أيام خلافته» .

قلنا: من له أدنى خبرة وسمعَ هذا جزم بأن قائله أجهل الناس أو من أجرأ الناس على البهتان. فالرافضة ذوو جهل وعمى، فمن حدَّثهم بما يوافق أهواءهم صدَّقوه ولو كان الدجال ومن أورد عليهم بمخالفة أهوائهم كذَّبوه ولو كان صدّيقا. وإن اعتقدوا صدقه قالوا: نعم وقالوا لإخوانهم: إنما نقول هذا الذى نقوله مداراة وتقية للنواصب. فكيف يرجى فلاح من هذا حاله، أم كيف نؤمل عافية من هذا مرضه ؟ فلهم أوفر نصيب من قوله تعالى (العنكبوت ٦٨): **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾**. ولنا إن شاء الله أوفى حظ من التمثُّل بقوله (الزمر ٣٣): **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** أفَسُمِع قط بمثل هذا فقد علم كل عالم كُفْرَ بنى حنيفة أتباع مسيلمة وارتدادهم، وهذا يعدُّهم من أهل الإجماع. وإنما قتلهم وسباهم لامتناعهم عن بيعته ولأنهم لم يحملوا الزكاة إليه. فنعوذ بالله من البهتان، ونقل الهذيان، وتضييع الزمان، فى الرد على هذا الذى هو غير إنسان.

إذا محاسنَى اللائى أُدِلُّ بها كانت ذنوبه، فقل لى كيف أعتذرُ؟

ومن أعظم مناقب الصديق قتلُ هؤلاء الأرجاس وسبيهم، وما قاتلهم على منع زكاة بل على إيمانهم بمسيلمة وكانوا نحو مائة ألف[1]. والحنفية سُرِّيَّة عليّ - أمّ محمد بن الحنفية - من سبيهم[2]، فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بنى حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم. وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهما إذا قال قوم نحن نزكى ولا ندفعها إلى الإمام لم يجز قتالهم. فهلاّ عددتَ يا. . . فى المتخلفين عن بيعة أبى بكر اليهود والبربر وكسرى وقيصر، فأمر بنى حنيفة قد خلص إلى العذارى فى الخدور وأنت لا تعى. وكتاب الردة لسيف بن عمر مشهور، والردَّة للواقدى .

ثم قولك «إن عمر أنكر قتال أهل الردة وردَّ عليهم» من البهتان، وإنما توقف مع الصديق فى قتال مانعى الزكاة فناظره فرجع عمر إلى قوله. وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق فكذبٌ عليهم، ما تخلف إلا سعد بن عبادة، ومبايعة هؤلاء لأبى بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر. وأسامة ما سار بذلك الجيش حتى بايع الصديق، وكان خالد بن سعيد نائبا للنبى ﷺ، فلما مات قال: لا أنوب لغيره، وقد علم بالتواتر أنه ما تخلف عن بيعة الصديق سوى سعد. وأما على وبنو هاشم فلم يمت أحد منهم إلا وهو مبايع له، لكن قيل تأخرت بيعتهم ستة أشهر، وقيل بايعوه ثانى يوم طوعا منهم[3] ثم الجميع أيضا بايعوا عمر سوى سعد، ومات سعد فى خلافة عمر، وكان قد رامها يوم السقيفة ولم يدر أن الخلافة فى قريش. وما ذكره عن أبى قحافة فباطل، ولم يكن ابنه أسنَّ الصحابة، كان أصغر من النبى ﷺ بقليل[4]. والعباس أكبر من النبى ﷺ بثلاث سنين. لكن المأثور عن أبى قحافة أنه لما قبض نبيُّ الله ﷺ ارتجت مكة فسمع أبو قحافة

(١) تقدم دماغ الحلي مى ص ٢٧٠ - ٢٧٢ عن مسيلمة الكذاب وأهل اليمامة والجواب عليه ، مارجع إليه إن شئت.

(٢) وتسرى على بها اعتراف منه بشرعية حكم أبى بكر وحروبه ونتائجها (انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣٧ الطبعة الثالثة).

(٣) ومع ذلك لم يتخلفوا عن الصلاة خلفه مي كل المواقيت.

(٤) ولو أنهم ولوا أبا بكر لتقدمه مي السن لكان أبوه أولى منه بالولاية لأنه أعلى منه سنا.

فقال: ما للناس ؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ قال: أمرٌ جلل، فمن ولى - صلى الله عليه وسلم - بعده ؟ قالوا: ابنك. قال: وهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطى لما منع. وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسلت فاطمة إلى أبى بكر تسأل ميراثها من أبيها رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَك وما بقى من خمس خيبر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال**». وإنى والله لا أُغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليه فى عهده. ولست تاركا شيئا كان يعمل به إلا عملت به، إنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. فوجَدَتْ فاطمة على أبى بكر فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر. فلما توفيت دفنها علىٌّ ليلا ولم يُؤْذن بها أبا بكر. وكان لعلى من الناس وجهٌ حياة فاطمة، فلما ماتت استنكر علىٌّ وجوهَ الناس. فالتمس مصالحةَ أبى بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا، ولا تأتنا ومعك أحد - كراهية عمر - فقال عمر لأبى بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: ما عساهم أن يفعلوا بى ؟ والله لآتينهم. فدخل عليهم أبو بكر، فتشهَّد علىٌّ ثم قال: إنّا قد عرفنا يا أبا بكر فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددتَ بالأمر علينا. وكنا نرى أن لنا فيه حقا لقرابتنا من رسول الله ﷺ. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر. فلما تكلم أبو بكر قال: والذى نفسى بيده لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصل من قرابتى. وأما الذى شجرَ بينى وبينكم من هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال على: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر قام قائما على المنبر فتشهد وذكر شأن علىٍّ وتخلفه عن البيعة وعذره الذى اعتذر به. ثم استغفر. وتشهد على فعظم حق أبى بكر، وأنْ لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ولا إنكارٌ عليه للذى فضله الله به، ولكنا كنا نرى أن لنا فى الأمر نصيبا فاستبَّد علينا به، فوجدنا فى أنفسنا. فسُرَّ بذلك المسلمون

وقالوا أصبت. وكان المسلمون إلى على قريبا حين راجع الأمر بالمعروف.

ولا ريب أن الإجماع المعتبر فى الإمامة لا يضر فيه تخلف الواحد والإثنين، ولو اعتبر ذلك لم تكن تنعقد إمامة[1] بخلاف الإجماع على الأحكام العامة فهل يُعتُّد بخلاف الواحد أو الإثنين ؟ فعن أحمد روايتان، إحداهما لا يعتد بخلافهما فيه، وهو قول محمد بن جرير الطبرى وغيره. الثانى يعتد بخلاف الواحد والإثنين فى الأحكام. ثم الواحد إذا خالف النص كان خلافه شاذا كخلاف سعيد بن المسيَّب فى أن المطلقة ثلاثا إذا نكحت زوجا غيره أبيحت للأول بمجرد العقد. وأيضا فلا يشترط فى صحة الخلافة إلا اتفاق أهل الشوكة والجمهور، قال عليه السلام «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة» وقال ﷺ: «**عليكم بالسواد الأعظم، ومن شذَّ شذَّ فى النار**».

ثم اجتماع الأمة على بيعة أبى بكر أعظم من اجتماعهم على بيعة على، فإن ثلث الناس أو أرجح لم يبايعوه وقاتلوه، وخلق من الكبار لم يقاتلوا معه واعتزلوا [فان جاز القدح فى الإمامة بتخلف بعض الأمة عن البيعة، كان القدح فى إمامة علىّ أولى بكثير[2]].

فإن قلتَ: إمامته ثبتت بالنص فلا يحتاج إلى الإجماع. قلنا: قد مرَّت النصوص الدالة على تقديم أبى بكر تلويحا أو تصريحا، مع أولويته وإجماعهم على بيعته وعلى تسميته خليفة رسول الله ﷺ.

[والكلام فى إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها، وإما أن يكون فى

---

(١) وشيعة جعفر الصادق انقسموا بعده مى الإمامة التى لا عمل لها: متعلق بعضهم بابنه الأكبر إسماعيل، وتعلق الآخرون بابنه الآخر موسى. مالذين أنكروا بيعة موسى خرقوا الاجتماع بلا ريب وعددهم كبير يخرق به الإجماع ، مإن كان الإجماع شرطا عند الإمامية الموسوية أو عندهم وعند الإسماعيلية متبعية الطائفتين للإمامين اللذين لا عمل لهما باطلة حتما.

أما إمامة أبى بكر فكاذب فاجر كل من زعم أنه شذ عنها غير سعد عبادة ، ومع ذلك فالمسلمون نظروا إلى سعد بعين الشفقة ، ولم يقيموا لشذوذه وزنا ، وقافلة الإسلام ما برحت تسير من أمس إلى اليوم وستظل سائرة إلى يوم الدين ، وهى الموائل ، ومن شذ عنها فعلى نفسه يجنى.

(٢) عن الأصل ٤ : ٢٣٢.

استحقـاقه لها. أما الأول فهو معلوم بالتـواتر وإتفاق الناس بأنه تولى الأمر، وقام مقام رسول الله ﷺ، وخلفـه فى أمته، وأقام الحدود، واستـوفى الحقوق، وقاتل الكفار والمرتدين، وولى الأعمـال، وقسم الأموال، وفعل جميع مـا يفعل الإمام، بل هو أول من باشر الإمامة فى الأمة. وأما إن أريد بإمامـته كونه مستحقا لذلك، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الإجماع: فـلا طريق يثبت بها كونه على مستحقا للإمامة إلا وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستـحق للإمامة وأنه أحق بالإمامة من على وغيره. وحـينئذ فالإجمـاع لا يحتاج إليه لا فى الأولى ولا فى الثـانية، وإن كان الإجماع حاصلا[1]].

قال «وأيضا الإجماع ليس أصلا فى الدلالة[2]، بل لابد له من مستند إما عقلى - وما فى العـقل ما يدل على إمامـته - وإما نـقلى، وعندهم أن رسول الله ﷺ مات عن غـير وصية ولا نص على إمـام، فلو كان الإجمـاع متحقـقا لكان خطأ فتنتفى دلالته».

قلنا: إن أردت بقـولك «الإجماع ليـس أصلا فى الدلالة» أن أميـر المؤمنين لا تجب طاعته لنفسه، وإنما تجب لكونه دليلا على أمـر الله ورسوله ﷺ فهذا صحيح ولكنه لا يضر، فإن أمر الرسول ﷺ كذلك لا تجب طاعته لذاته بل لأن من أطاعه فقد أطاع اللـه، ففى الحقيقـة لا يُطاع أحد لذاته إلا الله: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْـرُ﴾ (الأعراف ٥٤)، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ (الأنعام ٥٧). وإن أردتَ أنه قد يكون موافقا للحق وقد يكون مـخالفا، فهذا قـدحٌ فى كون الإجماع حجـةً، ودعوى أن الأمة تجتـمع على الخطأ كمـا يقوله النَّظّامُ وبعضُ الرافـضة خطأ. ونحن لا نحـتاج فى إمامة الصـدّيق إلى هذا، ولا نشترط لأحد فنقول ما من حكم بـالإجماع إلا وقد دلَّ عليه النص، والإجـماع دليل على نص موجـود، والناس مختلفـون فى جواز الإجماع عن اجتهاد، لكن لا يكون النص خافيا عن الكل.

---

(١) عن الأصل ٤: ٢٣٢.

(٢) انظر ص ٤١٣.

وخلافة الصّديق من هذا الباب فانه ورد فيه نصوص تدل على أن خلافته حق وصواب، وهذا مما لا خلاف فيه، وإنما اختلفوا: هل العقد بنص خاص أو بالإجماع ؟ ومستند قولنا النص والإجماع متلازمان قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران ١١٠) فهذا ينبغى أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، والواجب والمحرَّم داخل فى ذلك قطعا، فيجب أن يوجبوا كل ما أوجبه الله، ويحرّموا كل ما حرَّمه الله، وأن يسكتوا عن الحق، فكيف يجوز عليهم التكلم بنقيضه من الباطل ؟ فلو كانت ولاية أبى بكر حراما منكرا لوجب عليهم النهى ، وامتنع عليهم السكوت. ولو كانت طاعةُ على وتقديمه واجبا لكان ذلك من أعظم المعروف الذى يجب أن يأمروا به. وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة ٧١) وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة ١٤٣) فمن جعلهم الرب شهداء على الناس فلابد أن يكونوا عالمين بما يشهدون به، فلو كانوا يحللون ما حرَّم الله ويحرمون ما أحلَّ الله، ويسقطون ما أوجب ويوجبون ما أسقط، لما صلحوا أن يكونوا شهداء على الناس، وكذلك إذا كانوا يجرحون الممدوح ويمدحون المجروح. فإذا شهدوا باستحقاق أبى بكر وجب أن يكونوا صادقين، وكذا إذا شهدوا كلهم أن هذا صالح وهذا عاص وجب قبول شهادتهم. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ (النساء ١١٥) فتوعد علي اتباع غير سبيله، كما توعد على مشاقَّة الرسول ﷺ، فكل منهما مذموم، فإذا أصفقوا علي تحريم أو حلّ وخالفهم مخالف فقد أتبع غير سبيلهم فيذم.

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران ١٠٣) فلو كانوا فى حال الاجتماع كالتفرق لم يبق فرق. وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾ (المائدة ٥٥) جعل موالاتهم كموالاة الله والرسول ﷺ، والله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة. وأحق الناس بهذا الصحابة، فثبت أن ما فعلوه من

خلافة- أبى بكر حق وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض»**.

قال «وأيضا الإجماع إنما يعتبر فيه قول الكل، وهذا لم يحصل، وقد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان». قلنا: أجبنا على هذا، وإنه لا يقدح فى اتفاق أهل الحل والعقد شذوذ من خالف. وأما عثمان فإنما قتله طائفة قليلة باغية ظالمة.

قال «وكل واحد يجوز عليه الخطأ» فأى عاصم لهم عن الكذب عند الإجماع؟[1]» قلنا: إذا حصل بالإجماع من الصفات ما ليس للآحاد لم يجز أن يجعل حكم الواحد حكم الإجماع. فالآحاد يجوز عليهم الغلط والكذب، فإذا انتهوا إلى حدّ التواتر امتنع عليهم الغلط والكذب. وكل واحد من اللُّقَم لا يشبع وبالاجتماع يحصل الشبع. والواحد لا يقدر على قتال العدو. فإذا اجتمع عددً قدروا. فالكثرة تؤثر قوة وعلما. قال تعالى: **﴿أن تَضلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾** (البقرة ٢٨٢) وقال عليه الصلاة والسلام: **«الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد»**. ومعلوم أن السهم الواحد يكسره الإنسان، وبضمِّه إلى سهام كثيرة يتعذر. وأيضا فإن كان الإجماع قد يكون خطأ لم تثبت لك عصمة على، فإنه إنما علمت عصمته بالإجماع كما زعمتَ وأن لا معصوم سواه. فإن جاز الخطأ على الإجماع أمكن أن يكون غيره معصوما، وإن قد حتم فى الإجماع بطل أصل مذهبكم، وإن قلتم هو حجة فقد أجمعوا على الثلاثة قبل على.

قال «وقد بينا ثبوت النصوص الدالة على إمامة على، فلو أجمعوا على خلافه لكان خطأ». قلنا قد تقدم بيان توهية كل ما تزعم أنه ثابت، وأتينا بنصوص ثابتة بخلاف ذلك. ثم نصوصنا معتضدة بالإجماع، فلو قُدِّر خبر يخالف الإجماع لعلم أنه باطل أولا يدل. ومن الممتنع تعارض النص المعلوم والإجماع المعلوم فان كليهما حجة قطعية، والقطعيات لا يجوز تعارضها، وإلا لزم الجمع بين النقيضين. وكل نص أجمعت الأمة على خلافه فهو منسوخ بنص آخر، أما إن

(١) كذا مى الأصل ٤: ٢٣٧. والذى مى المنتقى «الاجتماع» هنا وميما يأتى بعد.

يبقى فى الأمـة نص معلوم والإجماع بخـلافه فهذا / لم يقع، فالإجـماع والنص على خلافه الصديق مبطلان بالضرورة لما افترته الرافضة من النص على علىّ.

قال «ورووا عن النبى ﷺ أنه قال: «**اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر**» والجواب المنع من الرواية ومن دلالتها على الإمامة، إذ الاقتداء بالفقهاء لا يلزم منه الخلافة، وهما قد اختلفا كثيـرا فلا يمكن الاقتداء بهما. ثم هو معارَض بما رووه: «**أصحابى كـالنجوم**». قلنا: هذا بكل حال أقوى من النص الذى تزعـمونه، فان هذا رواه أحمد وأبو داود والترمذى. والنص فى علىّ باطل، حتى قال ابن حزم. ما وجدنا هذا النص إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكنى أبا الحمراء [لا نعرف من هو فى الخلق[1]]. وأمرُه بالاقتداء بهما دالّ على كونهما غير ظالمين ولا مرتدين، إذ من هو كـذلك لا يكون قدوة. ولا يكاد يعرف اخـتلاف بين أبى بكر وعمر إلا فى النادر، كالجد مع الإخوة[2] وقسمة الفىء[3] بالسوية أو التفضيل، واختلافهمـا فى تولية خالد وعزله فاختلف اجتهـادهما. والحديث يوجب الاقتداء بهما فيما اتفـقا عليه. وحديث «أصحابى كالنجوم» ضعفـه أئمة الحديث فلا حجة فيه.

قال «وذكروا ليلة الغـار، وقوله تعالى ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾[4] وقـوله: ﴿**قُـل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ (الفـتح ١٦) والداعى هو أبو بكر، وكـان ثانى الإثنين فى العـريش يوم بدر، وأنفق مـاله على النبى ﷺ، وتقدم فى الصلاة. فلا فضيلة له فى الغار لجواز أن يستصحبه حذرا منه لئلا يظهر أمره، والآية تدل على نقصه وخَوَره وقلة صبره لقوله ﴿**لا تَحْزَنْ**﴾ فإن كان الحزن طاعة استـحال أن ينهى عنه الرسول ﷺ وإن كـان معصة عادت الفـضيلة رذيلة. وأيضا فان القـرآن حيث ذكر السكينة شرك مع الرسول ﷺ فـيها المؤمنين إلا هنا، ولا نقص أعظم منه. وقـوله ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾ فالمراد به أبو الدحـداح حيث

(١) عن الأصل ٤: ٢٣٨.

(٢) مى الميراث.

(٣) مى الجهاد.

(٤) انظر ص ٤٧٣.

اشترى نخلة لشخص لأجل جاره. وأما ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ فالمراد من تخلَّف عن الحديبية، التمسوا أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعوا بقوله ﴿قل لن تتبعونا﴾ لأن الله جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية فمنعوا بقوله ﴿قل لن تتبعونا﴾ ثم قال ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾ يريد سندعوكم فيما بعد، فدعاهم الرسول ﷺ إلى غزوات كثيرة كمؤتة وخيبر وتبوك، ويجوز أن يكون الداعىَ لهم أميرُ المؤمنين حيث قاتل. وأما كونه أنيسه فى العريش فانما كان أنسُه بالله، لكن لما عرف الرسول ﷺ أنه إن أمر أبا بكر بالقتال يؤدى إلى فساد حيث هرب عدة مرار، فأيما أفضل: القاعد عن القتال أو المجاهد ؟ وأما إنفاقه فكذب، لأنه لم يكن له مال، فان أباه كان فقيرا فى الغاية، فلو كان غنيا لكفى أباه، وكان أبو بكر فى الجاهلية مؤدِّبا وفى الإسلام خياطا، فلما ولوه منعوه من الخياطة فقال: إنى محتاج إلى القوت فجعلوا له فى كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال. والرسول ﷺ كان غنيا بمال خديجة قبل الهجرة [وبعد الهجرة [(1)] لم يكن لأبى بكر شىء ولو أنفق لنزل فيه قرآن كما نزل فى علىّ ﴿هَلْ أَتَى﴾. ومن المعلوم أن الرسول ﷺ أشرفُ من الذين تصدق عليهم أمير المؤمنين، والمال الذى يدَّعون إنفاقه أكثر، فحيث لم ينزل فيه قرآن دل على كذب النقل. وأما تقديمه فى الصلاة فخطأ، لأن بلالا لما أذَّن أمرته عائشة أن يقدم أباها فلما أفاق نبى الله ﷺ سمع التكبير فقال: أخرجونى ، فخرج بين على والعباس فنحاه عن القبلة وعزله عن الصلاة وتولى هو الصلاة. فهذه حال أدلة الجمهور. فلينظر العاقل بعين الإنصاف ويقول طلب الحق دون اتباع الهوى ويترك تقليد الآباء والأجداد» . **والجواب** أن فى هذا الكلام من البهتان والقحة مالا يعرف لطائفة، فلا ريب أن الرافضة فيهم شبهٌ من اليهود، فإنهم قومٌ بهت يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويريدون قلب الحقائق، فهم أعظم المبتدعة رداً للحق وتصديقا للكذب.

فأما الغار ففضيلة ظاهرة باهرة لقوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وفى الصحيحين أن أبا بكر قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رءوسنا.. ونحن

(1) عن الأصل ٤: ٢٤٠.

فى الغار فـقلتُ لو أن أحدهم نظر إلى قدمـيه أبصرنا، فقـال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. والمعية هنا خاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه ٤٦) والمعية العامة بالعلم كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد ٤) قال ابن عيينة: عاتب الله الخلق كلهم فى نبيه إلا أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ (التوبة ٤٠) الآية. قال أبو القـاسم السهيلى وغيره: هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبى بكر.

وفى قوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ دليلٌ على أن الصديق فى ذروة سنام الصحبة. فانه صَحِبَه من أول ما بعث إلى أن مات، كـما يقال ما فارقه لا فى الحياة ولا فى الممات. وفى الصحيح أنه عليه السلام قال: «**هل أنتم تاركو لى صاحبى**». وفى الصحـيحين عن عائشـة قالت: لم أعقل أبوىَّ إلا وهمـا يدينان الدين، ولم يمض علينا يوم إلا ورسول الله ﷺ يأتينا فـيه طرفى النهار. وفى حديث صلح الحـديبية الذى أخرجه البـخارى أن عمر قال: يا رسـول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى. قال: فلَم نُعطى الدنيَّة فى ديننا إذن ؟ فقال ﷺ: إنى رسولُ الله ولستُ أعصيه، وهو ناصرى. قـال فقلت: أو ليس كنتَ تحدثنا أنا نأتى البيت فنطوَّف به ؟ قال: بلى، فأخـبرتُكَ أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا. قـال: فانك آتيه ومُطَّوِّف به. قـال: فأتيت أبا بكر فـقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبىَّ الله حـقاً ؟ قال: بلى. قلت: ألسـنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قـال: بلى . قلت فلمَ نُعطى الدنيَّة فى ديننا ؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ ولن يعصى ربه وهو ناصره فـاستمسك بَغـرْزه، فوالله إنه على الحق. وذكر الحـديث. فبهذا وأشـباهه استحق أبو بكر أن يسمى صدِّيقـاً . وللبخارى عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال «**أيها الناس. اعرفوا لأبى بكر حقه، فإنه لم يَسُؤنى قط**».

وإذا تدبر العـاقل مـا صح من الأحـاديث وأمـعن الـنظر لاح له الصـدق من الكذب. ومن شـركَ الحفـاظَ وجهـابذة الحديث فى علمـهم علم بعض ما قـالوه وعـرف بعض قدرهم وتحـرِّيهم، وإلا فليسلـم القوس إلى باريهـا كمـا يسلم إلى الأطباء طبَّـهم وإلى النحاة نحـوهم وإلى الصيارفـة نقدهم، مع أن جـميع أرباب

الفنون يجوز عليهم الخطأ، إلا الفقهاء والمحدثين: فلا هؤلاء يجوز عليهم الاتفاق علي مسألة باطلة، ولا هؤلاء يجوز عليهم التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق. فمن تأمل وجد فضائل الصديق كثيرة وهى خصائص له: مثل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. وحديث المخالة، وحديث أنه أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ، وحديث الإتيان إليه بعده[1]، وحديث كتابة العهد له، وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة، وتركه له [وهو قوله ﷺ «فهل أنتم تاركو لى صاحبى »[2]]، وحديث دفعه عنه عُقبة بن أبى مُعَيط إذ وضع الرداء فى عنقه، وحديث استخلافه فى الصلاة، والحج، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول ﷺ وانقياد الأمة له، وحديث خصال الخير التى اتفقت له فى يوم. ثم له مناقب يشركه فيها عمر كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر، وحديث [على يقول: كثيرا ما كنت أسمع النبى ﷺ يقول[3]] «خرجت أنا وأبو بكر وعمر»، وحديث نزعه من القليب، وحديث «إنى أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» ومناقب على علي كثرتها ليس فيها شىء خصائص. وللصديق فى الصحاح نحو عشرين حديثا أكثر خصائص، فمناقبه جمَّة وفضائله عدة استوجب بها أن يكون خليل رسول الله ﷺ دون الخلق لو كانت المخالة ممكنة. فلو كان مبغضا له كما يقول الرافضى لما حزن بل كان يظهر الفرح والسرور، فأخبر الرسول ﷺ أن الله معهما، وهذا إخبار بأن الله معهما بنصره وحفظه. ومعلوم أن أضعف الناس عقلا لا يخفى عليه حال من يصحبه فى مثل هذا السفر الذى قد عاداه فيه أولئك الملأ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره وهو عدو له فى الباطن، هذا لا يفعله إلا أغبى الناس وأجهلهم، فقبح الله من جوز هذا على أكمل الخلق عقلا وعلما.

وقول الرافضى «يجوز أن يستصحبه حذراً منه لئلا يُظهر أمره» فهذا باطل من وجوه عدة: أحدها أنه قد عُلم بدلالة القرآنِ موالاته ومحبته، وعلم بالتواتر

(١) أى حديث المرأة التى قال لها النبى ﷺ « إن لم تجدينى فأتى أبا بكر» وهو فى الصحيحين.
(٢) عن الأصل ٤: ٢٥٢.
(٣) عن الأصل ٤: ٢٥٣.

المعنوى أنه كان محبــاً للرسول مؤمنا به مختصا بــه أعظمَ مما علم من سخاء حاتم وشجاعة عنترة. ولكنَّ الرافضة قــومٌ بُهْت، حتى إن بعضهم جحدوا أن يكون أبو بكر وعمر دُفنا فى الحجرة النبوية[1]. وأيضا فما قاله هذا الرافضى يدل على فرط جهله عمومــاً، وخاصة بما وقع وقت الهجرة، فانه اختفى هو وصــاحبه فى الغار وعرف بذلك أهل مكة وأرسلوا الطلب من الغد فى كل فج وجعلوا الدية فيه وفى أبى بكر لمن أتى بواحــد منهــما، فــهذا دليل على عــلمهم بموالاته للرســول ﷺ ومعاداتهم له، ولو كان مباطنهم لما بذلوا فــيه الدية. وأيضا فانه كان خرج ليلا لم يدر به أحد، فماذا يصنع باستصحــاب أبى بكر ؟ فان قيل لعله علم بخروجه قيل يمكنه أن يخفى ذلك عنه كما خفى عن سائر المشركين. وفى الصحيحين أن أبا بكر استأذن فى الهجرة فأمره أن يصبر ليهاجر معه. وفى الصحيحين عن البراء عن أبى بكر قال: سرينا ليلتنا حتى قام قائم الظهــيرة وخلا الطريق حتى رفعت لنا صخرة لها ظل فنزلنا عــندها فسويت بيــدى مكانا ينام فيه النبى ﷺ فى ظــلها ثم بسطت فروة ثم قلت: نم يا رسول الله، فنام، إلى أن قــال: فارتحلنا بعد الزوال، واتبعَنا سُراقة بن مالك ونحن فى جلد من الأرض فقلت: يا رسول الله، أتيا. فقال ﷺ **﴿لا تَحْــزَنْ إنَّ اللَّهَ مَــعَنَا﴾**، فدعا عليــه فارتطمت فرسه إلى بطنها، فــقال: إنى قد علمت أنكما دعوتما علىَّ ، فادعُوا لى، ولــكما أن أردَّ عنكما الطلب. فدعا الله، فنجا. فرجع لا يلقي أحــدا إلا وقال: قد كفيتم مــا ها هنا. وذكر الحديث. وفى البخارى عن عائشة قالت: فلما ابتُلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا إلى الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد لقيه ابنُ الدغــنَّة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر ؟ قال: أخرجــنى قومى ، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعــبد ربى. . الحديث بطوله. وأيضا فلمــا كان فى الغار كــان يأتيهما بالخــبر عبُــد الرحمن بن أبى بكر ومعهــما عامر بن فهــيرة، فكان يمكنه أن يعلمهم بخبــره. ثم لما جاء الكفار ورأى أقدامهم هلا خرج اليهم وأسلمه ؟ ! فلا مثُلها. فسبحان من أعمى بصيرتك.

(١) وبلغ من سفــاهة أحلامهم أن أنكروا بأن يكــون للنبى ﷺ بنات غير مــاطمة. انظر ص ٢٤٤ - ٢٤٥ و ٢٧٢.

وقـولك «الآية تدلُّ على نقـصـه وقلة صبـره» فـهـذا تناقض: بينا أنت قـائل «استصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره» إذ جعلته قليل الصبر ذا خَوَر، فبالله على أى شيء تُحَسد: لا علم ولا فهم. واعلم أنه لم يكن في المهاجرين منافق[1]، وذلك كالمستـحيل فان العزّ والمـنعة كانت بمكة للمشـركين. ومن دخل فى الإسلام تعب بهم وآذوه بكل طريق، فلا يدخل أحد فى الإسلام إلا ابتغاء وجه الله، لا لرهبة، إذ الرهبة من الطرف الآخر. وإنما كان النفـاق فى أهل المدينة لأن الإسلام فشا بها وعزّ وعلا على الشرك، فبـقى أناس فى قلوبهم زيغ وغل لم يؤمنوا، فأسلموا فى الظاهر تقـيةً وخـوفا من السـيف، والمهـاجرون مـا أكرههم أحـد ولا خافـوا من المسلمين، بل هم كما قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشـر ٨) وأبو بكر أفـضلهم، وكلهم خاطبـوه بخليـفة رسول الله ﷺ، فـمن سماهم الله «صادقين» لا يتفقـون على ضلالة. وقولك «يدل على نقصه» نعم كلنا ناقص بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ولم ندَّع عصمته كمافعلتم. ثم الله قد قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحـل ١٢٧) وقـال للمؤمنين عامة: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ (آل عمران ١٣٩) وقال لنبيه ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ (الحجـر ٨٨) ولا ينافى الحزن الإيمان. ومن شبَّه يقين الصديق وصبره بغيـره من الصحابة فهو جاهل، والصدّيقُ أرفعُ من عثمان بكثـير من المناقب، وبعد ذا فقد صبر عثمـان وثبت ثباتا ما مثله: حاصـروه، وراموا طعنه وقـتله، وهو يمنع أنصـاره ومواليه عن حـربهم، إلى أن ذبحوه وهو صابر محتسب موقن.

ثم إن قوله ﴿لا تَحْزَنْ﴾ لا يلزم منه وقوع الحزن، وكذا النهى عن كل شيء، كقـوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (الأحـزاب ١)، ﴿وَلا

(١) لاحظ بعض الأماضل أن السـور والآيات المكية ليس ميـها أى شكوى من النفـاق ، لأن النفاق ليس من أخلاق العرب ولاسيما قريش. وأكثر ما يتردد ذكر النفاق مى السور والآيات المدنية لوجود اليهود وسريان عدواهم إلى بعض الذين مى قلوبهم مرض.

تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(القصص ٨٨)، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام ٣٥) وهب أنه حَزِن، فكان حزنه على رسول الله ﷺ لئلا يقتل فيذهب الإسلام. [روى] وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال: لما هاجر النبى ﷺ أخذ طريق ثور، فجعل أبو بكر يمشى خلفه ويمشى أمامه، فقال النبى ﷺ: مالك؟ فقال: يا رسول الله أخاف أن تُؤْتى من خلفك فأتأخر، وأخاف أن تؤتى من أمامك فأتقدم. فلما انتهيا الى الغار قال. يا رسول الله، كما أنت، حتى أقمه. قال نافع فحدثني رجل عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر رأى جحراً فى الغار فألقمه قدمه وقال: يا رسول الله، إن كانت لدغة كانت فى. وفى الصحيحين «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ اليه من ولده ووالده والناس أجمعين» فحزنُ الصدّيق علي النبى ﷺ - لاحتمال أن يؤذى - يدلُّ علي كمال محبته وذَبّه عنه. وقد أخبر الله عن يعقوب أنه قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف ٨٦). ثم أنتم تحكون عن فاطمة رضى الله عنها من الحزن على أبيها مالا يوصف، وأنها اتخذت بيتَ الأحزان، وتصفونها بما لا يسوغ. فالجاهل يريد أن يمدح فيقدح. وإن قلت: حزنُ أبى بكر على نفسه من القتل، دلَّ [ذلك] على أنه مؤمن ولم يكن مباطنا لقريش. ونبى الله قال «وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون». والحزن مباح وعلي ذلك تدل النصوص.

وقلتم[1]: قوله ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ لا يدل على إيمان، وذكرتم ﴿إذ يقول لصاحبه وهو يحاوره﴾. قلنا: لفظ «الصاحب» عامّ، ومنه قوله ﴿والصاحب بالجنب﴾. لكن آية الغار بسياقها تدل على صحبة المودَّة والموالاة.

وأما قولك ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ فلأنهم كانوا انهزموا فلو قال ﴿على رسوله﴾ ﷺ وسكت لما دل الكلام على نزول السكينة عليهم، وأما هنا فلم يحتج إلى هذا لأنه كان تابعا مطيعا، فهو صاحبه والله معهما، فاذا حصل للمتبوع هنا سكينة وتأييد بالملائكة كان ذلك التابع أيضا بحكم

(١) الخطاب للشيعة.

اللازم. وأبو بكر لما نُعت بالصحبة المطلقة الدالة على كمال الملازمة، ونوه بها فى أحق الأحوال أن يفارق الصاحب فيها مصحوبه وهو حال شدَّة الخوف، كان هذا دليلا بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد والتمكين، ولهذا لم يُنصر الرسول ﷺ فى موطن إلا كان أبو بكر أعظم المنصورين بعده، ولم يكن أحد من الصحابة أعظم يقينا وثباتا منه، ولهذا قيل: لو وُزن إيمانه بإيمان أهل الأرض لرجح، كما فى السنن عن أبى بكرة أن النبى ﷺ قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ فقال رجل: أنا رأيتُ كأن ميزانا من السماء نزل، فوزُنتَ أنت وأبو بكر فرجحتَ به، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان».

وقولك: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾، لا يجوز أن تكون الآية خاصة بأبى الدحداح دون أبى بكر، كيف والسورة مكية وأبو الدحداح كانت قصته بالمدينة باتفاق، فان قال أحد إنها نزلت فيه فمعناه أنه ممن شملته الآية، فان كثيرا ما يقول بعض الصحابة والتابعين نزلت فى كذا، ويكون المراد أى دلت على هذا الحكم وتناولته، ومنهم من يقول قد تنزل الآية مرتين بسببين. وقد ذكر ابن حزم بإسناده عن [عبد الله] بن الزبير وغيره أنها نزلت فى أبى بكر(1)، وكذلك ذكر الثعلبى ونقله عن عبد الله وعن سعيد بن المسيب. وقال ابن عيينة: حدثنا هشام عن عروة عن أبيه قال: أعتق أبو بكر سبعة كلهم يُعَذَّب فى الله، بلال وعام بن فهيرة والنهدية وابنتها وزبيرة وأم عميس وأمة بنى المؤمل، فأما زبيرة فكانت رومية وكانت لبنى عبد الدار، فلما أسلمت عميت فقالوا: أعمتها اللاتُ والعُزَّى، قالت فهى تكفر باللات والعزَّى فردَّ الله بصرها. وأما بلال فاشتراه وهو مدفون فى الحجارة، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقية لبعنا كه. فقال أبو بكر: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته. قال: وفيه نزلت ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة. وأسلم وله أربعون ألفا فأنفقها فى سبيل الله. وأيضا فلم يقل أحد إن أبا الدحداح أتقى الأمة، بل العشرة وغيرهم أفضل منه، فقول من قال: نزلت فى أبى بكر أصح، فإنه أتقى الصحابة

(1) انظر ص ٤٧٢ - ٤٧٣.

وأكرمهم عند الله. وفى الصحيح «ما نفعنى مالٌ مـا نفعنى مالُ أبى بكر »، وفى البخارى أن النبى ﷺ خـرج فى مرض موته فقعد على منبـره وقال «إنه ليس أحدٌ أمن علىَّ فى نفسـه وماله من أبى بكر، ولو كنتُ متـخذاً خليلا لاتخـذته خليلا، ولكن خلة الإسلام أفـضل. سدوا عنى كلَّ خـوخة فى المسجـد غير خـوخة أبى بكر». وصحح الترمـذى عن عمر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتـصدق، فوافق ذلك مالا عندى، فـقلتُ: اليومَ أسبـقُ أبا بكر إن سبقْـته يوما. فـجئتُ بنصف مالى، فـقال النبى ﷺ: ما أبقيتَ لأهلك ؟ قلتُ مـثله. وأتى أبو بكر بماله كله، فقـال النبى ﷺ: ما أبقـيتَ لأهلك ؟ قال أبقـيتُ لهم الله ورسوله. فـقلتُ: لا أُسابقك إلى شىء أبدا.

وأمـا آية: ﴿قُل لِّلْمُـخَلَّفِينَ﴾ (الفتح ١٦) فقد استَـدلَّ بها على خلافة الصديق الشافعى والأشعرى وابنُ حزم، واحتجوا بأن الله قال: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة ٨٣) قالوا: فأمـر الله نبيه في هؤلاء بهذا فُعلم أن الداعى لهم إلى القتـال ليس هو، فوجب أن يكون مَن بعدّه، وليس إلا أبا بكر أو عـمر دعوّا إلى قـتال فـارس والروم وغيرهم أو يسـلمون. وهؤلاء جعلوا المذكورين فى الفتح هم المخاطبين فى براءة، ومن هنا صار فى الحجة نظر، والفتح نزلت فى قصة الحديبية باتفاق. وبحث هنا شيخنا[1] وطول ودقق، إلى أن قال فى الآية: إنهـا لا تتناول القتال مع على قطعـاً، لأن الله قال ﴿تُقَـاتِلُونَهُـمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ والذين حاربهم على كانوا مسلمين بنص القرآن، قال الله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجـرات ٩) الآية، فوصفـهم بالإيمان مع الاقتتال والبغى، وأخبر أنهم إخوة. وقال عليه السلام فى الحسن «وسيصلح الله به بين فئـتين من المسلمين» فجـرى كذلك ودل عليـه أن ما فعله السـيد الحـسن كان أرضى لله من القتال.

(١) أى شيخ الإسلام ابن تيمية مى المنهاج.

وأما مـا موّهتَ به من هذيانك ونقلك الكذبَ الذى هو هجـيراك ودَيْدَنُك من أمر العريش، فقولك «هرب عدة مرات فى غزواته» فغزاة بدر أولُ مغازى الرسول ﷺ فلا غزا هو ولا أبو بكر قـبلها، فمتى هرب ؟ كـلا لم يهرب قط. حتى يوم أُحد ما انـهزم لا هو ولا عمر، بل عـثمان تولى وعفـا الله عنه بالنص. وكان أبو بكر أحـد من ثبت مع النبى ﷺ يوم حُنين كـما تقـدم. ولو كان فى الجبن بهـذه المثابة لم يخصه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكون معه فى العريش. بل قوله للرسول إذ رآه يستغيث بالله: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك، فانه سينجز لك ما وعدك، دال على ثباته وقوة يقينه. وكان هو ورسول الله ﷺ أفضلَ من شهد بدراً مع كـونهمـا لم يقـاتلا، فمـا كل من قـاتل أفضلُ ممن لم يـقاتل. فـان كنت يا رافض[1] تصفه بالهروب مرارا وبالخور والفشل والفقر والإفلاس وبكونه خياطا، وكان ليس بذى عشـيرة ولا بيته كبـيت بنى عبد مناف وبنى مخـزوم ولا قريبا من ذاك ولا له عبيد ولا خدم، فبـالله لماذا خضع له السابقون الأولون وبايعوه وقالوا: «يا خليفـة رسول الله صلى الله عليه وسلم» ؟ ما ذاك والله إلا النص فـيه. ولولا أفضليـته عليهم فى نفوسـهم كما قال عـمر: والله لأنْ أقدَّم فتـضرب عنقى - لا يقربنى ذلك من إثم - أحب إلىَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال الـرافضى «وأمـا إنفاقـه على الرسول ﷺ فكذب، لأنه لم يكن لـه مال» فيقـال: من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفـيض القطعى . فمن ذا الذى نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمتَ ؟ أفبالوقـاحة والمباهتةُ ينكر جودُ حاتم وشجاعة على وحلم معاوية وغنى أبى بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكـر لهم فى القرآن. وهو فيه نص صريح بفضله وغناه، فـفى الصحيحين أن مسْطَحـا كان أبو بكر ينفق عليه، وكان أحدَ من تكلم فى الإفك، فخلف أبو بكر أن لا ينفق عليه. فأنزل الله قوله: **﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** (النور ٢٢) فقال أبو بكر: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى . فأعاد عليه النفقـة. وقد اشترى بماله سبعة

(١) مي المنتقى «يا دانص» وهذه الجملة من كلام الذهبى وليست مى الأصل.

من المعذبين فى الله. وقال النبى ﷺ « ما نفعنى مالٌ ما نفعنى مالُ أبى بكر» . ولما هاجر استصحب ما بقى من ماله، قيل كانت ستة آلاف، وكان يتجر.

وقولك «كان مُـؤَدِّباً» كذب، ولو كان كذلك ما شانه. والمعروف أن أهل مكة كانت الكتابة فيهم قليلة جداً، ولو كان أبو بكر معلما لأوشك أن ينشأ فى قريش خلق كثير يكتبون. ولا كان خياطا أيضا، والخياطة فى قريش نادرة لقلة الحاجة، فان عامة ثيابهم الأزُر والأردية. ولما استُخلف أراد أن يتجر لعياله، ففرض له المسلمون من مال الله كفايته لئلا يشتغل بالتجارة عن أعباء الخلافة.

وفى الصحيحين أن أبا بكر لما ابْتُلى المسلمون بمكة خرج مهاجرا حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدُّغنة سيد القارة وقال: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، وإنى لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع به ابن الدغنة وطاف فى قريش فأجاره فقالوا له: مرأبا بكر فليعبد الله ربه فى داره ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.. الحديث بطوله.

وقولك «لو أنفق لوجب أن ينزل فيه قرآن كما نزل فى على ﴿هَلْ أَتَى﴾» والجواب أن حديث نزول هل أتى من الموضوعات كماقدمنا. ولو وجب أن ينزل قرآن فى كل قضية لكان المصحف عشرين سفراً كباراً[1] .

وقولك «تقديمه فى الصلاة كان من أمر عائشة» فمن باب الافتراء والمكابرة وجحد المتواتر، فمن نقل لك ما ذكرته ؟ إسناد ثابت، أم من نقل شيوخك المفيد والكراجكى وأمثالهما الذين تصانيفهم مشحونة بالكذب ؟

أفكانت صلاةً واحدة حتى يقال فيها هذا ؟

وأهل العلم يعلمون أن أبا بكر صلى بالناس أياما متعددة بقرب الحجرة النبوية بحيث يسمع الرسول ﷺ قراءاته، ولا تخفى عليه إمامته. وتواتر أن ذلك بإذنه،

(١) ومع ذلك مآية النور وآية ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ نزلت مى إنفاقه.

والنصوص فى ذلك كثيرة جمة.

وقد قال نبى الله ﷺ فى مرضه ذلك [على] ما فى الصحيحين عن عائشة أنه قال ﷺ «ادعي لى أباك وأخاك حتى أكتب لهم كتابا، فانى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فهذا من إخباره بالكوائن بعده، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبى بكر لما علم أن الله يجمعهم عليه وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه: لا فى الأول، ولا فى الآخر عندما استخلف عليهم بعده خيرهم. أماتنا الله وإياكم على حب الأربعة، فان المرء مع من أحب.

آخره والله أعلم

والحمد لله على الإسلام والسنة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

فرغ منه مؤلفه ومنتقيه من كتاب شيخ الإسلام أبى العباس أحمد بن تيمية أسكنه الله الجنة، وأجزل له المنة، فى نصرة أئمة السنَّة، فى الرد على ابن المطهر البغدادى الشيعى .

والأصل نحو من تسعين كراسة. وهذا (المنتقى) فيه كفاية بحسب همم الناس، والأصل فيحسب همة الشيخ، تغمده الله برحمته آمين.

وكان الفراغ من هذه النسخة وتحريرها على يد فقير عفو الله تعالى يوسف الشافعى عفا الله عنه فى سلْخ جُمادَى الأولى عام أربع وعشرين وثمانمائة

والحمد لله رب العالمين حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فصل ختامى

بقلم

محب الدين الخطيب

الجيل المثالى

من أيام أفلاطون (٤٣٠ - ٣٤٨ ق. م) وكتابه «الجمهورية» .

ثم من عصر أبى نصر الفارابى (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) وكتابه «المدينة الفاضلة».

إلى زمن السر تومـاس مور Tomas More (١٤٧٨ - ١٥٣٥ م) وكتابه «يوتوبيا» Utopia.

من تلك العصور والأزمـان - إلى يوم الناس هذا - والإنسانية تحلم **بالجـيل المثـالى** الذى يود البشر لو يظفرون به فيتخذونه قدوة لهم في السلم والحرب، والمنشط والمكره، في مخـتلف أطوار الحياة، ليكون لهم من كمـاله الإمكانى المثل المقتدى به فى كـمالهم الإنسانى هى أمنية من أمانى الشعـوب والأمم، من أقدم الأزمان إلى الآن، تحدث عنها الحكماء ، وتغنى بها الشـعراء ، وترنم بها رخيم أصوات الهاتفين، وهمـس بها صفوة الضارعين والمناجين، من كل صادح أو باغم.

بل إن «**الجيل المثالى**» هو الذى دعا إلى تكوينه وعمل على تحقيقه الأنبياء من أولى العزم، وهو الذى تمناه الحكمـاء وأهل العلم، وهو الذى كانت الإنسـانية ولا تزال ترنو إلى شبحه المرجى فى أحلام يقظاتها وفترات غفواتها.

تريث موسى بقومه فى آفاق العريش وبرية سـيناء وصحارى النقب وحوالى بئر سبع أربعين حولا يلتحف معهم سحائب السماء ويفترش أديم الغبراء ، وهو يحاول أن يربى منهم جيـلا مثالـياً بسنن الله، ويتخلق بأخـلاق الرفق والحزم والتـضحيـة والاستقـامة والاعتدال، فيرضى بها عن ربه ويرضى ربه عنه، ثم مات موسى ولما يبلغ من أمته هذه الأمنية . . .

ونبغ فى الصين حكيمها الأعظم كونغ فوتس الذى عرفناه من طريق الإفرنج باسم كونفوشيوس (٥٥٠ - ٤٧٩ ق. م)، ولاشك أنه كان من أصدق الدعاة إلى أن يتعامل الناس بالمروءة، لكنه لم يرتفع بدعوته إلى تخليص الصين من عبوديتها لابن السماء (الامبراطور) ولما فى السماء من شمس وقمر وكواكب وسحائب ورعود وصواعق وأمطار، ولا إلى تخليصها من عبادة الأرض، وما فى الأرض من جبال وبحار وأنهار. ولا من أرواح الآباء، وما تقيمه فى سبيلهم من حدود وسدود وقيود. وقد أخفق كونغ فوتس فى كل ما قام به من دعوة فى أرجاء الصين، فعاد إلى بلده يؤلف الصحائف فى الدعوة إلى المروءة، وقد رأينا تفصيل ذلك فى كتابه (الحوار[1]). ثم مات وليس له من المتأثرين بدعوته إلا عدد قليل من تلاميذه، وبقيت الصين هى الصين من ذلك الحين إلى الآن...

وأعلن حكماء اليونان مذاهبهم فى الحكمة وتهذيب النفس، فصنفوا فى ذلك المصنفات، وألقوا به الخطب. وقد اشتطوا فى كثير مما صنفوا وخطبوا. وكتاب «الجمهورية» لأفلاطون من أبرز الأمثلة علي هذا الشطط. ثم انقضى زمن حكماء اليونان وحكمتهم، دون أن تعمل شعوبهم بما دعوها إليه، لأن الدعوة والمدعوين للعمل بها لم يكونا أهلا لذلك...

وعالج المسيح فى فلسطين عقول مواطنيه من العامة والخاصة، ممن كانوا يقصدون هيكل أورشليم، أو يتسلقون جبل الزيتون، أو يترددون علي شواطىء بحيرة طبريا وحقول أرض الجليل وحدائقها، فلم يستجب لدعوته إلا عدد ضئيل لا يكاد يسمى جماعة فضلا عن أن يكون أمة.

إن الإنسانية من أقدم أزمانها، وفى مختلف أوطانها، لم تشهد «الجيل المثالى» إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقباله عليها من صحارى أرض العرب يدعو إلى الحق والخير بالقوة والرحمة، فكان ذلك مفاجأة عجيبة لكل من شهد هذا الحادث التاريخى الفذ من روم وفرس وآراميين وكنعانيين وعبريين ومصريين وليبيين وبربر وفاندال ولاتين وتيوتون وسكسونيين وصقلبيين وغيرهم.

وكانت المفاجأة عجيبة - بمصدرها، وكيفيتها، وأطوارها - ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التي لاتزال إلي اليوم من معجزات التاريخ.

---

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكين الصينى عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح كاتب هذه السطور. ونشرته المطبعة السلفية.

أين كان هؤلاء ؟ وكيف تكونوا علي حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها ؟ وكيف نجحت ؟ وما هى وسائل نجاحها[1]؟

سلسلة من الأسئلة لا يكاد الناس يتساءلون بأولها حتى يفاجأوا بما ينسيهم تاليه أوله. إلى أن رأوا من صفات هذه الأمة المثالية ما أيقنوا به أنها تحمل إلى الإنسانية رسالة الحق والخير، وأنها تترجم عن رسالتها بأخلاقها، وسيرتها وأعمالها، وأن الذى اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم إليه هو الحق الذى قامت به السماوات والأرض.

وكما تساءل الناسُ عن هذه العجائب فى زمن وقوعها، ثم أنساها بعضها بعضاً، كذلك نحن نتساءل اليوم عن كثير من أسرارها. وبالرغم من ضياع العدد الأكبر من المراجع القديمة فيما احترق مع بيوت الفسطاط ومدارسها وجوامعها مدة أربعة وخمسين يومًا[2]، وفيما غرق بمياه دجلة أيام ابن العلقمى ومستشاره ابن أبى الحديد[3]. وفيما خسرناه بضياع الأندلس وكوارث الحروب الصليبية، وفيما فرطنا به فى أزمان الجهل والانحطاط - بالرغم من كل هذا - فإن النفوس استيقظت الآن لدراسة أحوال «الجيل المثالى» الفذ الذى عرفته الدنيا، ولنقد الأصيل والدخيل من أخباره، وتحليل عناصر الخير التى انطوى عليها، ومعرفة الأسباب التى صار بها جيلا مثالياً لتستفيد الإنسانية من الاقتداء به، والتأسى بسنته وأخلاقه وتصرفاته.

وأول ما نعلمه ونؤمن به من أسباب الكمال فى هذا الجيل المثالى أنه تلقى تربيته على يد معلم الناس الخير خاتم رسل الله المبعوث بأكمل رسالات الله ﷺ. إن هذا السبب فى طليعة أسباب الكمال لهذا الجيل المثالى، لا يشك فى ذلك عاقل فضلا عن مؤمن. ولكن يحق لنا أن نتساءل : ألم يكن موسى أحد المبعوثين برسالات الله ؟ ألم يتح لموسى أن يعاشر قومه فى الحل والترحال معاشرة تربية ودعوة أكثر من أربعين سنة ؟ ومع ذلك فقد جاء فى «سفر العدد» من التوراة الموجودة الآن فى أيدى قومه (١٤ : ٢٦ - ٢٧) ما نصه: « وكلم الرب الوسى وهارون قائلا: حتى متى أغفر لهذا الجماعة الشريرة المتذمرة على ؟ «٢٩ « فى هذا القفر تسقط جثثكم جميعاً ، المعدودين منكم

(١) ولكاتب هذه السطور مقال فى وصف لمحات من أسرار هذه المعجزة نشر فى صحيفة (الفتح) بعنوان (القرآن معجزة بين معجزتين) انظر الجزء ٨١١ لجمادى الأولى ١٣٦٣ .

(٢) فى سنة ٥٦٤ . انظر ص ٦٢٨ - ٦٣١ من المجلد ٢٥ لمجلة الأزهر . وانظر أيضا ص ٣٨٥ - ٣٨٦ من ذلك المجلد .

(٣) انظر ص ٢٠ و ١٦٠ و ١٧٤ من هذا الكتاب .

حسب عددكم، من ابن عشرين فصاعدا الذين تذمروا على».

أين - من أصحاب موسى هؤلاء - أصـحاب محمد عليهمـا صلاة الله وسلامه يوم سار بهم إلى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة رجلا لـيناجزوا ثلاثة أضعافهم من أهل الرجولة والحماسة والبأس، فلما بلغ النبى ﷺ بهذه القلة القليلة من أصحابه وادى ذفران أراد أن يختبر إيمانهم، فأخبرهم عن قـريش، واستشارهم في الموقف. فقام الصديق الأعظم أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمـر بن الخطاب الذى أعز الله به الإسلام فقال وأحسن، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو (الأسور) الكندى فقال: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن مـعك. والله لا نقـول لك كمـا قـالت بنو إسـرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قـاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مـقاتلون. فوالذى بعثك بالحق لو سـرت بنا إلى برك الغماد لجالـدنا معك من دونه حتى تبلغه»، فـقال له رسول الله ﷺ خـيراً، ودعا له. ثم قـال رسول الله ﷺ: «أشيـروا على أيها الناس». فقال له سـعد بن معاذ سـيد الخزرج وأقوى زعـيم فى الأنصار: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟» قال ﷺ: «أجل». قـال سعد: «فقد آمنا بك وصدقناك، وشـهدنا أن ما جئتَ به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة. فامض يا رسول الله لمـا أردت فنحن معك. فـوالذى بعثك بالحق لو استعـرضت بنا هذا البـحر فحضته لخضناه معك مـا تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا لصبر فى الحـرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عـينك. فسر بنا علي بركة الله». وقد كان عملهم أبين من قولهم وأصدق.

هكذا كانوا فى مواقف البأس وعند الشدائـد. ورأيناهم فى تحريهم الحقوق وإذعانهم للإنصاف والعدل فى حياتهم السلمية كمـا تحدثت عنهم أم سلمة رضى الله عنها - فيما رواه عنها الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه - قـالت: «جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ فى مواريث قد درست ليس بينهما بينة، فقال لهما رسول الله ﷺ: إنكم تختصـمون إلى، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجـته من بعض وإنما أقضى بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيـه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بهـا اسطاما فى عنقه يوم القـيامة فبكى الرجـلان، وقال كل واحد منهما: حقى لأخى ! فقال لهما رسول الله ﷺ: أما إذا قلتما ذلك فاذهبا، فاقتسما ثم توخيا الحق، ثم استـهما (أى اعملا قرعـة على القسمين بعد قسمهـما)، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبـه». وهذان الرجلان المثاليان فى الإيمان بالحق لا نزال إلى الآن نجهل

اسميهما، لأنهما من عامة الصحابة لا من خواصهم الممتازين بالفضائل الإنسانية النادرة المثال كالعشرة المبشرين بالجنة وطبقتهم ممن اختصهم النبى ﷺ بالمكانة والمناقب وهذه الطريقة في تربية محمد ﷺ لأصحابه على محبة الحق، واستجابة أصحابه له فيما أحب ﷺ أن يكونوا عليه، قد أشاعت هذا الخلق فى الخاصة والعامة من أبناء ذلك الجيل المثالى . فلما كانت خلافة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه ناط منصب القضاء برمز العدالة فى الإنسانية -وهو عمر بن الخطاب- فكانت تمر على عمر الأشهر ولا يأتيه اثنان يتقاضيان عنده، وأى حاجة بهذه الأمة المثالية إلى القضاء والمحاكم وهى أمة الحق، ومن أخلاقها أن تتحرى الحق بنفسها فلا تحتاج إلى تحكيم القضاء فيه.

بل إن الطبقة الدنيا فى هذا الجيل (وأحوالها وأخلاقها معروفة فى كل جيل وقبيل).

وهم ممن يستطيع الشيطان فى العادة أن يغلبهم على إرادتهم فى بعض الأحيان فيقعون فى زلة يستوجبون عليها الحد الشرعى ، فإن من أعجب ما وقع فى تاريخ البشر أن يأتى من يقع فى شيء من تلك الزلة من أهل تلك الطبقة إلى رسول الله ﷺ فيعترف له بزلته، ويلح بلجاجة وإصرار على طلب إقامةالحد عليه (وفى ذلك حتفه) ليتطهر مما دنسه به الشيطان.

وكان نبى الرحمة ﷺ إذا رأى هذا الإيمان العجيب في هذه الطبقة من أصحابه الطيبين يحاول جهده أن يدرأ الحد عنهم بكل ما يجيزه الشرع، فيأبون إلا أن يتعجلوا عقوبة الدنيا ليتقوا بها عقوبة الآخرة.

وهذه الملاحظة - عن هذه الطبقة بالذات - قد سبق إلى التنويه بها والتحدث عنها إمام كبير من أئمة أهل البيت من زيدية اليمن، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة (المتوفى ببلدة كوكبان باليمن سنة ٦١٤) نقل ذلك عنه عالم الزيدية في القرن التاسع السيد محمد بن إبراهيم بن على المرتضى الوزير (٧٧٥ - ٨٤٠) فى كتابه الروض الباسم (١: ٥٥ - ٥٦) فذكر تلك الطبقة وقال: «إن أكثرهم تساهلا فى أمر الدين ممن يتجاسر على الإقدام على الكبائر، لاسيما معصية الزنا... وذلك دليل خفة الأمانة ونقصان الديانة، لكنا نظرنا فى حالهم فوجدناهم فعلوا مالا يفعله من المتأخرين إلا أهل الورع الشحيح، والخوف العظيم، ومن يضرب بصلاحه المثل ويتقرب بحبه إلى الله عز وجل. وذلك أنهم بذلوا أرواحهم في مرضاة رب العالمين، وليس يفعل ذلك إلا من يحق له منصب الإمامة فى أهل التقوي والدين». أى

أن طبقة الدهماء فى ذلك الجيل المثالى - ممن قد يقعون فى الكبائر - كان لهم من صدق الإيمان والاستقامة على الحق ما يرفعهم إلى مرتبة من يحق له منصب الإمامة فى أمة من أهل التقوى والدين، فكيف بخاصة الصحابة الذين نزههم الله عز وجل عن أصغر الهفوات، ورفعهم إلى أعلى الدرجات. ولولا أن النبوة ختمت بمربيهم وهاديهم إلى الحق ﷺ لما كان مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أقل من الأنبياء الذين سلفوا فى الأمم الأخرى.

وإن هذا الذى يتكلم عن الزناة من دهماء الصحابة واستحقاقهم لمنصب الإمامة إمام من علماء أهل البيت يعنى ما يقول، ويعلم معنى أقواله. لكنه رأى هذه الطبقة فى ذلك «الجيل المثالى» قد صدر عنها من صدق الإيمان ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله، فحكم بعلمه، وكان منصفاً لنفسه، وللحق، ولدعوة الإسلام وآثارها فى أهلها الأولين.

وقد علق علي كلام الإمام المنصور بالله علامة الزيدية السيد محمد بن إبراهيم الوزير (١: ٥٦ - ٥٧ من الروض الباسم) قائلا يخاطب قارىء كتابه: « فأخبرنى على الإنصاف: من فى زماننا - وقبل زماننا - من أهل الديانة سار إلى الموت نشيطاً، وأتى إلى ولاة الأمر مقراً بذنبه مشتاقاً إلى لقاء ربه، باذلا فى رضا الله لروحه، ممكناً للولاة أو القضاة من الحكم بقتله ؟ ! وهذه الأشياء تنبه الغافل، وتقوى بصيرة العاقل. وإلا ففى قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كفاية وغنية، مع ما عضدها من شهادة المصطفى عليه السلام بأنهم «خير القرون»، وبأن غيرهم «لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة».

ونعود إلى المقارنة الأولى بين أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام - وكلاهما من الأنبياء أولى العزم - وموسى أتيح له من الوقت لتربية أمته ضعف الوقت الذى أتيح لمحمد ﷺ في تربية أمته، فكيف نالت أمة محمد ﷺ هذه المكرمة فكانت «الجيل المثالى» الذى خلده الله عز وجل فى القرآن بقوله فى سورة آل عمران ١١٠ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، بينما الجيل الذى كان مع موسى استحق أن يدمغ بما ورد فى سفر العدد (١٤: ٢٦ -٢٧و٢٩) كما نقلناه آنفاً عن التوراة التى يطبع منها في كل سنة ملايين النسخ بكل اللغات ؟

أنا فكرت فى هذا الأمر كثيراً من خمسين سنة إلى الآن، ومن ذلك الحين وأنا أراقب كل ما يقع عليه نظرى من تحقيقات العلماء وخطرات أفكارهم لأصل إلى حكمة الله فى

هذا الامتياز الذى اختص به أصحاب رسول الله ﷺ فجعلهم «**الجيل المثالى** » الوحيد الذى عرفه تاريخ الإنسانية.

فكرت في معادن الأمم، ومواهبها، وسجاياها، فراقبتها جميعاً وهى فى بداوتها (أى فى مادتها الخام) قبل أن تطرأ عليها الحضارات والعلوم المكتسبة والصناعات والأنظمة الاجتماعية التى هى من صنع التشريع البشرى ، فتبين لى أن الامة التى منها «**الجيل المثالى**» في الإسلام امتازت في بداوتها على كل أمة أخرى في بداوتها بسعة المدارك ونضوج العقل ودقة المشاعر وجودة الأخلاق، وأنها امتازت بداوتها بلغة هى أرقى على الإطلاق من كل لغة أخرى للبشر فى طورهم البدوى. وكل رقى لأى لغة أخرى غير اللغة العربية هو من أثر الحضارة واتساعها الحادث فى الصناعات والعمران والفنون والثروة، ولو أن عالما من علماء اللغات أمسك بيده قلما بالمداد الأحمر وشطب به كل لفظة فى المعجم الألمانى أو الإنجليزى أو الفرنسى، ولم تكن للألمان أو الإنجليز أو الفرنسيين فى بداوتهم، لما بقى لهذه الأمم فى أكبر معاجمها اللغوية إلا ما يعادل نصف جزء من أجزاء لسان العرب العشرين إن لم يكن أقل من ذلك. والعرب لما استفحل ملكهم وصارت لهم جيوش عظيمة واصطلاحات عسكرية وإدارية وفلسفية وعلمية وصناعية أبى علماؤهم أن يقحموا على معاجمهم وأصل لغتهم هذه الاصطلاحات الطارئة، فألفوا كتبا مستقلة للاصطلاحات، وبقيت معاجم اللغة تمثل أصل اللغة بشواهدها من شعر العرب وحكمتهم وأمثالهم فى أيام بداوتهم، فهى برهان حسى قائم أمام الأنظار على ما امتازت به العربية بين جميع اللغات التى نطق بها البشر. ومما امتازت به الأمة التى ظهر منها «**الجيل المثالى**» إنسانيتها العليا فى معاملة الغير وإكرامه بالأمن والقرى، وإذا استثنينا ما يكون فى حالة الحرب بين القبيلة وغيرها من العرب، فإن جزيرة العرب من أقدم أزمانها إلى هذه الساعة أعظم بلاد الله أمناً على الإطلاق، ينتقل فيها من شاء حيث شاء فيجد لنفسه فندقاً مجانياً عند كل بصيص ضوء يغشو إليه في الليل، أو أى خباء يلوح له فى النهار، وله (حق) الضيافة ثلاثة أيام بلا منّ عليه ولا فضل لمضيفيه. ومن آداب الضيافة عندهم أن لا يسألوا ضيفهم حتى عن اسمه. وكان عندهم نظام الأشهر الحرم يمتنع فيها القتال بين المتحاربين، وكان عندهم الأمن المطلق حتى للحمام والظباء وسائر الصيد في داخل أعلام الحرم فى جميع أيام السنة، ولو لقى الرجل قاتل أبيه فى أرض الحرم ما كان له أن يروعه أو يزعجه. أنا مقتنع بأنه

كما اختار الله محمدا ﷺ لأكمل رسالاته وآخرها، اختار كذلك العربية لكتابه الحكيم، لأنها أكمل اللغات وأغناها. واختار أيضاً لرسوله ﷺ أصدق الأمم وأكرمها معدنا وأجمعها للصفات التى تكفل نجاح هذه الدعوة وتقوى بها علي حمل هذه الأمانة، فكانت بها خير أمة أخرجت للناس. وقد دعت إلى الإسلام بسيرتها وأخلاقها وتصرفاتها فتعرفت الأمم إلى الرسالة المحمدية بما رأت العيون من سيرة الصحابة، أكثر مما سمعته الآذان من بيانهم. وأصحاب رسول الله ﷺ لما استجابوا لهذه الدعوة وتشرفوا بالدخول فى الإسلام كانوا متفاوتين فى مبلغهم من سجايا أمتهم: فبعضهم كان أسرع إدراكا من بعض. وإذا امتاز أحدهم على أخيه بناحية من نواحى الخير، كان لأخيه ناحية أخرى من الخير يمتاز بها. كان أبو بكر أسبق من عمر إلي إدراك الحق في دعوة الإسلام، لكن عمر حتى فى أشد عصبيته على الإسلام - يوم بلغه إسلام أخته وابن عمه وجاء ليبطش بهما - طرقت سمعه صيحةً من صيحات الحق التى يهتف بها الإسلام، فبردت عصبيته، وتغلب نزوعه للحق علي نزوعه لنصرة الإلف، فكان - في خلال دقيقتين اثنتين - من أكرم أنصار الحق على الله، ومن أسرع البشر إلى الاستجابة لنداء الحق. وخالد بن الوليد كان شابا من أبناء الأعيان من رؤساء قريش، سكر بخمرة النصر على المسلمين فى أحد، وعاد إلى مكة نشوان بها، لكن الحق الذى كان الإسلام يهتف به كان يطرق مسامع خالد، فتأمل فيه فوجده حقاً، فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع فى مكة، وخرج قاصداً المدينة ليدخل فى دين الذين حاربهم، وانتصر عليهم، فلقى فى طريقه عمرو بن العاص وحامل مفتاح الكعبة وعلم أنهما مثله قد تبين لهما الحق وخرجا فى طلبه والالتحاق بأهله والجهاد فى سبيله، فقال النبى ﷺ فيهم عند بلوغهم المدينة: «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها».

مثل هذه الأخلاق كثيرة جداً فى «**الجيل المثالى**» الذى صنع منه محمد ﷺ أصحابه ولكننا قلما نجد ذلك شائعا فى الأمم الأخرى . نعم، إن الخير موجود فى كل الأمم، ولكن لا إلى الحد الذى يقوم به الجيل المثالي، ولذلك كان أصحاب محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس.

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى في صحيحه (الكتاب ٦١ - الباب الأول) من حديث أبى زرعة بن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا». ومما لاشك فيه أن العرب كانوا

على وثنية، ولكن من من الأمم لم يكن عند ظهور الإسلام من أهل الوثنية بمختلف معانيها ؟ إلا أن العرب كانوا أحدث الأمم فى وثنيتهم، لأنها طرأت عليهم قبيل الإسلام بمئات قليلة من السنين على يد عمرو بن الحي الخزاعى فى خبر طويل لا يتسع المقام للإفاضة فيه.

وكانت العرب قبل ذلك من أهل الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل، وبنو إسماعيل انتشروا من مكة وتواطنوا في جميع البقاع الشمالية من جزيرة العرب إلى أسوار مدينة دمشق. ومن العرب من كانوا علي دين شعيب وقد ترك التاريخ لنا نصوصا في هذا المعنى . وهذه الوثنية الطارئة على العرب لم يكن لها عندهم من الهياكل والسدنة والتهاويل ما يضارع الذى لها عند غيرهم، فكانوا أقرب أمم الأرض إلى دين الفطرة، وبذلك استحقوا ثناء الله عليهم فيما جاء بسورة البقرة ١٤٣ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وما جاء فى سورة الأنفال ٦٤: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وما جاء فى سورة التوبة ١٠٠ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣: ٢ طبعة السلطان عبد الحفيظ) عن الزبير بن بكار «أن رجلا قال لعمرو بن العاص: ما أبطأ بك عن الإسلام، وأنت أنت فى عقلك ؟ قال: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم (يعنى أباه ومن هم طبقته) وكانوا ممن توازى حلومهم الجبال. فلما بُعث النبى ﷺ فأنكروا عليه، قلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا، فإذا حق بين، فوقع في قلبى الإسلام، فعرفت قريش ذلك منى، من إبطائى عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه، فبعثوا إلى فتى منهم فناظرنى فى ذلك، فقلتُ: أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك: أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال: نحن أهدى (يعنى الصدق والعدالة والأمانة والتعاون المحمود) قلت: فنحن أوسع عيشا أم هم ؟ قال: هم. قلت: فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا فى الدنيا وهم أعظم منا فيها أمرا فى كل شىء ؟ وقد وقع فى نفسى أن الذى يقوله محمد ﷺ - من أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته -

حق، ولا خير فى التمادى فى الباطل».

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجةً إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا بها «الجيل المثالى» الفذ في تاريخ البشر. **وشباب الإسلام معذور إذا لم يحسن التأسى بالجيل المثالى فى الإسلام لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل في قلوب شحنت بالغل علي المؤمنين الأولين فأنكرت عليهم حتى نعمة الإيمان ! وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى علي كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع، إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به، ويجددون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.**

وهذه المعانى تحتاج إلى دراسات علمية عميقة، ليتبين لنا سر الله في تكوين هذا «الجيل المثالى » على يد حامل أكمل رسالات الله صلى الله عليه وسلم. وإن فضلا كهذا أضيقُ من أن يلمّ - ولو بإشارات قصيرة ولمحات سريعة - بمثل هذه المعانى التى تخطر على البال فى أثناء المطالعات والتفكير، ونحن نكتفى بتسجيلها ليتخذ منها أذكياء الطلبة والشبان مواضيع للدراسة والتمحيص. والله الموفق.

تم الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة